

رسالة

في بيان خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

هو في الأشياء على غير ممازجة خارج منها على غير مباينة

الشيخ باسم الحلي

إصدارات العتبة ٢٧١
إصدارات الشعبة ٥٢


شبكة الفكر
alfeker.net


رسالة
في بيان خطبة أمير المؤمنين عليه السلام
هو في الأشياء على غير ممازجة خارج منها على غير مباينة


الأمانة العامة
العتبة الحسينية
المقدسة
العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الدينية
شعبة البحوث والدراسات


رسالة
في بيان خطبة أمير المؤمنين عليه السلام
هو في الأشياء على غير ممازجة خارج منها على غير مباينة


الشيخ باسم الحلي





اسم الكتاب: رسالة في بيان خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

المؤلف: الشيخ باسم الحلي

الطبعة: الأُولى

الناشر: شعبة البحوث والدراسات / قسم الشؤون الدينية

المطبعة: دار الوارث للطباعة والنشر

الكمّية: ١٠٠٠ نسخة

سنة الطبع: ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م.

التصميم والاخراج الفني: الشيخ علي جبار.

مقدمة

ورد في النصوص المعتبرة عن أهل البيت عليهم السلام ، واللفظ لأمير المؤمنين علي عليه السلام : «**هو في الأشياء على غير ممازجة ، خارج منها على غير مباينة...**» .

وما يجب أن يُعلم أنّ المعنى المطوي في هذا النّص المعتبر ، بضميمة ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام من البيان ، وبما استقلّ به العقل من يقين البرهان ، من ضروريّات مذهبنا ، أجمع عليه أصحابنا كابراً عن كابر ، ووافقنا المعتزلة، وكثيرٌ من أهل السنّة ، لكن خالف المعطلة والمشبهة..

فأهل القبلة –فيما نحن فيه– على ثلاثة أقوال ، بل مذاهب ..

المذهب الأوّل : العدليّة . وعقيدتهم : أنّ الله تعالى في كلّ مكان ، وفي كلّ شيء ، بإحاطته وعلمه وتدبيره وقيّوميّته ، أمّا ذاته المقدّسة سبحانه وتعالى ، فبائنة عن الخلق ، لكن لا بينونة مكان وفرجة وعزلة كما يقول المشبّهة ، وإنّما بينونة صفة وذات وشرف وعليّة ، وعلى هذا قاطبة الشيعة رضوان الله عليهم ، وكذا المعتزلة ، وكثيرٌ من أهل السنّة .

المذهب الثاني : المعطلّة ، وعقيدتهم أنّ الله تعالى في كلّ مكان ، وفي كلّ شيء ، بذاته... ، وسيأتي التفصيل ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً .

المذهب الثالث : المشبهة ، وعقيدتهم أنّ الله تعالى بائنٌ عن خلقه بذاته ، بينونة مكانيّة ؛ أي : جهة وعزلة وفرجة وتحيّز ، وهو معنى استعلائه على العرش ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً [1].

---

(١) ليس غرضنا البسط، إلاّ ما تمليه منهجيّة المقارنة بين المذاهب في هذه الرسالة بإيجاز.

بيد أنّنا رأينا أنّ جلّ النّاس لم يحط خبراً ببراهين هذه المعنى الجليل عقلاً ولو إجمالاً ، كما لم يلم نقلاً بأخبار أهل البيت عليهم السلام الواردة فيه إرشاداً، ولو إيجازاً...؟!!

عدا هذا لم نجد أحداً من علماء الفريقين ، سنّة وشيعة ، قد صنّف فيه كتاباً جامعاً أو رسالة شافية مانعة ، لسد هذا الخلأ ، بلى لهم كلمات شريفة واستطرادات منيفة ، متناثرة هنا وهناك ، لكنّها –لأنّها استطرادات– صعبة التناول ، عسيرة الفهم ، لا يقتدر عليها كما يلزم إلاّ أهل الخبرة .

وننبّه أنّنا إذا سردنا حديثاً عن أهل العصمة عليهم الصلاة والسلام في هذه الرسالة ، لن نقتصر على موضع الحاجة فقط ، وإنّما نسرده بطوله ، بكلّ فقراته ؛ لكون كلّ فقرةٍ نصاً إرشاديّاً ، أو مقدّمة يقينيّة ، لكلّ البراهين العقليّة ، والاستدلالات العلميّة ، التي ذكرناها ، هنا وهناك في طيّات الكتاب .

وقد تتكرّر بعض فقرات ما اختلف من معتبر الأخبار ؛ لغرض الاستشهاد والاعتضاد والاعتبار ؛ فما نحن فيه عقيدة واجبة على كلّ مكلّف ، لا تتحقق إلاّ بالأخبار القطعيّة، ولا ينفع فيها خبر الواحد والاثنين؛ فتأمّل جيّداً في المقام ، وافهم المرام .

فلربما يقال : هذه العقيدة ممّا استقلّ بها العقل بنحو الجزم واليقين ، وهو؛ أي تحقق اليقين ، كافٍ في العقيدة!!

قلنا : هذا –في نفسه– قولٌ تامٌ ، لا غبار عليه ، لكن لأنّ كثيراً من المستقلات العقليّة اليقينيّة ، حتى مع قيام البرهان على يقينيّتها ، عرضة للقيل والقال ، بسبب عناد أهل الزيغ والضلال ، وجب سرد أخبار المعصوم فيها ؛ لتأكيدها وحيويّاً بنصّ المعصوم ؛ إذا الغرض وصد أبواب الفتنة والزيغ

والضلال ، والأخبار من هذا الجنس هي التي يصنفها العلماء تحت الأخبار الإرشاديّة ؛ فغرضها تأكيد ما استقل به العقل ؛ دفعاً للحيرة والضلال .

ويلزم التنبيه -عدا هذا- أنّ جملة الأخبار الإرشاديّة التي عرضت لها رسالتنا المتواضعة ، متواترة معنى ، متلقّاة عند قاطبة أصحابنا بالقبول ، كابراً عن كابر ، ناهيك عن كونها معتضدة بالإجماع ، بقسميه المركب والبسيط ، وسيأتي بيانهما .

ورسالتنا هذه في أربعة فصول :

الأوّل : الله في كلّ مكان ، لا بذاته ، بل بفعله وتدبيره وقيّوميّته .

الثاني : نهض بسرد الشواهد الإرشاديّة الكثيرة على ذلك ، والتي تضمّنت براهين امتناع التركيب والحد والماهيّة والأينيّة وغير ذلك .

الثالث : نهض ببيان معنى بينونة الصفة والذات والعلو .

الرابع : نهض ببيان تدبير الذات الأحديّة للكثرة .

باسم الحليّ

كربلاء المقدّسة / العتبة الحسينيّة المقدسة

الفصل الأوّل

الله في كلّ مكان بفعله، لا بذاته

صحيح ابن أذينة

الله في كلّ مكان بإحاطته وعلمه(=تدبيره) لا بذاته

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [١]؟!!.

فقال عليه السلام : «هو واحدٌ ، وأَحَدِيُّ الذات ، **بائن من خلقه** ، وبذاك وصف نفسه ، وهو ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ **مُحِيطٌ** ﴾ بالإشراف والإحاطة والقدرة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ [٢] **بالإحاطة والعلم** ، **لا بالذات** ؛ لأنّ الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة ، **فإذا كان بالذات، لزمها الحواية**» [٣].

ورواه الصدوق قال: حدثنا حمزة بن محمد العلوي رحمه الله قال: أخبرنا علي بن إبراهيم، عن أبيه به ، بتفاوت [٤].

ففي التوحيد : «لزمه الحواية» بدل: «لزمها» .

كما أنّ فيه : «واحد ، **أحديّ** الذات» بدل : «واحد، **وأحديّ** الذات» أي من دون واو العطف التي تقتضي مغايرة الواحد للأحد، والصحيح المغايرة على الفرضين كما سيتّضح.

---

(١) المجادلة : ٧.

(٢) سبأ : ٣.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٢٧ . باب أنّ الله شيء. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٤) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٣١ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

قلت : إسناده صحيح في أعلى درجات الصحّة ؛ رجاله أجلّة الطائفة ، وثقات العصابة ، وأساطين الفرقة ، دون كلام ؛ سبيله سبيل مقطوعات الصدور ؛ لتلقّي العصابة رضوان الله عليهم له بالقبول ، ولشهادة البرهان القطعي على ما فيه ، فعضّ عليه .

قلت : الحديث إرشاد إلى امتناع أن يكون الله تعالى بذاته في مكان ما ؛ للحواية ؛ وهي ممتنعة كما بيّن المعصوم عليه السلام ، وإنّما هو في كلّ مكان ، يستبطن كلّ شيء ، بالإشراف والإحاطة والعلم والتدبير ، كما هو نصّ الحديث أعلاه ، وكما هو نصّ مكاتبة محمد بن عيسى رضي الله عنه الصحيحة الآتية قريباً ، وكما هي النصوص الصحيحة الأخرى، وستأتيك تباعاً .

قال المجلسي رضي الله عنه في البحار : والمعنى: أنّه ليست إحاطته سبحانه بالذات ؛ لأنّ الأماكن محدودة ؛ فإذا كانت إحاطته بالذات ، بأن كانت بالدخول في الأمكنة ، لزم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكن، وإن كانت بالانطباق على المكان لزم كونه محيطاً بالمتمكن كالمكان[1].

قال صدر الدين الشيرازي رضي الله عنه : فاذا كان علمه بكلّ شيء **محيطاً**، فهو : ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ كما قال تعالى في القرآن، إلاّ أنّ العقول عاجزة عن تصور هذه الإحاطة ، وكذا عن تصور معيته بكلّ شيء ، كما قال أيضاً فيه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ مع نهوض البرهان الموافق للقرآن عليه.

ولعجز العقول الضعيفة عن إدراكه، تحاشى أكثر الناس ، حتى الفضلاء عن ذلك، قائلين: بلزوم مخالطة القاذورات والنجاسات، والتكيّف بكيفية

---

(١) بحار الأنوار ٣: ٢٢٢.

الأجسام ذوات الروائح والطعوم الخبيثة، والاتصاف بصفات البهائم والسباع ، تعالى الله عن أوهام المعطلين[١] ، وعقائد المشبهين[٢] علواً كبيراً[٣].اهـ.

قلت : والبرهان قد أقامه المعصوم على الإحاطة والمعيّة، وسيأتي مزيد.

ويجب أنْ يكون المقصود بالعلم في قوله عليه السلام : (**بالإحاطة والعلم ، لا بالذات**) ليس صفة الذات ، وإلاّ عاد الإشكال كما بدأ ؛ فإنّ العلم إذا كان صفة ذات كان عين الله تعالى ، ويمتنع أن يحوي الذات مكان ؛ كونها وجودٌ بسيط بحت ، وإنية تامّة محضة .

فلا بدّ أن يكون المقصود بالعلم هيهنا، بقرينة الإحاطة والإشراف، علم القضاء والقدر؛ أو: علم القلم واللوح، كما سنبيّن في الفصل الأخير، وهو: علم الفعل والتدبير والقيّوميّة؛ أي علم الله تعالى المبذول لتدبير أمور مخلوقاته، من حيث كونه سبحانه مدبّراً لها ، قيّوماً عليها، حدوثاً وبقاءً ، إيجاداً وإعداماً ؛ إذ لا قيّوم -على الاستقلال- سواه سبحانه ، ولا مدبّر -بالذات- عداه تعالى قدسه .

وهذا هو معنى الاستواء على العرش ؛ فالعرش هو هذا العلم المتعلق بالقضاء والقدر ؛ أي: الخلق والتدبير..؛ روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن

---

(١) **المعطّلة** : **نفاة الصفات** التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه ؛ فمن ذلك أنّهم، عطّلوا أي: نفوا صفة العلو عن ذات الباري ، فقالوا : إنّ الله تعالى بذاته في كلّ مكان.
وهذا المذهب باطلٌ شرعاً ، ممتنع عقلاً ، لما استقلّ به العقل من امتناع حواية المكان ، وهو وجود محدث ناقص فقير محدود ، للقديم ، وهو : الوجود التام الصرف البسيط ، وإنّما عقدنا
(٢) **المشبّهة**، هم: **مثبتوا الصفات** التي تستلزم التشبيه والتجسيم ؛ ففيما نحن فيه قالوا : علوّ الله تعالى عن مخلوقاته ، يعني الفوق ، فأثبتوا الجهة، وكلا المذهبين باطلٌ شرعاً، ممتنع عقلاً.
(٣) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٣١٨. مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «**العرشُ : العلمُ**»(١) .

قلت : إسناده صحيح ، بأكثر من وجه.

قال المازندراني (١٠٨١هـ) في شرح الكافي : العرش ليس هو الله ، بل العرش اسمُ عِلْمٍ ، محيط بجميع الأشياء ، واسم قدرةٍ نافذة فيها ... (٢).

قلت : أي أنّ لفظ العرش ، اسم مشترك للعلم وللقدرة .

وأمّا **الاستواء** فهو : **الإحاطة العلميّة التدبيريّة** ، لكلّ ما خلق، سواء ، إيجاداً وإعداماً ، حدوثاً وبقاءً .

هاك نصّ المعصوم عليه السلام في هذا لترى ..

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٣٢ . دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٢) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ٤ : ١٠٤ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

الاستواء على العرش= الإحاطة التدبيريّة القيّوميّة

في النّص السابق قال الصادق عليه السلام : وهو ﴿**بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ**﴾ بالإشراف **والإحاطة** والقدرة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ...﴾ **بالإحاطة والعلم، لا بالذات** » .

وهذه الإحاطة هي معنى الاستواء على العرش ، يدلّ عليه ..

ما رواه الكليني عن علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى قال : كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام : جعلني الله فداك يا سيدي، قد روي لنا أنّ الله في موضع دون موضع ﴿**عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ وأنّه ينزل كلّ ليلة في النصف الأخير من الليل ، إلى السماء الدنيا ... .

فوقع عليه السلام : «... **واعلم أنّه إذا كان في السماء الدنيا ، فهو كما هو على العرش ، والأشياء كلّها له سواء ؛ علماً وقدرةً وملكاً وإحاطةً**».

قال الكليني رضي الله عنه : وعنه عن محمد بن جعفر الكوفي، عن محمد بن عيسى مثله[1].

قلت : إسناد الثاني صحيح ، وكذا الأول على الأقوى .

ومعنى الاستواء -كما حررنا- هو : تدبير الله تعالى شؤون مخلوقاته، بعلمه وقدرته وقيّوميته وإحاطته، إيجاداً وإعداماً ، حدوثاً وبقاءً، على السواء.

هذا المعنى -كما هو صريح النص- اصطلاحي ، اصطلحه المعصوم لبيان حقيقة الاستواء عند الله تعالى ؛ لامتناع استواء الله تعالى على العرش لغةً. فالاستواء في اللغة: الاعتدال في الجلوس ، وهو ممتنع ؛ لاستلزامه الحدّ ، وهو محال ؛ فتعيّن التأويل والاصطلاح ، فلا يختلطنّ عليك !!.

(١) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٢٦ . باب الحركة والانتقال. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

وإلى هذا المعنى يرجع ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن عبد الرحمن بن الحجاج ، قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[١]؟!.

فقال : «**استوى في كلّ شيء ؛ فليس شيء أقرب إليه من شيء ؛ لم يبعد منه بعيد ، ولم يقرب منه قريب ، استوى في كلّ شيء**»[٢].

قلت : إسناده صحيح .

وروى عن عليّ بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن محمد بن مارد أنّ أبا عبد الله عليه السلام سئل عن قول الله عز وجل : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ ؟!. فقال عليه الصلاة والسلام : «**استوى من كلّ شيء ؛ فليس شيء أقرب إليه من شيء**» [٣].

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مصحح معتبر .

الحاصل: استواء الله على العرش يعني : تدبير ما خلق ، حدوثاً وبقاءً، بعلمه وإحاطته وقدرته وسلطانه وملكه، كما هو صريح مثنّى الحنّاط الآتي .

ومقام التدبير ، مقام فعل لا ذات ، فالله تعالى داخلٌ في كلّ شيء ، بفعله وتدبيره، لا بذاته؛ لاستحالة حواية المكان للذات البسيطة من كل جهة.

قال المجلسي رحمه الله : ﴿إِنَّ اللهَّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأنّ نسبة ذاته ، المقتضية للعلم ، إلى الكلّ ، على السواء [٤].

---

(١) طه : ٥.

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٢٨ . باب الحركة والانتقال. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٣) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٢٨ . باب الحركة والانتقال. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٤) مرآة العقول ٢٦: ٦٩.

صحيح الحنّاط

الله تعالى في كلّ مكان ، لا بذاته

قال الصدوق(٣٨١هـ) رضي الله عنه : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رضي الله عنه، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن علي الخزاز (=الوشاء) ، عن مثنى الحناط ، عن أبي جعفر ، أظنّه محمد بن نعمان (الأحول رضي الله عنه) قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ اللّٰهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾[1] ؟!!.

قال عليه السلام : «كذلك هو سبحانه، في كل مكان».

قلت: **بذاته؟!!!.**

قال عليه السلام : «ويحك ، إنّ الأماكن أقدار[2]، فإذا قلت: في مكان بذاته ، لزمك أن تقول في أقدار وغير ذلك[3] ، **ولكن هو بائن من خلقه، محيطٌ بما خلق علماً وقدرةً وإحاطةً وسلطاناً ومُلْكاً**، وليس علمه بما في الأرض ، بأقل ممّا في السماء، **لا يبعد منه شيء ، والأشياء له سواء**[4]، **علماً وقدرةً وسلطاناً وملكاً وإحاطةً**»[5].

---

(١) الأنعام : ٣.

(٢) أي : مقدّرة ، محددة بحد .

(٣) كالجسميّة والأبعاد والتركيب والتجزّء والانقسام والجهة ، والخروج من القوّة إلى الفعل ، وغير ذلك من التوالي الممتنعة .

(٤) وهو –بضميمة ما تقدّم– صريح أنّ الاستواء على العرش يعني : التدبير والقيّوميّة ، لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء .

(٥) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٣٣ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، بناءً على ظنّ الحنّاط رضي الله عنه ، وأياً كان فقد سقناه شاهداً ، ومعناه ضروري ، شهد له العقل القطعي ، وهو من ضرورياتنا . وهو صريح في معنى الاستواء ؛ أي الإحاطة والتدبير والقيّوميّة .

كما أنّ الحديث نصٌّ إرشاديٌ في امتناع أن يكون الله سبحانه وتعالى بذاته في شيء من الأشياء أو مكان من الأمكنة ؛ لأنّه تعالى عين الوجود البسيط المحض، والإنية التامّة الصرفة ؛ أي ما لا يعرضه حد ولا يخالطه عدم، وما كان كذلك يستحيل أن يحويه الوجود الحادث الفقير ، أي : المحدود بالأعدام من كلّ جهة ، وسيأتي البيان والتبيان والبرهان في طيّات الفصول الآتية .

والنصوص في هذا متواترة ، منها : قول الرضا صلوات الله عليه : «**تبارك وتعالى عن أنْ يدرك بحد** ، أو يُحَدّ بوصف...» فهاكه ، ففيه كثيرٌ من البيان والبرهان ..

نصّ الرضا عليه السلام

في الإحاطة القيّوميّة التدبيريّة

أخرجه الصدوق (٣٨١هـ) في العيون قال : حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن يعقوب الكليني قال: حدثنا عليّ بن محمد المعروف بعلان ، عن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال:

«...**وهو سبحانه قائم** ، ليس على معنى انتصاب ، وقيام على ساق ، في كبد (=مشقّة) كما قامت الأشياء ، ولكن أخبر أنّه **قائم** ..؛ يخبر أنّه **حافظ** ؛ كقول الرجل: **القائم بأمرنا فلان** ، وهو عز وجل القائم على كل نفس بما كسبت ، والقائم أيضاً في كلام الناس: الباقي. **والقائم أيضاً** يخبر عن الكفاية ؛ كقولك للرجل: قم بأمر فلان **أي اكفه** ، والقائم منّا قائم على ساق ... .

«وأمّا **اللطيف** ؛ فليس على قلة وقضافة (=دقّة ونحافة) وصِغَر ، ولكن **ذلك على النفاذ في الاشياء** [1]، والامتناع من أنْ يدرك ؛ كقولك: لطف عن هذا الأمر ، ولطف فلان في مذهبه وقوله يخبرك انه غمض فبهر العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفاً لا يدركه الوهم ؛ فهكذا لطف الله ، **تبارك وتعالى عن أنْ يدرك بحد** [2]، أو يُحَدّ بوصف ، واللطافة منّا الصغر والقلّة ؛ فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

---

(١) تواترت نصوص أهل العصمة عليهم السلام أنْ ليس لله تعالى حد ، وهي إرشاد إلى استقلال العقل في امتناع الحدّ على الذات الأحديّة المحضة البسيطة .

(٢) اختلف النّاس في معنى اللطيف ، والصحيح أنّه : النافذ في الأشياء وفي كلّ مكان ، علماً وتدبيراً وقيوميّةً. كما قال المعصوم عليه السلام.

وأمّا **الخبير**؛ فالذي **لا يعزب عنه شيء ولا يفوته**، ليس للتجربة والاعتبار بالأشياء؛ فتفيده التجربة والاعتبار علماً، لولاهما ما علم؛ لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً، والله تعالى لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس: المستخبر عن جهل ، المتعلم . وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وأمّا الظاهر ، فليس من أجل أنّه علا للأشياء ، بركوبٍ فوقها ، وقعود عليها ، وتسنم لذراها ، ولكن ذلك لقهره ، ولغلبه الأشياء ، وقدرته عليها [١]؛ كقول الرجل: ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي يخبر على الفلج[٢] والغلبة، فهكذا ظهور الله على الأشياء.

ووجه آخر وهو: أنّه وهو الظاهر لمن أراده ، لا يخفى عليه شيء **وأنّه مدبّر لكلّ ما يُرى** ؛ فأيّ ظاهر أظهر وأوضح أمراً من الله تعالى؟!. فإنّك لا تعدم صنعته حيثما توجهت ، وفيك من آثاره ما يغنيك ، والظاهر منّا البارز بنفسه والمعلوم بحده ؛ فقد جمعنا الاسم ، ولم يجمعنا المعنى.

وأمّا الباطن ، فليس على معنى الاستبطان للأشياء ، بأن يغور فيها ، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً [٣] ؛ كقول القائل: ابطنته يعنى خبرته ، وعلمت مكتوم سره ، والباطن منّا بمعنى : الغائر في الشيء ، المستتر ، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

---

(١) لجلالة هذا المعنى وخطورته في الأمّة ، أفردنا له فصلاً سيأتي ، فمن هاهنا انقسم المسلمون إلى معطلة ومشبهة قبال مشهور المسلمين شيعة وسنّة، وسيأتي الكلام .

(٢) الفلج: الظفر، وقد فلج الرجل على خصمه ، إذا غلب .

(٣) فمعنى الباطن : أنّه تعالى استبطن الأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً ، وهو معنى أنّ الله تعالى داخلٌ في كلّ مكان ، وفي كلّ الأشياء ، لا أنّه سبحانه داخلٌ فيها بذاته ، تعالى الله عن هذا علوّاً كبيراً.

وأمّا **القاهر** ، فإنّه ليس على معنى علاج ونصب واحتيال ومداراه ومكر ، كما يقهر العباد بعضهم بعضاً ؛ فالمقهور منهم يعود قاهراً ، والقاهر يعود مقهوراً ، ولكن ذلك من تبارك وتعالى ، على أنّ **جميع ما يخلق ، ملتبسٌ به الذّل لفاعله**[١] ، وقلّة الامتناع لما أراد به ، **لم يخرج منه طرفه عين** ، غير أنّه يقول له: كن فيكون .

والقاهر منّا على ما ذكرت ووصفت ؛ فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى وهكذا جميع الأسماء ، وإنْ كنّا لم نسمها كلّها ، فقد يكتفى الاعتبار[٢] بما القينا اليك ، والله عز وجل عوننا وعونك ، في إرشادنا وتوفيقنا[٣].

قلت : إسناده صحيح .

---

(١) المقصود بالذلّ : الفقر والحاجة للمبدء الأوّل سبحانه ، وجوداً وبقاءً ، آناً فآن .

(٢) المقصود بالاعتبار هيهنا : القياس العقلي (=تحقيق المناط) فبقيّة أسمائه تعالى أو جلّها تشترك بين الخالق والمخلوق لفظاً ، لكن لا معنىً ، فمعناها هناك غير معناها هنا ؛ فمعناها عند الخالق عين الكمال والاستقلال ، وعند المخلوق عين النقص والحاجة إلى العلّة .

(٣) عيون أخبار الرضا (ت: حسين الأعلمي) ٢ : ١٣٤ . مؤسسة الأعلمي، بيروت.

تصاريح القدماء رحمهم الله أنّ الاستواء إحاطة وتدبير

قال الصدوق رضي الله عنه في كتاب التوحيد : والاستواء هو : الاستيلاء الفعلي ، الظاهر عن مقام الذات في الخلق بعد الايجاد.

وحاصل المعنى : أنّه تعالى **استوى على العرش** ؛ الذي هو جملة الخلق في بعض التفاسير، **بتدبير الأمر**، **ونفاذه فيه** ، بعد الإيجاد [1].اهـ.

قال الكليني رضي الله عنه شارحاً : قال عليه السلام : (**لكن أحاط بها علمه** ، **وأتقنها صنعه**) أي هو في الأشياء **بالإحاطة والتدبير**[2].

قلت : على هذا قاطبة أصحابنا رضوان الله تعالى عليهم ، ولا داعي لسرد كلّ كلماتهم الشريفة في هذا ، كونه ضرورياً عندنا .

وأياً كان ، فهذا العلم –كما ألمحنا– هو معنى العرش في قوله سبحانه وتعالى : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ وربما ورد أنّ العرش اسم جامع لكلّ ما خلق سبحانه ، ولا ينافي كونه علماً ، على ما تقرّر في قاعدة بسيط الحقيقة كلّ الأشياء واتحاد العالم والعلم ، وسيأتي البيان..

ولا يسعنا البسط في بيان كلّ هذا وتبيانه هيهنا ، نرجئه إلى رسائلنا الآتية ؛ كرسالتنا في علم المعصوم عليه السلام ، أو رسالتنا في العرش وغيرهما؛ فثمّة ظرائف لا يطيقها ما نحن فيه، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العظيم .

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٣١٨. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٣٧ . باب جوامع التوحيد. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

بيان قوله عليه السلام : أَحَدِيُّ الذات وأَحَدِيُّ المعنى

مرّ في صحيح ابن أذينة قول الصادق عليه السلام: «هو **واحد** ، و**أَحَدِيّ الذات** ، بائن من خلقه، وبذاك وصف نفسه، وهو ﴿**بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ**﴾ بالإشراف والإحاطة والقدرة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾[1].

وفي هذا روى الكليني رضي الله عنه عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه عن العباس بن عمرو ، عن هشام بن الحكم ، في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام فكان من سؤاله أن قال له : فله رضا وسخط؟!.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «نعم ، ولكن ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين ؛ وذلك أنّ الرضا : حالٌ تدخل عليه ، فتنقله من حال إلى حال ؛ لأنّ المخلوق أجوف ، معتمل ، مركّب ، **للأشياء فيه مدخل** ، وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه ؛ لأنّه **واحد**..؛ **وأَحَدِيّ الذات** ، **وأَحَدِيّ** المعنى ؛ فرضاه ثوابه ، وسخطه عقابه ، **من غير شيء يتداخله** ، فيهيجه ، وينقله من حال إلى حال ؛ لأنّ ذلك من صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين»[2].

قلت : إسناده معتبر بغيره ، ومعناه ضروريّ ، ناهيك عن تلقّي الأصحاب له بالقبول ، والعبّاس بن عمرو هو : الفقيمي ، كما في توحيد الصدوق قدس سره ، وهو مجهول الحال.

---

(١) سبأ : ٣.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١١٠. باب الإرادة. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

تنبيه في اعتبارات الذات !!

قال صدر الدين الشيرازي رحمه الله : **واحدٌ** : **لا مثلَ له** ، **ولا شريك**. وهو **أَحَدِيُّ الذات** : **لا جزءَ له**، **بوجه** [١].

قلت : قوله الشريف : (بوجه) أي لا جزءَ له سبحانه ، خارجّياً ماديّاً ، ولا وهميّاً ، ولا عقليّاً . كما قد قال قدس سره : الواجب تعالى ، **أحديّ** الذات ، **فرداني** الوجود[٢] .

قلت : يلزم التنبيه أنّ هناك اعتبارات ثلاثة للذات :

الأوّل : أحديّ الذات .

أَحَدِيُّ الذات : **بساطة الذات** ؛ أي هي غير مركبّة من وجود وعدم . ولك أن تقول : ليس لذاته المقدّسة حد أو ماهيّة أو جزء . اتفق على هذا أهل المعقول دون نكير أعلمه ، وهو ما عليه قاطبة أصحابنا .

فكلّ مخلوق ، محدود بحد ، هو جهة فقره وحاجته ؛ فمعنى كون الذات الإلهيّة أحديّة : أنّها بسيطة لا حدّ لها ، منزهة عن النقائص والأعدام والأجزاء والانقسام ؛ إذ الحدّ يعني الفقر والنقص والحاجة والتركيب ، وجوداً وبقاءً ، أجمع على ذلك الأنبياء عليهم السلام وجمهور الحكماء .

الاعتبار الثاني : واحدي الذات .

الواحد: **فردٌ** ، **لا ثاني له** . ومعنى : لا ثاني له ؛ أي : لا مثل له ، ولا قرين، ولا شبيه ، ولا شريك ، ما شئت فعبّر ، بيانه ..

---

(١) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٢٣٠ . مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

(٢) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٣. مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

الله تعالى عين حقيقة الوجود المحض التام الصرف البسيط ، **وهذا لا ثاني له** ، **ولا يتكرر** ؛ إذ لا يوجد غير الوجود المحض البسيط ، ليكون ثانياً أو يتكرر ، إلاّ العدم ، والعدم لا شيئيّة له ولا حقيقة .

وأمّا المخلوقات فهي وإن كان لها وجود حقيقي ، إلاّ أنّه ليس محضاً ولا صرفاً ولا بحتاً ؛ كونه بالغير ، لا بالاستقلال كما هو وجود الواجب .

وبعبارة ثانية : لا موجود على الاستقلال سواه ، وكلّ ما عداه من مخلوقاته ، فمن مراتب تنزلاته ، ورشحات وجوده .

الحاصل : فمعنى **الواحد** : **عين الوجود التام ، الصرف المحض** ، الأقدس الأشدّ البسيط ، وهذا فردٌ ، لا ثاني له ولا يتكرر ؛ لما بيّناه ، أجمع على ذلك الأنبياء عليهم السلام وجمهور الحكماء.

الاعتبار الثالث : أَحَدِيُّ المعنى.

لتوضيحه نقول : أجمع أهل القبلة إجماعاً مركّباً ، أنّ صفات الله الحقيقيّة، ثلاثة هي الحياة والقدرة والعلم ، واختلفوا في السمع والبصر والإرادة وغيرها على أقوال . وكلّ هذه الصفات لمعنى واحد لا غير ، هو الله تعالى ؛ فالله سبحانه هو : عين الوجود الواجب بالاستقلال ، المحض التامّ البسيط . وهذا لا ثاني له ولا يتكرّر ؛ إذ لا شيء غير الوجود ليكون ثانياً .

إذا اتّضح هذا فحينما نقول : الله عالم ، فهو بعينه قولنا : الله قادر ، وهو بعينه قولنا : الله حيّ ، وهو بعينه قولنا : الله سميع...، وإلاّ لزم الخلف المحال ، وهو أن لا يكون الله تعالى عين الوجود المحض البسيط والإنية الصرفة .

الزبدة : فلأنّه عين الوجود المحض البسيط ، لا تتعدّد حيثياته ؛ للزوم أن لا يكون بسيطاً محضاً . أمّا في المخلوق ؛ فكلاًّ.

ولتوضيح هذا نقول : الإنسان واحد في اللفظ ، لكنّه ليس أحدي المعنى من كلّ حيثيّة ؛ كونه يسمع بغير ما يبصر ، ويبصر بغير ما يشم ، ويشم بغير ما يذوق ، وهكذا ، وهذه المعاني كثيرة مختلفة .

أمّا أحديّ المعنى ، فسمعه ورؤياه عين علمه ، وعلمه عين قدرته ، وكلاهما عين حياته...، والمقصود أنّ صفاته سبحانه ليست زائدة على ذاته كما في الإنسان الخارجي ، بل هي عين ذاته .

يدلّ على كلّ هذا ما رواه الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن حماد ، عن حريز ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال في صفة القديم: «إنّه **واحد** ، صمد ، **أَحَدِيُّ المعنى** ، **ليس بمعاني كثيرة مختلفة** ».

قال محمد بن مسلم : جعلت فداك ، يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الذي يبصر ، ويبصر بغير الذي يسمع؟!!.

فقال عليه السلام : «كذبوا وألحدوا وشبهوا ، تعالى الله عن ذلك إنّه سميع بصير ، **يسمع بما يبصر** ، **ويبصر بما يسمع**».

قال محمد بن مسلم : يزعمون أنّه بصير على ما يعقلونه؟!!.

قال عليه السلام : «تعالى الله ، إنّما يعقل ما كان بصفة المخلوق ، وليس الله كذلك» [1].

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٠٨ . دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

قلت : إسناده صحيح ، في أعلى درجات الصحّة ، رواته أساطين الرواية، وجهابذة الملّة .

قال صدر الدين الشيرازي رحمه الله شارحاً : (**أَحَدِيٌّ** المعنى)؛ أي لا جزء له ، لا عيناً ، ولا عقلاً بحسب الوجود العقلي ، ولا ذهناً بحسب التحليل الذهني . وقوله عليه السلام : **(ليس بمعاني كثيرة مختلفة)** أي معاني يقتضي كثرتها تركيباً من الأجزاء ، أو اختلافا في الجهات والحيثيات، بل جميع نعوته وصفاته، موجودة بوجود ذاته، وحيثية ذاته بعينها حيثية علمه وقدرته وسائر صفاته الإيجابية[1]. اهـ.

قلت: فكما أنّه سبحانه أحديّ ؛ أي بسيط الذات ، وواحدي ؛ أي : لا ثاني له ، عيناً وخارجاً وتحققاً ، فهو سبحانه كذلك ، ذهناً وعقلاً ؛ فذات الله تعالى حتى في الوجودين الذهني والعقلي بسيطة ، لا جزء لها ، ولا ثاني لها ؛ ضرورة أنّ الخيال والعقل عاجزان تماماً أن يتوهما الحد والتركيب في ذات الله تعالى المحضة الصرفة، ولا أن يتوهما المثل والشريك والثاني والشبيه.

إذا اتّضح هذا ، فحاصل معنى الحديث :

إنّ ذات الله تعالى ، في مقام الفعل والتدبير والإحاطة بالأشياء ؛ كالإماتة والإحياء ، والرضا والغضب ، والإيجاد والإعدام و...، أحديّة من كلّ جهة ، واحديّة على كلّ حال ، لا تنتقل من حال إلى حال ، فعليّة محضة ، لا يطرأ عليها التقدّر والتغيّر والتبدلّ والتجدد والحدوث، وسيأتي بيان هذه المقولات.

---

(١) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٣٩. مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

وهذا هو الذي يعبّر عنه بعض أساطين الحكمة : بالتفصيل في عين الإجمال ، أو : الكثرة في عين الوحدة والبساطة . أو بسيط الحقيقة كلّ الأشياء .

وكذا قولهم في المرتبة اللاحقة : الإجمال في عين التفصيل ؛ أي : الوحدة في عين الكثرة .

وقد أجملها صدر الدين الشيرازي قدس سره قال : تحقيق مسألة الوجود **ووحدته الذاتية** ، التي **لا تنافي كثرة شؤونه وتجلّياته**، ومعرفة أنّ تعيّن الماهيات ، إنّما نشأ من **مراتب تنزلاته** . اهـ.

وبعبارة بسيطة جدّاً : فالكثرة الخارجية للأشياء في عالم الدنيا ، هي مرتبة نازلة خسيسة دنيّة ، من مراتب الوجود الواجب ، الأحد الواحد، الأشرف البسيط ؛ إذ المرتبة الشديدة ، لكلّ الأشياء المتكثّرة –تفصيلاً– في مرحلة الفعل والإيجاد ، هي واحدة بسيطة –مجملة– في مرحلة العلم والذات .

ولأهمّيّة هذا فيما نحن فيه ، ولتعسّر فهم هذه القاعدة على الجلّ كما يلزم، أفردنا لها رسالة مستقلّة ، لا تسعنا الآن ، عرضت لبيان ما نحن فيه ، نسأل الله تعالى إتمامها.

الإحاطة التدبيريّة تعني : الإحاطة القيّوميّة !!

قال صدر المتألهين رضوان الله عليه: البارىء جل جلاله ؛ لكونه **محيطاً** بجميع الموجودات ، **إحاطة قيّومية** ، فنسبة معيته تعالى إلى الثابت(١) ، والمتغير(٢)، والمجرد(٣) ، والمكاني(٤) ، نسبة واحدة ، لم يزل ، ولا يزال ، من غير أن يتصور في حقه ، تغير وتجدّد بوجه من الوجوه، لا في ذاته(٥) ولا في صفته(٦)... (٧).

وقال أيضاً: ليس جزء من الأمكنة والأزمنة وذرّة من ذرات الأكوان ، إلاّ والحق تعالى بهويته القدسيّة معه(٨) ، **معيّة غير مكانية ولا زمانية** ، **ومحيط به إحاطة قيومية** ، غير وضعيّة(٩)، فهو تعالى في جميع الأماكن والمواضع ، ومع كلّ الأوقات والساعات ، من غير تقدر ولا تجزّء ولا تقيّد ولا انحصار ... .

قلت سيأتي سرد عبارته الشريفة أعلاه وبيانها بتمامها ، فانتظر.

---

(١) كعالم الدهر ، فهذ العالم ثابت ، والمعنى : أنّه خارجٌ عن وعاء الزمان ، محيطٌ به ، معه ، لا فيه ، والكلام هو الكلام في عالم السرمد ؛ فهو محيط بعالم الدهر ، معه لا فيه .

(٢) المتغيّر المتجدد هو عالم الدنيا ، أي عالم التصاحب بين الزمان والمكان ؛ فكلّ شيءٍ فيه متحرّك ، له مبدء ومنتهى في الزمان ، خارجٌ من القوّة إلى الفعل . وليس هذا حال عالم الدهر؛ كونه محيطاً بالزمان ، كلّه فعليّة .

(٣) كالعقل والروح ، وكذا النفس قبل تلبّسها بالبدن .

(٤) عالم المكان ، هو عالم الحدود والأبعاد والجهة ، فكلّ شيء مكاني ، له حد وجهة .

(٥) وإلاّ لزم أن تكون ذاته محلاً للحوادث ، وهو محال ... .

(٦) لأنّ صفاته –الحقيقيّة– عين ذاته ... .

(٧) شرح أصول الكافي(ت: محمد خواجوي) ٣ : ٨٤. مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

(٨) الهويّة : ما به يمتاز الموجود عن غيره في عالم التحقّق . والهويّة الإلهيّة: الوجود المحض والإنية الصرفة. وأمّا كون الهويّة الإلهيّة قدسيّة ؛ فلأنّها تنزّهت عن الحدود والأعدام .

(٩) من الوضع أي المكان .

معنى القيّوم : القائم بتدبير الخلق

قال التستري (٢٨٣هـ) في تفسيره : ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ **القائم على خلقه بكلّ شيء** ، بآجالهم ، وأعمالهم ، وأرزاقهم ، المجازي بالإحسان إحساناً ، وبالسيئات غفراناً ، وبالنفاق والكفر والبدعة عذاباً... [1].

قال الطبري (٣١٠هـ) : ﴿الْقَيُّومُ﴾ القائم برزق ما خلق وحفظه . وقال الضحاك : ﴿ الْقَيُّومُ﴾ القائم الدائم[2].

وفي موضع آخر قال الطبري : ﴿الْقَيُّومُ﴾ : القيّم بحفظ كلّ شيء ورزقه **وتدبيره** ، وتصريفه فيما شاء وأحبّ ، من تغيير وتبديل وزيادة ونقص.

كما حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى بن ميمون قال، حدثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه:﴿الحي القيوم﴾ قال: القائم على كلّ شيء.

وحدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: القيام على مكانه، ووجَّهوه إلى القيام الدائم ، الذي لا زوالَ معه ولا انتقال، وأنّ الله عز وجل إنّما نفى عن نفسه...، التغيُّرَ والتنقلَ من مكان إلى مكان، وحدوثَ التبدّل الذي يحدث في الآدميين ، وسائر خلقه غيرهم.

---

(١) تفسير التستري(ت: محمد البلدي) : ٣٧. دار الكتب العلميّة ، بيروت.

(٢) تفسير الطبري (ت: شاكر) ٥: ٣٨٩ . الرسالة ، بيروت.

قال أبو جعفر الطبري : وأولى التأويلين بالصواب ما قاله مجاهد والربيع، وأنّ ذلك وصفٌ من الله تعالى ذكره نفسه بأنّه : **القائم بأمر كلّ شيء، في رزقه والدفع عنه، وكلاءَته وتدبيره وصرفه في قدرته** ، من قول العرب: فلان قائم بأمر هذه البلدة، يعنى بذلك: **المتولي تدبيرَ أمرها** [1].

قلت : ما ذكره الآخرون ، تام –في نفسه– شهد له البرهان اليقيني ، والنّص القطعي دون أدنى كلام ، لكن لفظ القيّوم ربما لا يدلّ عليه ؛ إذ قد يُدّعى أنّه لم يوضع في أصل الوضع لما ذكروه .

لكن ربما يقال : بأنّ الدوام لازم غير مفارق للقيّوميّة ، وله وجه وجيه جداً ؛ لذلك جمع بينهما الطبرسي رضي الله عنه قال :

﴿القيّوم﴾ : الدائم القيام ، بتدبير الخلق وحفظهم[2] .

وقال شيخ مشايخنا الصدوق : ﴿القيّوم﴾ القيوم والقيام هما : فيعول وفيعال ، من قمت بالشيء ، إذا وليته بنفسك ، وتوليت حفظه ، وإصلاحه وتقديره، ونظيره قولهم: ما فيها من ديّور ولا ديّار[3] .

الحاصل :

القيّوم: القائم بتدبير كلّ ما خلق، إيجاداً وأعداماً، حدوثاً وبقاءً، آناً فآن.

---

(١) تفسير الطبري (ت: شاكر) ٦ : ١٥٨ . الرسالة ، بيروت.

(٢) تفسير جمع الجوامع ١ : ٢٣٤. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٣) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٢١٠. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

إجماع أهل السنّة في إحاطة التدبير

يحتاج البسط في هذا العنوان ؛ أي موافقة مشهور أهل السنّة لما قال أهل البيت عليهم السلام ، بل دعوى الإجماع منهم ، رسالة خاصّة، لا تسعنا هيهنا، حسبنا الإشارة إلى أنّ معويّة الله تعالى للأشياء، ولكلّ ما خلق ، إنّما هي معوية بالعلم والإحاطة والقدرة ، إيجاداً وإعداماً ، حدوثاً وبقاءً ، آناً فآن .

قال عمر بن عليّ الدمشقي (٧٧٥هـ) في تفسيره اللباب : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعني: **بقدرته وسلطانه وعلمه**[١].

قال ابن عطيّة الأندلسي (٥٤٢هـ) : وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ** أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾ معناه **بقدرته وعلمه وإحاطته**. وهذه آية **أجمعت الأمة** على هذا التأويل فيها، وأنّها مخرجة عن معنى لفظها المعهود، ودخل في الإجماع من يقول بأن المشتبه كلّه ، ينبغي أن يمر ويؤمن به ولا يفسر ؛ فقد أجمعوا على تأويل هذه ؛ لبيان وجوب إخراجها عن ظاهرها. قال سفيان الثوري: علمه معكم. وتأولهم هذه حجة عليهم في غيرها[٢].

قلت : وهو عين ما ذكره الصادق عليه السلام ، ولا تغفل عن دعوى الإجماع ؛ فهو من المركّب ، لا البسيط ، وسيأتي التوضيح .

وقال الرازي (٦٠٦هـ) : قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ** أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾ وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٣] وقال: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى...﴾ .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (ت: عادل الموجود) ١٨: ٤٥٥ . دار الكتب العلميّة ، بيروت.

(٢) تفسير ابن عطيّة(ت: عبد السلام محمد) ٥: ٢٥٧ . دار الكتب العلميّة ، بيروت.

(٣) ق: ١٦.

والمسلمون يقولون: إنّه تعالى **بكلّ مكان** ويريدون به:**التدبير والحفظ والحراسة**(١).

قلت : قوله : المسلمون ، مشعرٌ أو ظاهرٌ بالإجماع .

وقال ابن جزي الكلبي(٧٤١هـ) في تفسيره : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾ يعني : أنّه حاضر مع كل أحد **بعلمه وإحاطته**. **أجمع العلماء** على تأويل هذه الآية بذلك(٢) .

قلت : وهو صريحٌ في الإجماع .

وقال أبو حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ): ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ﴾ : أي بالعلم والقدرة. قال الثوري: المعنى علمه معكم، وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها، وأنها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات، وهي حجة على من منع التأويل في غيرها مما يجرى مجراها من استحالة الحمل على ظاهرها(٣).

وقال الإمام البيضاوي(٦٨٥هـ): ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ لا ينفك **علمه وقدرته عنكم بحال**(٤).

قال عبد القاهر ، أبو بكر الجرجاني (٤٧١هـ) : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا **هُوَ مَعَهُمْ** ﴾(٥) من مجاز الكلام .

---

(١) تفسير الرازي ٥: ٢٦٢. دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

(٢) تفسير ابن جزي (ت: د. الخالدي) ٢: ٣٤٣. شركة دار الأرقم ، بيروت.

(٣) تفسير ابن حيّان(ت: صدقي جميل) ١٠: ١٠١. دار الفكر ، بيروت .

(٤) تفسير البيضاوي(ت: محمد المرعشلي) ٥: ١٨٥. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥) المجادلة : ٧ .

وحقيقته : استحالة اجتماعهم من غير أن يجمع ، وتناجيهم من غير أن يسمع، فهو واحد قبلهم ، وواحد معهم ، وواحد بعدهم، **تعالى عن كلّ اتصال وانفصال** ، وانعقاد وانحلال[1]. اهـ.

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [2] : هو معنا أينما كنّا ، من غير حلول في المحالّ (جمع محلّ) ، ولا انتقال، ولا ارتحال[3].

قلت : معويّة الله تعالى للأشياء ، هي المنزّهة عن كلّ اتصال وممازجة ، وانفصال ومباينة .

وقال الإمام الواحدي (٤٦٨هـ) في تفسيره الوسيط : قال أهل المعاني: يريد: قربة بالعلم، كما قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [4] يريد: بالعلم[5].

وقال السمعاني (٤٨٩هـ) : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ... وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا **هُوَ مَعَهُمْ** ﴾ **بالعلم والقدرة**[6] .

قال الثعلبي : قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا **وَهُوَ مَعَكُمْ** ﴾ **بالعلم والقدرة** ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [7].

---

(١) درج الدرر (ت: أياد القيسي) ٤: ١٦٠٣. مجلّة الحكمة ، بريطانيا .

(٢) الحديد : ٤.

(٣) درج الدرر (ت: أياد القيسي) ٢: ٦١٨. مجلّة الحكمة ، بريطانيا .

(٤) الحديد : ٤.

(٥) التفسير الوسيط (ت: عادل الموجود) ١: ٢٨٤ . دار الكتب العلميّة ، بيروت.

(٦) تفسير السمعاني (ت: ياسر إبراهيم) ٥: ٣٨٦. دار الوطن ، الرياض .

(٧) تفسير الثعلبي(ت: نظير الساعدي) ٩: ٢٣١ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

وقال القشيري (٤٦٥هـ) في تفسيره لطائف الإشارات : ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ **بالعلم والقدرة**[١].

وقال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ...﴾ أي: بعلمه وقدرته[٢].

وقال الإمام الرازي (٦٠٦هـ) في تفسيره : وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣] نظير قوله: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾[٤] فعلى هذا يكون المراد منه سعة العلم، وهو نظير: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وقوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾[٥] وقوله: ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[٦] عمّ كلّ شيء ، **بعلمه وتدبيره وإحاطته به** ، وعلوه عليه[٧].

وقال النسفي(٧١٠هـ) : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بالعلم والقدرة عموماً ، وبالفضل والرحمة خصوصاً[٨].

وقال النيشابوري(٨٥٠هـ): وقوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ معية العلم والقدرة[٩].

---

(١) لطائف الإشارات (إبراهيم بسيوني) ٣ : ٤٣٥ . الهيئة المصرية للكتاب. مصر.
(٢) زاد المسير(ت: عبد الرزاق مهدي) ٤ : ٢٣٢. دار الكتاب العربي ، بيروت.
(٣) البقرة : ١١٥.
(٤) الرحمن : ٣٣.
(٥) غافر : ٧.
(٦) طه : ٩٨.
(٧) تفسير الرازي ٤ : ٢٠ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
(٨) تفسير النسفي(ت: يوسف بديوي) ٣ : ٤٣٣ . دار الكلم الطيب ، بيروت.
(٩) تفسير النيشابوري(ت: زكريا عميرات) ٦: ٢٥٣ . دار الكتب العلمية ، بيروت.

تفسير قوله تعالى : ﴿هو معكم أينما كنتم﴾

نقول للتأكيد : نحسب أنّ تفسير هذه الآية الشريفة ، بعد ما قدمناه آنفاً، أضحى جليّاً جدّاً ؛ فالمعويّة هيهنا : لا تعني معويّة الذات ، وإلاّ لزم إمّا الحلول، وإمّا التحيّز والحد ، وكلاهما محال .

بل معويّة العلم والتدبير والإحاطة والقدرة ، ولك أن توجز ذلك فتقول : **المعيّة القيّوميّة** ، كما قال غير واحد من جهابذة الفريقين ، بل ادعوا فيه الإجماع كما بان .

قال صدر المتألهين : هذه المعية المذكورة ، **معية قيومية** ، ولا شي ء غيره قيّوماً للأشياء؛ اذ كلّ شيء غيره ، فله مبدأ ...[1].

و**القيّوم** : **هو المدبّر لما خلق** ، إيجاداً وإعداماً ، حدوثاً وبقاءً ، آناً فآن.

أو : **القائم بتدبير ما خلق** ....، ماشئت فعبّر .

قال ابن عطيّة الأندلسي (٥٤٢هـ) : وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾ معناه بقدرته وعلمه وإحاطته[2].

وقال ابن تيمية(٧٢٨هـ) : ﴿وَهُوَ﴾ يعنى بقدرته وسلطانه وعلمه ﴿مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[3].

فاحفظ هذا جيّداً .

---

(١)شرح أصول الكافي(ت: محمد خواجوي)٣: ١٦٦ . مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

(٢) تفسير ابن عطيّة (ت: عبد السلام شافي) ٥: ٢٥٧. الكتب العلميّة ، بيروت.

(٣) شرح حديث النزول: ١٢٨ . المكتب الإسلامي ، بيروت.

الإجماع المركب لا البسيط

وذلك لأنّ قاطبة المسلمين ، شيعة وسنّة ومعتزلة وخوارج وحتى الوهابيّة ، بل حتّى الجهميّة ، على أنّ الله تعالى في كلّ مكان ، وفي كلّ شيء ، بعلمه وتدبيره وقيوميتّه..، وهذا إجماع –مركّب– لا كلام فيه ؛ إذ الجميع يؤمن ويعتقد أنّ الله تعالى هو مدبّر الأشياء ، لا قيّوم لها سواه ، جلّ في علاه ..

لكن اختلفوا –عدا هذا– على مذهبين رئيسيين :

المذهب الأوّل : المعطّلة.

وهم جماعات من الأشاعرة ، نفوا (=عطّلوا) صفات الواحد الأحد الحقيقيّة الثابتة بنصّ القرآن ، والذي دعاهم إلى ذلك شبهة امتناع الكثرة في ذاته البسيطة سبحانه ؛ قالوا –واللفظ لي– : صفات مثل العلم ، والقدرة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، متغايرة لفظاً ومعنى ؛ فهي كثيرة ، يمتنع إثباتها لله تعالى ؛ وإلاّ لزمت الكثرة في ذاته الصرفة البسيطة ، وهو محال .

لكن لمّا لم يسعهم إنكار الصفات؛ لورودها في القرآن ، قالوا: هي مجاز ، لا حقيقة ؛ إذ لا وجود إلاّ للذات الإلهيّة ، وأمّا الصفات فتأوّلوها بأنّها مجازيّة تنوب عن الصفات الحقيقيّة ؛ إذ ليس ثمّة صفات ، وإنّما ذات لا غير.

وقد تقول : أليس هذا قريب من عقيدة أهل البيت عليهم السلام أنّ صفاته الحقيقيّة عين ذاته ؛ إذ المعطّلة يقولون : ذاته تنوب عن صفاته ، والجميع يقول : ذاته صرفة بسيطة سبحانه ؟!!!

قلنا : كلاّ ، فلقد ترتّب على عقيدتهم في نفي الصفات ، ومجازيّتها ، ما هو ممتنع ذاتاً ؛ كالحلول والاتحاد .

ومن هذه الصفات صفات العلو ، كما في قوله : ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾[1] و: ﴿وَهُوَ **الْعَلِيُّ** الْعَظِيمُ﴾[2] و: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ **الْأَعْلَى**﴾[3] فلأنّهم فهموا من العلو ، جهة الفوق ، أي : بينونة المكان والجهة والتحيّز والفرجة، وهذا محال ، ولم يفهموا بينونة الذات والصفة والعليّة ، كما ذكر أهل البيت عليهم السلام ، وسيأتي التفصيل في الفصل الثالث ، نفوها وعطّلوها ، وذكروا أنّها مجاز ..

فممّا ترتّب على ذلك ، ممّا هو ممتنع ذاتاً ، كما هو عند قدماء الجهميّة ، أتباع الجهم بن صفوان[4] ؛ كالمريسي[5]. ، قالوا : إنّ الله تعالى **بذاته في كلّ شيءٍ** وفي كلّ مكان ، حتى في المرحاض والعياذ بالله ؛ إذ العلو مجاز ليس بحقيقة!!.

قلنا : سيأتي أنّ العلو مجاز ، لكن لم يفهموا أنّه مؤوّل ببينونة الذات والصّفة ، لا بينونة المكان والجهة ؛ لذلك لم يتابعهم أحد من أهل القبلة ، لا سنّة ولا شيعة ولا خوارج ولا وهابيّة ، تعالى الله عمّا ذكروا علوّاً كبيراً .

المذهب الثاني : المثبتة المشبّهة !!

وهم: من أثبت للخالق تعالى صفات المخلوق ، فشبّهوه بمخلوقاته ، بما هو ممتنع بذاته، ومن ذلك أنّهم أثبتوا له الأين الحدّ والجهة والعزلة والفرجة.

قال عثمان بن سعيد الدرامي (٢٨٠هـ) في ردّ المريسي:

---

(١) سورة ارعد: ٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) سورة الأعلى : ١.

(٤) الجهم بن صفوان الترمذي (١٣٠هـ) .

(٥) بشر بن غياث المريسي (٢١٨هـ) ، كان أبوه يهوديّاً ، وكان فقيهاً متكلماً بارعاً ، من زعماء التعطيل (=نفاة الصفات) في هذه الأمّة .

وأمّا قولك: **غير بائن باعتزال، ولا بفرجة بينه وبين خلقه**، فقد كذبت فيه وضللت ، عن سواء السبيل، بل هو بائن من خلقه **، فوق عرشه** ، **بفرجة بيّنة**، والسموات السبع ، فيما بينه وبين خلقه في الأرض، وهو يعلم من فوق عرشه ما هم عاملون، لا يخفى عليه منهم خافية [1].

وقال الدارمي أيضاً في ردّ المريسي: وصرحتَ أيضاً بمذهب كبير فاحش ، من قول الجهمية فقلت: إذا قالوا لنا: أين الله؟!. فإنّا لا نقول بالأينية بحلول المكان، إذ قيل: أين هو؟!. قيل: على العرش وفي السماء.

فيقال لك، أيها المعارض: ما أبقيت غاية في نفي استواء الله على العرش واستوائه إلى السماء ، إذ قلت: لا نقول: إنّه على العرش وفي السماء بالأينية، ومن لم يعرف أنّ إلهه فوق عرشه، فوق سمواته، فإنّما يعبد غير الله، ويقصد بعبادته إلى إله في الأرض ، ومن قصد بعبادته إلى إله في الأرض ، كان كعابد وثن؛ لأنّ الرحمن على العرش ، والأوثان في الأرض، كما قال لجبريل : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [2] ففي قوله **دليل على البينونة والحد** بقوله: ﴿ ثَمَّ﴾ **لا هاهنا في الكنف والمراحيض كما ادعيتم.**

وإنْ أبيت أيها المعارض أن تؤيّن الله تعالى ، وتقرّ به ، أنّه فوق عرشه، دون ما سواه، **فلا ضير على من أيّنه**، إذ رسوله ونبيه صلوات الله عليه وسلامه قد أيّنَه. فقال للأمة السوداء: أين الله؟!. قالت: في السماء قال: «أعتقها فإنّها مؤمنة» وكذلك أيّنَـه رسول الله وخليله إبراهيم أنّه في السماء [3].

---

(١) نقض الدارمي على المريسي(ت: رشيد الألمعي) ١: ٤٤١. مكتبة الرشد ، الرياض.
(٢) التكوير : ٢٠.
(٣) نقض الدارمي على المريسي(ت: رشيد الألمعي) ١: ٤٨٩. مكتبة الرشد ، الرياض.

قلت : أجمع الجميع -إجماعاً مركبّاً- أنّ الله تعالى في كلّ شيء، وفي كلّ مكان ، بعلمه وإحاطته وتدبيره ، لكن قال الجهمية : إنّ الله تعالى بذاته في الأشياء ، وبطلانه أوضح من أن يخفى ، وإلاّ لزم الحواية والحلول ، بل التجزّء والتقدّر ، وسيأتي بيانهما ، وهما ممتنعان .

وقال أهل الجهة والأين كما هو صريح الدارمي : إنّ الله تعالى ، له أين ، وهو بائن عن خلقه ، في جهة الفوق دون التحت، بينه وبينهم فرجة وحدّ.

وهو أيضاً باطل ، بل أشدّ بطلاناً من سابقه ؛ لامتناع أن يكون للذات الأحديّة البسيطة المحضة، أين ، أو جهة ، أو حد ؛ للخلف المحال ، وللزوم التركيب في ذات الله تعالى بين الوجود والعدم ، وهذا خلف كون الذات بسيطة من كلّ جهة ، لا حدّ لها ، كما جزم البرهان ، ناهيك عن البيان .

وهذه الرسالة ، خلال ما تواتر عن أهل البيت عليهم السلام ، تكفّلت ضمناً ، الرد هذين المذهبين الباطلين السقيمين .

وسيأتي عن أهل البيت عليهم السلام ، وقد مضى بعضه ، أنّ معنى استعلاء الله تعالى على العرش ، وأنّه سبحانه في السماء ، ليس الجهة والأين وبينونة العزلة ، بل بمعنى ارتفاع الشأن والهيمنة والظهور على الغير ، كما هو قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا **وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ** إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ﴾[2]. وقوله تعالى لموسى :

---

(١) آل عمران : ١٣٩ .

(٢) آل عمران : ١٣٩ .

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ **أَنْتَ الْأَعْلَى**﴾[1]. وسيأتي هذا المعنى في فصل مستقلّ.

ليس غرضنا الرد عليهما ، إذ رسالة خاصّة لا تفي بالغرض ، لكن كانت الإلماحة لازمة ، والإشارة ضروريّة ؛ لمعرفة مذهب أهل البيت عليهم السلام فيما نحن فيه من الإجماعين المركب والبسيط ، فلا يختلطنّ عليك .

(١) طه : ٦٨.

اثبات الجهة في كلام ابن تيمية

قال ابن تيمية في الدرء : وقال الحافظ أبي نعيم الأصبهاني المشهور، صاحب التصانيف المشهورة كحلية الأولياء وغيرها في عقيدته المشهورة عنه: (طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه.

فما اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في العرش، واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ، وأنّ الله بائنٌ عن خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحلّ فيهم، ولا يمتزج بهم، **وهو مستو** على عرشه ، في سماواته ، **من دون أرضه**)[1].

قلت : قول ابن تيمية : **وهو مستو** على عرشه...، **دون أرضه** .

صريحٌ في الجهة والبينونة ، وقد أخطأ خطأً فاحشاً ؛ فمعنى قول النبيّ عليه السلام : «**وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[2] أنّك أنت مسبب الأسباب ، عين الكمال ؛ فمحال أن يخلو من قيّوميتك وتدبيرك مكان ؛ وأيضاً فلأنّك عين الكمال ، فمحال أن يحويك مكان ؛ إذ المكان عين النّقص.

---

(١) درء التعارض (ت: محمد رشاد) ٦: ٢٥٢. جامعة ابن سعود ، السعوديّة.

(٢) سيأتي تخريجه ، وقد أقرّ ابن تيمية بصحّة الحديث (في كتابه الجواب الصحيح٣: ٤٩٢): قال : كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، **وأنت الباطن فليس دونك شيء**».

دفع إشكال : العلم صفة ذات !!!

دفعنا هذا الإشكال فيما سبق ، لكن لا بأس بالبيان لجلالة ما نحن فيه ؛ الإشكال يقول : العلم صفة ذات ، وهي عين ذات الله سبحانه ، ودعوى أنّ الله داخلٌ في كلّ مكان بعلمه ، يعني بذاته ، وهذا محال .

وجوابه : أنّ المقصود بالعلم هيهنا علم الفعل والقيّوميّة ؛ أي التقدير والقضاء والتدبير ، لا علم الذات الأحديّة ، الذي هو عين الذات ، والفرق بينهما أنّ علم الذات، يعني فيما يعني : هو علم الله تعالى الإجمالي الأزلي بالأشياء قبل خلقها ، وأمّا علم التدبير فهو علمه التفصيلي بالأشياء بعد خلقها، سبحانه وتعالى .

ولا تتوهمّن أنّ العلم الإجمالي أدنى رتبة من التفصيلي ؛ ضرورة أنّ العلم الإجمالي عند أرباب الحكمة المتعالية ، هو علم الله البسيط ، بما كان وما يكون وما لو كان كيف سيكون ، في رتبة الغنى الأشرف ، والذات الأقدس ؛ أي العلم ، المنزّه معلومه ، عن الحدود والنقائص والأعدام ، وهو عين الذات.

أمّا علمه التفصيلي سبحانه ، فهو في مرتبة الخلق والفعل؛ أي الفقر والإيجاد، أي العلم الذي عرضت عليه بعد الخلق، الحدود والأعدام والكثرة.

فإن قلت : أين نجد مثلاً لعلم التفصيل والكثرة في القرآن ؟!!.

قلنا : في مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا **إِلَّا لِنَعْلَمَ** مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ **حَتَّى نَعْلَمَ** الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾[1].

(١) البقرة : ١٤٣.

الزبدة : علم الله الإجمالي أشرف من التفصيلي ، وأرفع وأعلى وأتم وأكمل ؛ كونه متعلّقاً بالذات ، بل هو عين الذات ؛ أي بسيط من كلّ جهة ، منزّهاً عن الحدود والنقائص والأعدام .

أمّا علم الله التفصيلي ، فهو علم الله المتعلّق بالظهور الخارجي والتحقق العيني ، فتعيّن كونه رشحة من الإجمالي، تبعٌ له ، شعاعٌ من شمسه .

ضرورة أنّ الإجمالي علّة وجود الثاني ، ولا ارتياب أنّ العلّة التامّة أشرف من المعلول من كلّ جهة .

قال ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) : وحكى ابن عبد البر وغيره إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ أنّ المراد علمه. وكلّ هذا قصدوا به رد قول من قال: إنّه تعالى بذاته في كل مكان.

وزعم بعض من تحذلق أنّ ما قاله هؤلاء الأئمة خطأ، لأنّ علم الله صفة لا تفارق ذاته، وهذا سوء ظن منه بأئمة الإسلام؛ فإنهم لم يريدوا ما ظنه بهم، وإنّما أرادوا أن علم الله متعلق بما في الأمكنة كلّها ؛ ففيها معلوماته، لا صفة ذاته، كما وقعت الإشارة في القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وسع كل شيء علما﴾ ، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ [٢].

قلت : عبارته أعلاه -في الجملة- صحيحة ، لكنّها لا تخلو من خلطٍ وسذاجة ، وقد بيّنا المقصود أعلاه ، كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام .

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله : ٣١.

(٢) تفسير ابن رجب (ت: طارق عوض الله) ١ : ١٤٠ . دار العاصمة ، السعوديّة .

علم التقدير والتدبير على أربعة مراتب

يلزم التنبيه ، وسيأتي مزيد بيان في الفصل الأخير ، أنّ علم القيّوميّة والتدبير ، أو القضاء والتقدير ، على أربعة أقسام ، هي أربعة مراتب وجوديّة طوليّة أو أكثر ، ترشّحت عن علم الذات الأحديّة على ما جاء في النصوص ، ولا يسعنا سردها الآن ، نذكرها هيهنا إشارةً فقط ..

المرتبة الأولى : **علم عالم المشيئة** ، وهو : العرش؛ إذ العرش كما مضى في الصحاح عن أهل البيت عليهم السلام هو : العلم . وهو علم إجمالي بسيط ، بل هو –بأمر الله تعالى– علّة إيجاد الأشياء ؛ فلقد قضى الله تعالى أن يكون حلقة الوصل بينه سبحانه وبين عالم الخلق ، وفيه نصٌّ صحيح سيأتي.

المرتبة الثانية : **علم عالم القلم** ، وهو علم التقدير ؛ أي تقدير تدبير الموجودات وعامّة المخلوقات ، وهذا العلم بسيط ، وهو أمّ الكتاب.

المرتبة الثالثة : **علم عالم اللوح، وهو عالم القضاء** ، وفيه المحو والإثبات.

المرتبة الرابعة : **علم الحسّ والعيان** ، هو عالم الخلق الدنيوي .

وإنّما قلنا : هو علم ؛ لأنّ وجود الأشياء في مرتبة القدر القضاء صور علميّة مجرّدة ، لا تنافي كثرتها بساطة ذات عالم القلم ، أمّا في مرتبة العيان ، فهي عين تلك الصور لكن طرأت عليها الحدود والنقائص والأعدام والأجسام والزمان والمكان ، بعد أن كانت مجرّة من كلّ ذلك ؛ قال تعالى : ﴿**وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ ..

وستأتي تتمّة الكلام في الفصل الأخير ..

صحيح هشام بن الحكم رضي الله عنه

الإله : المعبود المدبّر

روى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم ، قال : قال أبو شاكر الديصاني : إنّ في القرآن آية هي قولنا!!.

قلت : ما هي؟!!.

فقال : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** ﴾ ؟!!.

قال هشام رضي الله عنه : فلم أدر بما أجيبه فحججت فخبرت أبا عبد الله عليه السلام.

فقال عليه السلام : «هذا كلام زنديق خبيث ، إذا رجعت إليه ، فقل له: ما اسمك بالكوفة ؛ فإنّه يقول: فلان . فقل له: ما اسمك بالبصرة ؛ فإنّه يقول : فلان. فقل : كذلك الله ربنا ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**﴾ [١] وفي البحار إله ، وفي القفار إله ، **وفي كلّ مكان إله**».

قال هشام : فقدمت ، فأتيت أبا شاكر فأخبرته.

فقال الديصاني : هذه نقلت من الحجاز[٢].

ورواه شيخ مشايخنا الصدوق في كتابه التوحيد قال : حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا عليّ بن إبراهيم به مثله[٣] .

قلت : إسناده صحيح ، رواته أساطين الفرقة ، وجهابذة الملّة.

---

(١) الزخرف: ٨٤.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٢٩ . باب أنّ الله شيء. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٣) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٣٣ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

قلت : مقصود الديصاني : (إنّ في القرآن آية) يقصد قوله تعالى : ﴿ **فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ**﴾ ولقد ذكر أنّها: (هي قولنا) أي هي عقيدتنا ، وموجز عقيدتهم : أنّ هناك إلهين ، أحدهما في السماء ، وهو النّور اسمه : يزدان، والآخر في الأرض وهو الظلمة ، اسمه : أهرمن .

هذا هو ما أسكت هشاماً رضوان الله تعالى عليه ، فبيّن له الإمام صلوات الله عليه ما يلجم الديصاني ..

وقد ورد في الأخبار المعتبرة عن أهل البيت عليهم السلام ، تفسير الإله في الآية بالمعبود ، أي هو في السماء معبود ، وفي الأرض معبود ، وهذا التفسير تلقّاه أهل القبلة بالقبول . وجواب المعصوم عليه السلام للديصاني بما مرّ ؛ لإلجامه بما يناسب عقله ومنهجه ودينه.

وعلى هذا فقوله عليه السلام: (**وفي كلّ مكان إله**) أي معبود ، وهو لا ينافي ما تقدّم في الصحيح الآنف ، وسيأتي مزيد عن أهل البيت عليهم السلام، أنّ الله تعالى موجودٌ في كلّ مكان وفي كلّ الأشياء ، لا يخلو منه شيءٌ أو مكان، بالإحاطة والإشراف والعلم والقدرة والتدبير ، لا بالذات ، ولك أن تقول بعلمه المتعلق بفعله سبحانه، أي بمخلوقاته ، لا المتعلّق بذاته الذي هو عين ذاته ، والكلام هو الكلام في القدرة بما هي صفة فعل تعلّقت بفعل الخلق ، لا صفة ذات متعلّقة بالذات؛ أي عين الذات .

والوجه في عدم المنافاة أنّ الإحاطة القيّوميّة التدبيريّة ، من اللوازم الذاتيّة **للإله المعبود** الحقّ الحقيقي ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد سبحانه ، وإلاّ لما استحقّ أن يكون إله.

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا **فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[١].

يدلّ على الملازمة ، أي : بين كونه سبحانه في كلّ مكان معبوداً، وفي كلّ الأشياء مدبّراً ، ما مضى صريحاً عن الكليني بإسناده صحيح عن محمد بن عيسى ، قال : كتبت إلى أبي الحسن عليّ بن محمد عليه السلام... .

فوقع عليه السلام : «... **واعلم أنّه إذا كان في السماء الدنيا ، فهو كما هو على العرش ، والأشياء كلّها له سواء ؛ علماً وقدرةً وملكاً وإحاطةً**»[٢].

كما يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ **اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ **فَاعْبُدُوهُ** أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ **اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ**﴾[٤].

وقوله تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ **اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**﴾[٥].

---

(١) العنكبوت : ١٧ .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١: ١٢٦ . باب الحركة والانتقال. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٣) يونس : ٣.

(٤) الرعد : ٢.

(٥) السجدة : ٥.

كما يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) **وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ** يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(١).

قال عمر بن عليّ الدمشقي (٧٧٥هـ) في تفسيره اللباب: ﴿**وَهُوَ الله فِي السماوات وَفِي الأرض**﴾ أي: في **تدبير السمواتِ والأرض**، كما يقال: «فلانٌ في أمْرِ كذا» أي: **في تدبيره**، وإصْلاحِ مُهِمَّاتِهِ(٢).

وقال السمرقندي (٣٧٣هـ) : ﴿**وَهُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ**﴾ **يعني**: هو **المتفرد بالتدبير** في السموات وفي الأرض(٣).

الحاصل : معنى أنّ الله تعالى في السماء إله ، وفي الأرض إله ، وفي كلّ شيء إله : المعبود المدبّر القيّوم ، لا المعبود فقط .

ضرورة أنّ المعبود بلا تدبير ولا قيّوميّة ، ليس هو المعبود الذي يجب أن يعبده العابدون، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا **فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾(٤).

وقال سبحانه : ﴿قُلِ ادْعُوا **الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾(٥).

---

(١) الأنعام : ٣.

(٢) اللباب في علوم الكتاب (ت: عادل الموجود) ٨: ٢٥. دار الكتب العلميّة ، بيروت.

(٣) تفسير السمرقندي ١: ٤٣٤.

(٤) العنكبوت : ١٧ .

(٥) سبأ : ٢٢.

وقد أوجز كلّ هذا المحقق الداماد رضوان الله تعالى عليه قال : قوله : (المعبود لقدرته)[١] اللام للتعليل ؛ أي **يعبده العابدون** ؛ **لكونه قادراً على الأشياء ، فاعلاً لما يشاء في حقّهم** ، فيعبدونه إمّا خوفاً وطمعاً ، وإمّا إجلالاً وتعظيماً [٢].

وقال المجلسي رضي الله عنه في المرآة : **يعبد سبحانه** ؛ **لقدرته وكماله ، فهو بذلك مستحق للعبادة** ، أو لقدرته على الإثابة والانتقام ، أو إنّما يعبد بقدرته التي أعطانا عليها[٣].

وقال المازندراني : (الحمد لله، المحمود لنعمته، المعبود لقدرته) قدم الحمد للنعمة على الحمد ، للقدرة ، مع أنّ القدرة من الصفات الذاتية التي هي أجدر بالثناء عليها؛ لأنّ النعمة قد وصلت إلى الحامد ، بخلاف القدرة ؛ فإنّ الواصل إليه إنّما هو أثره؛ فالنعمة أولى بالحمد لها بهذا الاعتبار ، ولقد أحسن في جعل النعمة سببا لمحموديته ، **والقدرة سببا لمعبوديته**[٤].

قلت : المطلب واضح إن شاء الله تعالى ؛ إذ ليس الإله الحقّ ، مطلق المعبود ، وإنّما خصوص العالم المحيط ، القيّوم المدبّر ، القادر القاهر ، دون سواه جلّ في علاه ، فاحفظ .

---

(١) هذا شرح لخطبة كتاب الكافي للكليني رضي الله عنه .

(٢) الرواشح السماوية (ت: نعمة الجليلي): ٢٨. دار الحديث ، قم.

(٣) مرآة العقول ١ : ٥.

(٤) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ١ : ١٧. دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

صحيح ابن محبوب

« لا خَلْقُهُ فيه ، وَلا هُوَ في خَلْقِهِ »

أخرجه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، ومحمد بن الحسين ، عن ابن محبوب ، عن حماد بن عمرو النصيبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت أبا عبد الله عن : ﴿قل هو الله أحد﴾ ؟!.

فقال : نسبة الله إلى خلقه أحداً صمداً أزلياً صمدياً ، لا ظل له يمسكه ، وهو يمسك الأشياء بأظلتها ، عارف بالمجهول ، معروف عند كلّ جاهل ، فردانياً ، **لَا خَلْقُهُ فِيهِ** ، **وَلَا هُوَ فِي خَلْقِهِ** ، غير محسوس ولا مجسوس ، لا تدركه الابصار ، **عَلَا فَقَرُبَ** ، **ودَنَا فَبَعُدَ** ، وعصي فغفر وأطيع فشكر ، **لَا تَحْوِيهِ أَرْضُهُ**، ولا تقله سماواته ، حامل الأشياء بقدرته ، ديمومي أزلي ، لا ينسى ، ولا يلهو ، ولا يغلط ، ولا يلعب ، ولا لإرادته فصل[١] ، وفصله جزاء[٢] ، وأمره واقع [٣] ، لم يلد فيورث ، ولم يولد فيشارك ، ولم يكن له كفواً أحد [٤].

قلت : إسناده صحيح ، وابن حبوب من أصحاب الإجماع .

---

(١) لا فصل بين إرادته وفعله تعالى ، فإنّه سبحان إذا أراد شيئاً وجد وكان ، دون زمان وآن، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

(٢) احتمل بعض العلماء؛ كصاحب البحار والمازندراني وغيرهما رضي الله عنهما ، أنّه سبحانه من يفصل عباده ويجازيهم يوم الجزاء في الآخرة. وفيه نظر ؛ فالسياق يأباه .
ولعلّ المقصود : تنزيه الفعل الإلهي من العبثيّة والجبريّة والنقص ، ففعله فيما يتعلّق بالعباد سبحانه ، جزاءٌ لاختياراتهم السابقة في عالم الذر ، وكذا اللاحقة التي في الدنيا.

(٣) عطف بيان لسابقه.. ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

(٤) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٩١. باب النسبة. دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.

وقال الصدوق: حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال حدثنا عليّ بن العباس، قال: حدثنا الحسن بن محبوب به مثله[1].

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد معتبر .

قال صدر الدين الشيرازي رحمه الله : **(لا خلقه فيه، ولا هو في خلقه)** أي لما كان أحديّ الذات[2] ، فرداني الهوية[3] والماهية[4]، فليس فيه شيءٌ من خلقه ، كما يقوله الصفاتية[5] ، وإلاّ لزم التركيب، ولا في خلقه شيء منه ، كما يقوله النصارى وإلاّ لزم التجزىء[6].

وقوله عليه السلام : **(غير محسوس)** أي بشيء من الحواس الظاهرة، وإلاّ لكان جسماً أو جسمانياً[7] **(ولا مجسوس)** أي بشيء من المشاعر الباطنة، وإلاّ لكان له صورة في الذهن تساويه ، فكان ذا ماهية كليّة، وهو محال كما مرّ.

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٥٧. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٢) أحديّ الذات : بسيط الذات من كلّ جهة، لا تركّب فيها من أجزاء .

(٣) **الماهيّة** : ما يقع في جواب ما هو ؛ وهو الحدّ الذي يتعقّله العقل اعتباراً؛ كحدّ الإنسان وأنّه : حيوان ناطق . و**الهويّة** : ما يتمايز به الشيء عن غيره في الوجود. وربما يترادفان.

(٤) **فردانيّ الماهيّة** ؛ لأنّه سبحانه عين الوجود الحقيقي الصرف التام البسيط، **ولا ثاني له** ؛ إذ لا ماهيّة لله غير وجوده المحض ، وإنيته الصرفة .

فردانيّ الهويّة : لأنّ وجوده سبحانه يتميّز عن غيره ، بأنّه محض بالذات ، وغيره تعلّق بالغير.

(٥) الصفاتيّة : المشبّهة الذين أثبتوا للخالق صفات المخلوق؛ كالجسميّة والحدّ والجهة.

(٦) وهذا هو قول الجهميّة المعطّلة ، فلقد قالوا : الله بذاته في كلّ شيء وفي كلّ مكان ، وهذا عين الحلول والتجزّء والاتحاد ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً .

(٧) أفردنا لبيان الفرق بينهما عنواناً سيأتي .

(علا فقرب) كلمة «فا» للترتيب والسببية، فمعنى الكلام: أنّه تعالى لأجل غاية علوّه ، يكون قريباً من الأشياء، وذلك حق؛ لأنّ **علوّه ليس بالمكان، بل بكمال رتبة الوجود**(١)، وشدّة نوره.

والنّور كلّما كان أشد وأقوى كان أقرب وأدنى، واعتبر ذلك بنور الشمس ، وهي في السماء الرابعة ، وبنور السّراج أو المشعل ، وهو عندك في وجه الأرض ، فانظر أيّهما اقرب منك، حتى تعلم أنّ أعلى الموجودات شرفاً ونوراً يجب أن يكون أقربها منك.

و قوله عليه السلام: **(صمديّا لا ظلّ له يمسكه)** إنّما أعاد لفظ الصّمد تمهيداً لنفي الحاجة إلى شيء منه ، وحجة على ذلك؛ إذ الظل وهو : ما يستمسك به كالسقوف والسحب ونحوها ؛ دفعاً لأذية الحرّ وغيره، كناية هيهنا عن حافظ الشيء ، وممسكه عن الزوال والفساد.

و قوله: **(وهو يمسك الاشياء بأظلّتها)** الباء إمّا بمعنى : مع ، أو السببية، فعلى الأوّل يكون المعنى: أنّه سبحانه يحفظ الأشياء مع ما يستحفظ بها من الأظلة والأسباب، أي يحفظ الأسباب والمسببات جميعاً، وعلى الثاني : أنّه يحفظ الأشياء بواسطة إيجاده لأظلّتها وأسبابها(٢).اهـ.

قلت : قوله الشريف ، تام ، إلاّ قوله : الشمس في السماء الرابعة ؛ ففيه أنّها في السماء الدنيا ، ولعلّ مقصوده الشريف : وجودها الملكوتي الأشرف ، الذي في عالم المثال والملكوت ، فتدبّر.

---

(١) عقدنا لبيان هذا وتبيانه وبرهانه فصلاً مستقلاً ، هو الفصل الثالث الآتي.

(٢) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ١٠٦ . مؤسسة مطالعات فرهنكي ، إيران .

وأمّا قوله الشريف قدس سره : **(ولا مجسوس)** أي بشيء من المشاعر الباطنة، وإلاّ لكان له صورة في الذهن تساويه .... .

ففيه نظرٌ ؛ إذ المجسوس، كما في ورد في كتب اللغة الملموس باليد ، أو ما يقوم مقامها من المجسات ، وعلى هذا قاطبة أهل اللغة..

قالوا : واللفظ للإمام اللغوي الفيّومي (٧٧٠هـ) في المصباح : **جَسَّهُ بيده** جَسًّا ، واجتسه، **لِيَتَعَرَّفَهُ**[١]. وكذا قال أصحابنا رضوان الله تعالى عليهم .

وعلى سبيل المثال لا الحصر، قال المازندراني رضوان الله عليه: **(غير محسوس)** بالحواس الظاهرة والباطنة ؛ وقد علمتَ أنّه منزه عن إدراكها غير مرّة **(ولا مجسوس)** أي غير ملموس باليد ؛ لاستحالة الجسمية وتوابعها من الكيفيات الملموسة عليه[٢].

وقال المجلسي في المرآة : قوله عليه السلام: **(لا ظل له)** المراد بالظل ، إمّا السبب ، أو الحافظ ، أو الصورة ، أو المثال ، كما عند القائلين بعالم المثال ؛ فإنّ لكلّ شيء عندهم مثالاً في تلك العالم. وقيل: المراد ربّ النوع ، كما نقل عن شيخنا البهائي ، والأظهر أنّ المراد الروح ، كما يقال عالم الأرواح عالم الظلال، أو المراد : الأمكنة التي يستقرون عليها، والسقوف التي يستظلون تحتها، إمّا حقيقة أو كناية عن جميع أسباب الأشياء ، وما يمسكها عن الزوال والفساد، والباء إمّا بمعنى : مع ، أو : السببية، أي يحفظ الأشياء مع ما تستحفظ بها من الأظلة والأسباب، أو يحفظها بواسطة إيجاده لأظلتها وأسبابها، وقيل: الظل

---

(١) المصباح المنير ١ : ١٠١ . المكتبة العلميّة ، بيروت.

(٢) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ٤ : ١٠٤ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

من كلّ شيء شخصه أو وقاؤه وستره، أي : لا شخص ولا شبح له يمسكه ؛ كالبدن للنفس، والفرد المادي للحصة، ولا واقي له يقيه.

(**وهو يمسك الأشياء بأظلتها**) أي بأشخاصها وأشباحها، أو بوقاياتها ؛ لأنّه إذا كان صمدياً ومقصوداً في حوائج الكلّ، لم يكن محتاجاً إلى غيره في شيء، ويكون كلّ شيء غيره محتاجاً إليه. وقيل: المراد به الكنف كما يقال: يعيش فلان في ظلّ فلان أيّ في كنفه، وقال في القاموس: الظل: الفيء، والخيال من الجن وغيره يرى، ومن كلّ شيء شخصه أو كنه وهو في ظله في كنفه، وقيل: الظل : الجسم في حديث ابن عباس: الكافر يسجد لغير الله وظلّه يسجد لله أي جسمه، وإنّما يقال: للجسم الظل، لأنّه عنه الظل ، ولأنّه ظلماني والروح نوراني، وهو تابع له يتحرك بحركته النفسانية[1].

---

(١) مرآة العقول ١ : ٣١٦.

الفرق بين الماهيّة والهويّة !!

نعلم أنّ الماهيّة : ما يقع في جواب ما هو ، وهو ما يتعقّله العقل من الحدود الذهنيّة الاعتباريّة للموجودات المتكثّرة ؛ كقولنا : الإنسان حيوان ناطق ، أي بقطع النظر عن الوجود الخارجي والتحقق العيني.

وإنّما قلنا : بقطع النظر عن الوجود ؛ لما ثبت قطعاً أنّ الوجود عارضٌ على الماهيّة ، زائدٌ عليها .

فماهية الإنسان مثلاً : حيوان ناطق . لا أكثر ولا أقل ؛ وإلاّ لزم أن يكون الوجود جنساً أو فصلاً في حقيقة الإنسان ، وبطلانه بديهي .

أمّا الهويّة فهي : ما به يتمايز الشيء عن غيره في الوجود الخارجي والتحقق العيني .

ولك أن تقول : ما به يشار إلى الشيء بـ: هو .

الحاصل : العلم بحد الإنسان شيء ، والعلم بوجوده شيءٌ آخر ، الأوّل هو الماهيّة ، والثاني هو الهويّة .

هذا في غير الله تعالى ، أمّا هو سبحانه ؛ فماهيّته عين هويّته ، وهويّته عين ذاته ؛ وليست ذاته إلاّ الوجود المحض البسيط، والإنية الصرفة .

هذا هو المعنى العام للماهيّة والهويّة ، والأمر هو الأمر إذا قلنا الشيئيّة الإلهيّة ، فليس المقصود منها إلاّ معناها الأعم ، وهو : الوجود المحض البسيط والإنّية المحضة الصرفة .

الإنية (=الآنية) في أخبار أهل البيت عليهم السلام !!.

ورد في مصادرنا المعتبرة عن الإمام الصادق ، كما في كافي الكليني رضي الله عنه ، والتوحيد للصدوق رضي الله عنه وسيأتي تخريجه ، قوله عليه السلام: «لا يثبت الشيء، **إلاّ بإنية ومائية**» فتعيّن البيان ، والمائيّة هي : الماهيّة ، وقد بيناها قبل قليل ، وكذا الهويّة ، وأمّا الإنيّة (=الآنية) فتعني : الوجود الخارجي والتحقّق العيني .

قال علي بن محمّد ، الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) في كتابه التعريفات :

الآنيّة : **تحقق الوجود العيني** ، من حيث مرتبته الذاتية[1].

وقال أبو البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ) في كتاب الكلّيّات : (**إنّ**) بالكسر والتشديد ، هي في لغة العرب تفيد : **التأكيد والقوة في الوجود**، ولهذا أطلقت الفلاسفة لفظ : **الإنية** على واجب الوجود لذاته، لكونه أكمل الموجودات في تأكيد الوجود ، وفي قوة الوجود، **وهذا لفظ محدث، ليس من كلام العرب**[2].

قلت : ورد في كتاب التعريفات : (**الآنية**) بالألف الممدودة ، محاكاة للفظ اليوناني ، وورد كما عند أبي البقاء: (**الإنية**) بهمزة التحقيق والتأكيد ، كأنّها مشتقّة من حرف : (**إنّ**) أو مخفّفه : (**إنْ**) الموضوعان في لسان العرب للتأكيد والتحقيق، وأهل الحكمة مختلفون في ذلك بينهما ، ولا يضرّ فهو نزاع لفظي، مردّه إلى كيفيّة تعريب الكلمة .

وأياً كان ؛ فهي كلمة محدثة أصلها يوناني ، تلفظ : **(Iniyah)** وجذرها اليوناني هو : **(Enia)**.

---

(١) التعريفات : ٣٨. دار الكتب العلميّة ، لبنان .

(٢) كليّات أبي البقاء (ت: عدنان درويش) : ١٩٠ . مؤسسة الرسالة ، بيروت.

ولقد ذكر غير واحد ، أنّ هذا اللفظ ورد هذا في كتب أرسطو ؛ سيما كتاب ما بعد الطبيعة ، ويعني عنده : **ثبوت الوجود ودوامه وتميزه.**

قلت : قول الجرجاني : (**مرتبته الذاتية**) أي الفصل ؛ كونه دون غيره ، ذات الشيء (=إنيّته) على الحقيقة ، وهو ما ذكره الفارابي في فصوصه والكندي في رسائله..

قال أبو نصر الفارابي ، محمد بن أوزلغ ، بن طرخان(٣٣٩هـ) في كتابه فصوص الحكم: الفصل لا مدخل له في ماهية الجنس، فإنْ دخل ففي إنّيته[١].

وقال الفيلسوف ، أبو إسحاق الكندي ، يوسف بن يعقوب (٨٧٣هـ) : والفصل منبىء عن إنيّة الشيء ، فهو مقول على كلّ واحد من أشخاص الأنواع، منبىء عن إنّيتها[٢].

وقال ابن سينا : ولو توهمتَ أنّ ذاتك قد خلقت أوّل خلقها صحيحة العقل والهيئة، وفُرِضَ أنّها على جملة من الوضع والهيئة، بحيث لا تبصر أجزاؤها ولا تتلامس أعضاؤها، بل هي منفرجة ومعلقة لحظة ما ، في هواء طلق، وجدتها قد غفلت عن كلّ شيء ، الّا **عن ثبوت إنّيتها**[٣] .

قال ملاّ هادي السبزواري : فلا مهية له سبحانه سوى **الآنية** ؛ بيان ذلك أنّه لا يمكن للعقل تحليله إلى شيء ، بل هو **وجود بحت** ، **وإنية صرفة**[٤]. اهـ.

---

(١) فصوص الحكم للفارابي : ٦٨.

(٢) رسائل الكندي الفلسفية(ت: محمد أبو ريده) : ٩٧. دار الفكر العربي ، القاهرة.

(٣) الإشارات شرح الطوسي (ت: سلميان دنيا) ٢: ٣٤٤. دار المعارف، القاهرة .

(٤) شرح الأسماء ١: ٧٣ . مكتبة بصيرتي ، قم .

قلت : إنية صرفة، عطف بيان لـ: وجود بحت ، وإن توخيت الدقة في التعبير ؛ فالصرف : البسيط. والبحت : الخالص النقيّ عن مخالطة العدم . وكلاهما بمعنىً ، بل استعمالهما -فيما نحن فيه- لعين المعنى .

فالبحت هو : الخالص ؛ أي : النقي من الحدود ، أو : المنزّه عن الأعدام . ما شئت فعبّر ؛ كقولنا : هذا ذهب بحت ؛ أي : منزه من النقائص ، نقيٌّ خالصٌ لا يخالطه غيره من المعادن ، فافهم المقصود .

صحيح زرارة

«اللهَّ خِلْوٌ مِنْ خَلْقِه، وخَلْقَه خِلْوٌ مِنْه »

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن زرارة بن أعين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

«**إنّ اللهَّ خِلْوٌ مِنْ خَلْقِه** ، **وخَلْقَه خِلْوٌ مِنْه** ، وكل ما وقع عليه اسم شيء ، ما خلا الله ، فهو مخلوق ، والله خالق كلّ شيء ، تبارك الذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير»(١).

قلت : إسناده صحيح . يشهد له أيضاً ..

ما أخرجه الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن علي بن عطية ، عن خيثمة ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله(٢).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات.

يشهد له أيضاً ما أخرجه الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي المغراء ، رفعه عن أبي جعفر عليه السلام مثله(٣).

قلت : إسناده صحيح ؛ فيونس رضي الله عنه من أصحاب الإجماع ، وأبو المغراء هو حميد بن المثنى العجلي ، ثقة ثقة ، مكررة ، من أجلاء الطائفة رحمهم الله ..

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٨٣. باب أنّ الله شيء . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.
(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٨٤. باب أنّ الله شيء . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.
(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٨٣. باب أنّ الله شيء . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.

بيان الحديث

الخِلْوُ : الخالي ، باتفاق أهل اللسان ، والمعنى أنّ الله سبحانه خالٍ من خلقه ، إلاّ لزم أن تكون ذاته المقدّسة محلاً للحوادث؛ أيّ : يطرأ عليها التغيّر والتقدّر[1] والتجزّؤ والتجدّد، وبطلان هذا معلوم ضرورة لكلّ موحّد ؛ إذ الحدوث والتجدد والتغيّر والتقدّر وما شاكل ذلك من صفات المخلوق ، وهو: الموجود ، المحدود بالنقائص والأعدام . لا الخالق القديم ، الذي هو عين الوجود المحض ، والإنية الصرفة ، أي المنزّه عن كلّ نقصٍ وحدّ وعدم .

كما أنّ خلقه خلوٌ منه سبحانه ، وإلاّ لزم الحلول. والحلول يعني : أنّ الله تعالى بذاته حلّ (=دخل) في الأشياء ، كقول النصارى أنّ الله تعالى حلّ في جسد المسيح. وهذا أيضاً بطلانه معلوم ضرورة ؛ كونه سبحانه وجود بحت ؛ أي : منزّه عن العدم ، غير محدود بحد ، والحلول تحديد .

قال الفيض رحمه الله في الوافي : **الخِلْو** –بالكسر– **الخالي** ، والسر في خلو كلّ منهما عن الآخر ، أنّ اللهَّ وجود بحت خالص ، لا ماهية له ، سوى الإنية ، والخلق ماهيات صرفة ، لا إنية لها من حيث هي ، وإنّما وجدت به وبإنيته ، فافترقا[2].

---

(١) من المقدار ؛ أي الكم ، وهو على قسمين : فتارة : كم قارّ متّصل ، كالجسم والخط والسطح ، وكلّ المكانيّات . وأخرى : كم متصّل غير قارّ ؛ كالزمان والزمانيّات ؛ وهو غير قارّ ؛ لأنّه سيّال متحرّك متتابع . وينبغي التنبيه أنّ أكمل مصداق للكم المتصل غير القار ؛ أي للزماني ، هو عالم الدنيا برمتّه ؛ فهو لا محالة ، عين الحركة والسيلان ؛ كونه عين الخروج من القوّة إلى الفعل؛ ولا ترديد أنّ الزمان : مقدارٌ لحركة الزماني في المكان.

(٢) الوافي (ت: ضياء الحسيني) ١ : ٣٣٤. مطبعة نشاط ، أصفهان .

قلت : قوله الشريف : لا ماهية له سبحانه سوى الإنية . الماهية بالمعنى الأعم ، ولا تعني إلاّ الوجود البحت الصرف ، وهو معنى الإنية فيما عرفت. والبحت هو الخالص ، والمقصود به هيهنا ما تنزه عن مخالطة العدم .

يلزم التنبيه أنّ مقصود الفيض رضوان الله تعالى عليه من قوله الشريف: (والخلق ماهيات صرفة ، **لا إنية لها**...) على نحو الاستقلال.

وهذا لا ينافي أن يكون لها إنية بالغير ؛ أي بالله تعالى ، فإنيتها ظليّة بالغير، لا ذاتيّة بالاستقلال كما هي إنية الباري تعالى .

وقال المازندراني رحمه الله : الخلو بالكسر والسكون الخالي . يقال : فلان خلوٌ من كذا ، أي **خال** بريء منه ، يعني : أنّ بينه وبين خلقه **مباينة في الذَّات والصفات**[١]، لا يتّصف كلٌّ واحد منهما بصفات الآخر ، وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : «بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها، وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرُّجوع إليه » .

ذكر عليه السلام في بينونته من مخلوقاته ، ما ينبغي له من الصفات ، وفي بينونتها منه ، ما ينبغي لها ؛ فالّذي ينبغي له كونه : قاهراً لها ، غالباً عليها ، مستولياً على إيجادها وإعدامها ، والّذي ينبغي لها : كونها خاضعة، في ذلّ الإمكان والحاجة، لعزَّته وقهره، وراجعة في وجودها وكمالاتها إلى وجوده ، **وبذلك حصل التباين بينه وبينها**[٢] .

---

(١) أفردنا لبيان بينونة الذات والصفة ، وهو معنى العلو ، فصلاً مستقلاً سيأتي .

(٢) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ٣ : ٦٣ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

وقال المازندراني رضي الله عنه في موضع آخر : (**إنَّ الله خلو من خلقه، وخلقه خلو منه**) إذ ليس في عالم الوجوب الذَّاتي[١]، الإمكان الخاصّ ولواحقه ، ولا في عالم الإمكان الخاص[٢]، الوجوب الذَّاتي وصفاته ؛ وإلاّ لوقع الخلط بين العالمين، واشتبه الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق ، وأنّه باطل قطعاً .

(وكلُّ ما وقع عليه اسم شيء، ما خلا الله، تعالى فهو مخلوق) يفيد الاستثناء أنّه تعالى شيء ، وهو المقصود في هذا المقام (والله خالق كلِّ شيء) وهو سبحانه، وإن كان شيئاً، إلاّ أنّه لا يدخل في شيء، كما لا يدخل الأمير في الناس في قولهم : «فلان أمير على النّاس» كما مرَّ [٣].

قلت : مقصوده من قوله الشريف: (وإلاّ لوقع الخلط بين العالمين...) البيان والتفسير، لا البرهان الذي سلف عنه رضي الله عنه وعن قاطبة أهل المعقول ، وهو : استحالة أن يكون الله تعالى ، وهو وجودٌ محض ، في شيءٍ من خلقه ؛ وإلاّ لزم الحلول والحدّ؛ فإنّه يلزم أن يكون وجود الله تعالى ، وهو محضٌ ليس بمحدود ، محدوداً ليس محضاً ، وهذا تناقض صريح ، وهو محال .

أو امتناع حواية ما كان واجباً بالغير ، وهو المخلوق الحادث المركب ، ما كان بسيطاً قديماً واجباً بالاستقلال ، وهو الخالق ؛ لتباينهما ذاتاً وصفةً ، وسيأتي البيان والبرهان في الفصل الثالث .

---

(١) عالم الذات الأحديّة ، وهو الوجود الواجب -بالاستقلال والذات- ، عين الغنى المحض والإنية الصرفة ؛ أي : المنزّه عن الأعدام والحدود والنقص، علّة تامّة لما عداه .

(٢) هو عالم المخلوقات ، وهو : عالم الوجود بالغير ، وهذا الوجود تعلّقي ربطي فقير ، مشوب بالحدود والأعدام والنقص ، معلول للأوّل سبحانه.

(٣) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ٣ : ٦٦ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

بيان جامع لصدر المتألهين رحمه الله !!

قال قدس سره : خلو بالكسر مصدر بمعنى خال، والغرض أنّه تعالى لا يشارك أحداً من المخلوقات في ذاته، ولا في شيء من **صفاته الحقيقية**؛ لأنّها **عين ذاته**[1]، وإنّما الإشتراك له سبحانه معهم في أمور خارجة عن ذاته، وهي كالسّلوب[2]، والإضافات[3]، والمعاني الاعتبارية[4]. فالأولى: كالقدوسية والفردية ونحوهما. والثانية: كالمبدئية والأوّلية والرازقية وغيرها. والثالثة: كالشيئية ، والموجوديّة ، والهويّة ، والذاتية. كلّ ذلك بالمعنى العام ، كما ذكرنا في الشيئيّة[5].

---

(١) اشتراك الخالق والمخلوق في صفات الكمال الحقيقيّة (=العلم، الحياة، القدرة) التي هي عين الكمال ، محال ؛ لأنّ الله تعالى عين الكمال بالذات ، والمخلوق عين النقص بالذات.

(٢) يطلق على السلوب : **الصفات القدسيّة** ، ولك أن تقول : **السلبيّة التنزيهيّة** (=القدوسيّة) ؛ كقولنا: لا شريك له ، وليس كمثله شيء ، وهكذا بقيّة السلوب ، ونشير إلى أنّ القدّوسيّة يتضمّن معنى الفرديّة ، لا أنّه قسيماً له .

(٣) يطلق عليها صفات الفعل : ككونه : خالقاً رازقاً ، مبدئاً ، معيداً ، مميتاً ، وهكذا.

(٤)**الصفات الاعتباريّة** . وهي: المفاهيم التي لا يوجد لمعانيها ألفاظٌ تدلّ عليها إلاّ مجازاً أو وهماً (=اعتباراً) كالشيئيّة التي يشترك فيها الخالق والمخلوق ، هاك البيان بمثال ..

لفظ : الشيء يطلق عند أهل اللسان –**على الحقيقة**– : على الجسم المادي ذو الأبعاد .

ذات الوقت يطلق على الله سبحانه أنّه شيء ، لكن لا على الحقيقة كما في المخلوق ، وإنّما **على المجاز** (= **الاعتبار**) ليعني أنّه عين حقيقة الوجود الاستقلالي الصرف المحض، وكذا الكلام في بقيّة الصفات الاعتباريّة ؛ كالهويّة ، والذاتيّة ، الموجوديّة ، والماهيّة ، ونحوها .

الحاصل : الله تعالى يشترك مع مخلوقاته في صفات السلب والفعل والاعتبار ، دون صفات الذات ؛ لما بيّناه.

(٥) لله تعالى ماهيّة بالمعنى الأعم (=المعنى الاعتباري) وتعني : الوجود البحت والإنية المحضة ، وكذا فإنّ الله تعالى شيءٌ بالمعنى الأعم ؛ أي الموجود الأشد بالاستقلال.

فإنّ هذه الاقسام كلّها خارجة عن الذات ؛ فإنْ قلت: كيف يتصور عدم اشتراكه تعالى مع شيء من المخلوقات، والحال أنّها موجودات خاصة ، وللوجود حقيقة خارجية ، ليس مجرّد المفهوم العام ؛ كالشيء والممكن ونحوهما ، بل الوجود نفس ما به يتحقق كلّ موجود[1].

فإذن الوجود في كلّ موجود ، نفس تعيّنه الخاص، ووحدته الشخصية، وليس حال طبيعته في الإشتراك والاختلاف ، كحال الكليّات الطبيعية في اشتراكها واختلاف أفرادها، اذ اشتراكها بأمر ، واختلافها في أفرادها بأمر آخر زائد عليها. وهذا بخلاف طبيعة الوجود؛ فإنّ ما به الإشتراك فيه ، عين ما به الاختلاف[2] .

---

(١) **إشكال !!**

وجود الخالق والمخلوق حقيقي ليس مجازياً، فكيف لا نتعقل الاشتراك؟! سيأتي جوابه.

(٢) أشار رضي الله عنه إلى ضربٍ ثالث من الاشتراك ، وهو **جواب الإشكال** إعلاه ، فلقد تعارف أهل المعقول أنّ الاشتراك إمّا لفظي ؛ كلفظ العين للجاسوس وعين الماء ، وإمّا تواطؤي : كلفظ الإنسان ، الموضوع بالتساوي لكلّ الأفراد دون تفاوت ، ولا ثالث عندهم .

أمّا الثالث فهو من إبداعات مدرسة الحكمة المتعالية ، وهو أنّ الوجود مشترك بين ما كان بالاستقلال وهو وجود الواجب سبحانه ، وبين ما كان بالغير وهو المخلوق ، وكلاهما وجود حقيقي ، ليس مجازاً ، لكن الأول مستقل بالذات ، والثاني رابط ، متعلّقٌ بالغير .

ولك أن تقول : وجود الأول بالذات ، ووجود الثاني بالغير.

كما لك أن تقول : الأوّل وجود شديد ، والثاني وجود ضعيف .

كما لك أن تقول رابعاً : الأوّل عين حقيقة الوجود المحضة الصرفة البسيطة ، والثاني تبعٌ له ، وظلّ لنوره ، وشعاع لشمسه .

وهذا كما لا يخفى على أهل الخبرة ، مترتّبٌ قهراً على الاعتقاد بأصالة الوجود ، كما هو الحقّ ؛ إذ لا شيءَ –في الوجود– غير الوجود بالذات أولاً ، والوجود بالتبع ثانياً ، ولا ثالث . وأمّا الماهيّة فمجرّد حدود اعتباريّة ، اعتبرها العقل ليميز بين الموجودات .

والتفاوت بين آحاد الوجود ، إمّا بالشدة والضعف والتمام والنقص[١] ، وإمّا بعوارض خارجية[٢] ، ولواحق مادية [٣]، فيما يقبل التكثر والإنقسام[٤].

فالوجود الصرف التام ، الذي لا أتم منه، لا يشوبه نقص ولا عدم، ولا معنى خارج عن الحقيقة، يمتاز عن ما سواه بنفس هويته ، وتمام ذاته البسيطة، وليس وجوده شيء ، وتماميته وشدته شيء آخر.

فثبت أنّه خلو عن مخلوقاته[٥] ، ومخلوقاته خلو عنه[٦]؛ لأنّ وجوداتها رشحات خارجة عن بحر وجوده ، وأضواء تابعة لشمس حقيقته.

---

(١) كما في الشمس وشعاعها ؛ فالشمس أتم ضوءً وأشد نوراً من شعاعها .

(٢) من قبيل طبيعة الإنسانيّة الواحدة ، المتكثرة بأفرادها خارجاً ؛ فالعوارض الخارجيّة التي تعرض على الطبيعة ، من طول ولون و...، هي ما يتفاوت به أفراد الطبيعة الواحدة .

(٣) كلحوق المادة للصورة ، والبدن للنفس ؛ لاستكمال الفعليّة .

(٤) قال الداماد (في القبسات : ٨ . تحقيق: مهدي محقق) :
كلّ ما يقع في الزمان ، فإنّه ينقسم ؛ كالحركة وذي الحركة .
وقال صدر المتألهين (في شرح الكافي ٣: ٤٢) : وكلّ ما يوجد في المكان ، فهو قابل للتجزية والانقسام، وكلّ ما يوجد في الزمان ، فهو موصوف بالانقضاء والانصرام.

(٥) وإلاّ لزم أن تكون الذات الإلهيّة المحضة ، مشوبة بالنقائص والأعدام والحدود ، التي هي عين حقيقة الخلق ، وهو محال .

(٦) وإلاّ لزم حواية المحض وتجزئة البسيط ، وهما خلفٌ محال.
فأمّا الحواية : فمحال أن يحوي الفقير الناقص ، الغني التام ويحدّده ؛ إذ أشرف ما في الفقير أنّه رشحة من رشحات تامّ الغنى سبحانه ، تبعٌ له ، فكيف يحويه ويحدّده ؟!! .
وأمّا التجزئة ؛ فواضح ؛ فذات الله تعالى بسيطة ، ودخولها في كلّ الأشياء ، شيئاً شيئاً ، ومكاناً مكاناً ، يوجب قسمتها وتجزئتها ، وامتناع هذا ضروري .

وقال مبيناً ذلك في موضع آخر : وأمّا قوله عليه السلام: وكلّما وقع عليه اسم الشيء فهو مخلوق ما خلا الله[1]، فلأنّ كلّ شيء غيره ، إمّا ماهية أو وجود، أمّا الماهية ؛ فلكونها غير الوجود[2] ، يحتاج في موجوديتها إلى جاعل يجعلها موجوداً، إذ الماهية لا تقتضي وجود نفسها ، وإلاّ لكان وجودها قبل وجودها وهو محال، ضرورة تقدم المقتضي على المقتضي.

فكلّ ماهية أو ذو ماهية ، فهو مخلوق، وأمّا الوجود ؛ فلأنّ كلّ وجود غير وجوده تعالى ، فهو يشوبه عدم ونقص ، فيحتاج الى مُوجِد، وله حد من مراتب الوجود يحتاج الى محدد، اذ لو كانت نفس طبيعة الوجود يقتضي ذلك الحد ، لكان الجميع كذلك وليس كذلك، هذا خلف[3].

فإذنْ كلّ ماله حد وجودي ، فله علّة محددة تحدّده على ذلك الحد، وهذا بخلاف الوجود الإلهي الذي لا ينتهي شدته الى حدّ ونهاية، بل هو وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى، فلا قاهر فوقه ولا محدّد له؛ إذ ليس فيه شيء إلاّ محض الحقيقة القدسيّة، وكلّ وجود سواه مخلوق، فثبت ما هو المطلوب[4].

---

(١) سيأتي النّص عن أهل البيت عليهم السلام أنّ الشيء -على الحقيقة- لا يوصف به إلاّ الله تعالى ، وما عداه على التبع ؛ كونه رشحةٌ منه ، فانتظر .

(٢) الماهيّة حدٌ من جنس وفصل ، أو جنس وخاصّة . وقد علم بداهةً أنّ الوجود ليس جنساً ولا فصلاً ولا خاصّةً ، بل هو عين التحقّق ؛ فامتنع أن يكون الوجود هو الماهيّة ، وإنّما هو زائدٌ عليها في العروض ، أي الحمل ؛ كما في قولنا : الإنسان موجودٌ .

(٣) لأنّ الوجود إمّا استقلالي بالذات ، وهو علّة الإيجاد الأولى ، وإمّا بالغير وهو المعلول المخلوق، ولا بد من رجوع ما بالغير إلى ما بالذات.

(٤) شرح أصول الكافي(ت: محمد خواجوي) ٣ : ٤٥ . مؤسسة تحقيقات فرهنكي ، إيران .

موجز برهان ملا صدر الدين الشيرازي ﵀

قلت : إنّما سردنا كلامه الشريف ﵇ بطوله ؛ لأنّه يضمّ مقدّمات كلّ البراهين العقليّة التي تبيّن ضرورة خلو الله تعالى عن خلقه، وخلو الخلق عنه..

وخلاصة كلّ كلامه الشريف أعلاه –واللفظ لي–: برهان الخلف المحال ، وزبدته مطويّة في قوله قدّس الله روحه : (فالوجود الصرف التام ، الذي لا أتم منه، لا يشوبه نقص ولا عدم...) ..

بيانه : الله سبحانه عين الوجود المستقل (= الغنيّ البحت البسيط) وكلّ ما عداه من خلقه فعين الوجود الرابط (=الفقير المركب) ودخول أحدهما في الآخر ، على الفرضين ، يوجب انقلاب المستقل إلى رابط ، وهذا خلف محال .

مع التنبيه أنّ بينونة الصفات والذات ؛ أي بينونة الوجود المستقل عن الوجود الرابط ، لا تمنع اشتراكهما من جهة أنّ الثاني ظلّ الأول ومعلوله ، وشعاع شمسه ونوره ، وقد تجلّى كلّ هذا في كلامه لمن تدبّره كما يجب .

الزبدة :

العقل يقطع بـ: لا بديّة خلو الذات الإلهيّة ، وهي وجود بحت صرف تام (=المستقل) عن الخلق المشوب بالنقص والفقر (=الرابط) ، وإلاّ لزم أن يكون وجود الذات الواجبة المستقلّ وجود رابط ، وبالعكس ، وهو محال .

يرشد لهذا البرهان القطعي ، كثيرٌ من الأخبار الثابتة المعتبرة ، المعتضدة بالبرهان القطعي ، منها : خبر سليمان بن مهران الآتي ..

البرهان على لسان الصادق عليه السلام

مضى ما رواه الكليني بإسناد صحيح، بل في أعلى درجات الصحّة عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام : «هو واحد ، واحدي الذات ، **بائن من خلقه** ، وبذاك وصف نفسه ، وهو بكل شيء محيط بالإشراف والإحاطة والقدرة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾[1] **بالإحاطة والعلم ، لا بالذات** ؛ لأنّ الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة ؛ **فإذا كان بالذات لزمها الحواية**»[2].

قلت : هذا الأصل ، وغيره من الأصول القطعيّة الماضية والآتية، المعلومة ضرورة ، ناهضة ببيان عشرات الأخبار في هذا الباب ..

منها ما رواه الكليني عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن عليّ بن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أنّ الله جسم صمدي نوري معرفته ضرورة يمنّ بها على من يشاء من خلقه؟!!.

فقال عليه السلام: «سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلاّ هو ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا يحد ، ولا يحس ، ولا يجس ، ولا تدركه الأبصار ، ولا الحواس ، **ولا يحيط به شيء** ، ولا جسم ، ولا صورة ، ولا تخطيط ، ولا تحديد»[3].

---

(١) سبأ : ٣.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٢٧ . باب أنّ الله شيء. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٣) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٠٥ . باب النهي عن الجسم. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، إلاّ البطائني الهالك لعنه الله ، بيد أنّ ما رواه هيهنا كان أيّام استقامته ، كما هو صريح الرواية ؛ فصفوان بن يحيى رضوان الله عليه رواها عنه أيّام الصادق عليه السلام .

ويلزم التنبيه أنّ مقصود الطوسي في قوله: قد عملت الطائفة بأخباره، ما قلناه لا مطلقاً، فتنبه لهذا التفصيل الذي غفل عنه غير واحد، فضعّفوه مطلقاً.

والحديث صريح أنّ ذات الله تعالى لا يحيط بها شيء ، فامتنع دخوله بذاته سبحانه في الأشياء ، وإلاّ لزم الحلول وهو ممتنع . وقد بينّا وجه الامتناع ؛ فالله تعالى وجود بحت بسيط ، لا يحده حد ، وافتراض حواية المكان لذاته تحديد ، وهو عين اجتماع النقيضين المحال .

وقد أرشد الإمام الصادق عليه السلام إلى هذا بقوله : «**فإذا كان بالذات ، لزمها الحواية**». فلاحظ كيف طوى المعصوم عليه السلام برهان المحال الآنف بأسلس عبارة ، وأسهل لفظ ، وأبين معنى ، ولا غرو ففصاحة أهل البيت لا تدانيها فصاحة ، ولا تقاربها بلاغة .

قال الصدوق رضي الله عنه (٣٨١هـ): الدليل على أنّ الله عز وجل ، لا في مكان، أنّ الأماكن كلّها حادثة، وقد قام الدليل على أنّ الله عز وجل قديم سابق للأماكن، وليس يجوز أن يحتاج الغني القديم إلى ما كان غنياً عنه، ولا أن يتغير عمّا لم يزل موجوداً عليه، **فصح اليوم أنّه لا في مكان ، كما أنّه لم يزل كذلك**.

وتصديق ذلك ، ما حدثنا به أحمد بن الحسن القطان، قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، عن بكر بن عبد الله بن حبيب، قال: حدثنا تميم بن بهلول، عن أبيه، عن سليمان بن حفص المروزي، عن سليمان بن مهران، قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام هل يجوز أن نقول: إنّ الله عز وجل في مكان؟!.

فقال عليه السلام : «سبحان الله ، وتعالى عن ذلك، إنّه **لو كان في مكان ، لكان محدثناً؛ لأنّ الكائن في مكان ، محتاج إلى المكان ، والاحتياج من صفات المحدث ، لا من صفات القديم**».

وحدثنا عليّ بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، عن علي بن العباس (الخراذيني=الجراذيني ، وثقه القمي في تفسيره، توثيقا عامّاً) ، عن الحسن بن راشد (البغدادي ثقة) ، عن يعقوب بن جعفر الجعفري (ثقة على الأظهر) ، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام أنه قال: إنّ الله تبارك وتعالى كان لم يزل ، بلا زمان ولا مكان ، وهو الآن كما كان، **لا يخلو منه مكان ، ولا يشغل به مكان، ولا يحلّ في مكان** : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب[١]، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال[٢].

قلت : إسناد الأوّل معتبر ؛ فلقد احتجّ به الصدوق وغيره ، على أنّ مضمونه صحيح ، من الضروريّات . وكذا الثاني ، كلاهما محتفٌ بقرائن القبول فلا تغفلها ..

---

(١) الحجاب هو ما اصطلح عليه أهل الحكمة : بينونة الصفة والذات ، وتعني : أنّه سبحانه عين الوجود بالاستقلال؛ بداهة رجوع كلّ ما بالغير إليه ، وهذا اليقين مع كونه عين الظهور ، إلاّ أنّه ذات الوقت عين الحجاب ؛ إذ الحس والوهم والخيال والعقل ، كلّها وجودٌ فقير محتاج ، لا تحيط بالتام البسيط الذي لا يتناهى (=المحض).
وسيأتي البسط في بيان هذا وتبيانه ، في الفصل الثالث .

(٢) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٧٨ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

صحيح ابن محبوب

«كذب من قال إنّ الله في شيء»

قال الصدوق رضي الله تعالى عنه (٣٨١هـ) : حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب عن حماد بن عمرو، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«**كذب من زعم أنّ الله عز وجل في شيء** ، أو من شيء ، **أو على شيء**»[١].

ورواه الصدوق رضي الله عنه متابعة قال : حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا عبد الله بن جعفر، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب به مثله [٢].

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات إلاّ حماد فمجهول ، لكنه من رواية ابن محبوب الذي أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنه .

قلت : لعلّ المراد بقوله عليه السلام : (كذب من زعم) أخطأَ ؛ فإنّه مستعملٌ في الكذب كثيراً ، كما نقول في القضايا الكاذبة : الأربعة فردٌ . أ؟ي الخاطئة التي لا تصدق .

ولعلّ المراد ، جحد وعاند ، ولعلّه أظهر ؛ بقرينة ما سيأتي عن مولانا الصادق عليه السلام ، ففيه : «**أشرك من قال إنّ الله في شيء**» وفي غيره : «**كفر**» فهاكهما ..

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٧٦. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٢) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٣١٧. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

معتبر المفضّل بن عمر

من زعم أنّ الله في شيء فقد أشرك

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، عن عمّه محمد بن أبي القاسم، عن أحمد ابن أبي عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**من زعم أنّ الله عز وجل من شيء ، أو في شيء ، أو على شيء ، فقد أشرك**».

ثمّ قال عليه السلام : « من زعم أنّ الله من شيء ، فقد جعله محدثاً، ومن **زعم أنّه في شيء** ، **فقد زعم أنه محصور** ، ومن زعم أنّه على شيء ، فقد جعله محمولاً »[1].

قلت : صحيح ، وهذا إسناد صحيح على الأقوى، له شاهد صحيح ، بلفظ : «**كفر**» سيأتي بعد قليل .

وقد ورد في نسخة من كتاب توحيد الصدوق : «**فقد جعله محصوراً**» بدل : «**فقد زعم أنه محصور**» وهو الأوفق بالسياق، وسيأتي في الحديث الآتي أنّ الكليني رضوان الله تعالى عليه ، علّقه في الكافي .

قلت : يشهد له ..

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٣١٧. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

صحيح أبي بصير

حديث كفر من قال أنّ الله في شيء

رواه الكليني رضي الله عنه من طريق آخر عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

«من زعم أنّ الله من شيء ، **أو في شيء** ، أو على شيء ، **فقد كفر**»

قلت : فسّر لي؟!.

قال عليه السلام : «**أعني بالحواية ، من الشيء له،** أو بإمساك له ، أو من شيء سبقه».

قلت : إسناد الأوّل صحيح ، والثاني معلّق .

ومن طريق آخر أخرجه الصدوق (٣٨١هـ) متابعة قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد به مثله[١] .

قلت : إسناده صحيح على الأظهر ؛ فيكفي أنّه من مشايخ ابن الوليد ، ناهيك عن توثيق ابن داود وغيره من أصحابنا المتأخرين رضوان الله عليهم وكذا تصحيح العلامة لأحاديثه ، علاوة على اعتماد أجلاء الطائفة على مروياته ، سيما قدماء القميين قدس الله أسرارهم ، فالرجل ثقة لا محالة ؛ إذ لم يرد فيه أدنى طعن .

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٣١٧. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

قال الكليني رضي الله عنه : وفي رواية أخرى : «من زعم أنّ الله من شيء ، فقد جعله محدثاً ، **ومن زعم أنّه في شيء** ، **فقد جعله محصوراً** ، ومن زعم أنّه على شيء فقد جعله محمولاً»[1].

قلت : إسناده معلّق ، لكنّه موصول عند الصدوق على ما اتّضح .

تنبيه !!

لعلّ المقصود بالشرك والكفر ، الأعم من الإنشائي ؛ فالإنشائي : كحكم الشارع بكفر النصارى القائلين بالحلول ؛ أي أنّ الله تعالى بذاته حلّ في جسد المسيح ، فلعلّه يتناول الإخبار ، لا الإنشاء فقط ؛ أي : الإخبار أنّ هذا القول كفرٌ ..

وبعبارة أخرى : فالكفر على قسمين :

فتارة : كفر القائل ، كما في النصارى ، القائلين بالحلول .

وأخرى : كفر القول لا القائل ؛ كقول المعطّلة (=الأشاعرة) أنّ الله تعالى بذاته حلّ في الأشياء ؛ فقولهم هذا وإن كان -في نفسه- كفراً إلاّ أنّهم لا يكفّرون به ؛ إذ مقصودهم تنزيه الله ، وأنّه لا يخلو منه مكان ، لكن أفرطوا ، وكذا المشبّهة حيث فرّطوا فيما زعموا وتأوّلوا ..

---

(١) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٢٧ . باب الحركة والانتقال. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

تعليق ابن تيمية والسبكي على صحيح أبي بصير !!

قال السبكي (٧٧١هـ) في طبقات الشافعيّة : سأل ابنُ شاهين ، الجنيدَ رضي الله عنهما عن معنى : ﴿مع﴾ فقال الجنيد : ﴿مع﴾ على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة ؛ قال الله تعالى : ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ ومع العالم بالعلم والإحاطة قال الله تعالى :﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ فقال ابن شاهين مثلك يصلح دالا للأمة على الله.

وسئل ذو النون المصري رضي الله عنه عن قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ؟!. فقال أثبت ذاته ، ونفى مكانه ؛ فهو موجود بذاته ، والأشياء بحكمته كما شاء.

وسئل عنه الشبلي رضي الله عنه فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى

وسئل جعفر بن نصير فقال : استوى علمه بكلّ شيء ، وليس شيء ، أقرب إليه من شيء.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : «من زعم أنّ الله في شيء ، أو من شيء ، أو على شيء فقد أشرك ؛ إذ لو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان على شيء لكان محمولاً ، ولو كان من شيء لكان محدثاً».

وفي موضعٍ آخر قال السبكي : البرهان الأول ؛ وهو المقتبس من ذي الحسب الزكي ، والنسب العليّ ، سيد العلماء ، ووارث خير الأنبياء جعفر الصادق رضي الله عنه قال : «لو كان الله في شيء لكان محصوراً...» [١].

---

(١) طبقات الشافعيّة(ت: محمود الطناحي) ٩: ٨٥. هجر للطباعة والتوزيع.

قال السبكي : فهذه كلمات أعلام أهل التوحيد ، وأئمة جمهور الأمة ، سوى هذه الشرذمة الزائغة [١].

وقال ابن تيمية (٧٢٨هـ) ردّاً عليه: قال : وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؟!. فقال : استوى علمه بكلّ شيء... . وهذا من نمط الذي قبله وأردى ، وهو أسخف من تأويلات القرامطة الباطنية ؛ فإنّ اللفظ ليس فيه ما يدل على ذلك أصلاً ، وجعفر ابن نصير أجل من أن يقول هذا التحريف الذي لا يصدر مثله إلاّ عن بعض غلاة الرافضة والقرامطة والملحدين الطاعنين في القرآن.

قال : وقال جعفر الصادق : «من زعم أنّ الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء ، فقد أشرك؛ إذ لو كان على شيء لكان محمولا ، أو كان في شيء لكان محصورا ، أو كان من شيء لكان محدثاً».

قلت هذا الكلام وأشباهه مما اتفق أهل المعرفة على أنه مكذوب على جعفر مثل كثير من الإشارات التي ذكرها عنه أبو عبد الرحمن في حقائق التفسير والكذب على جعفر كثير منتشر والذي نقله العلماء الثقات عنه معروف يخالف رواية المفترين عليه [٢]. انتهى كلام ابن تيمية بحروفه.

قلت : غرضنا بيان دعوى السبكي الإجماع ، وبيان عقيدة ابن تيمية في الجهة والأين .

---

(١) طبقات الشافعيّة(ت: محمود الطناحي) ٩ : ٤٣. هجر للطباعة والتوزيع.

(٢) الاستقامة(ت: محمد رشاد سالم) ١ : ١٩١. جامعة ابن سعود ، المدينة.

الحلول على قسمين ، كلاهما ممتنع

يلزم أن نشير إلى أنّ الحلول على معنيين خاص وعام ، والبرهان أدناه ، يتنناولهما معاً على السواء، فلا تذهل..

الأوّل : الحلول الخاص.

كما هي عقيدة النصارى أنّ الله تعالى بذاته حلّ في جسد المسيح ، وكما هي عقيدة من ألّه علياً ، وأنّ الله حلّ فيه ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً .

فما المسيح وأمير المؤمنين عليّ إلاّ عبدان مخلوقان ، لله الواحد الأحد ، العزيز الجبّار ، القادر القهّار..؛ بشران ، يأكلان الطعام ويمشيان في الأسواق صلوات الله عليهما .

الثاني : الحلول العام .

كاعتقاد أنّ الله تعالى موجودٌ بذاته في كلّ شيءٍ خلقه ، كما هي عقيدة المعطّلة ؛ كقدماء الجهميّة؛ كالبريسي، وقد أجمع جماهير المسلمين سنة وشيعة وخوارج ، إجماعاً مركباً ، أنّ هذه العقيدة باطلة ممتنعة ؛ أقل ما يقال في امتناعها لزوم أن يكون الواجب جسماً محدوداً ، منقسماً ، متقدّراً ، متجزّئاً ، متكثّراً ، وهذا خلف محال ؛ لبساطة ذاته سبحانه وأحديّته وواحديّته .

أمّا برهان استحالة الحلول : فالله تعالى بذاته ، وجودٌ بحت ، وإنية صرفة ؛ لا يخالطه عدم ، ولا يحدّه حدّ .

وافتراض أنّ الله تعالى بذاته ، **قد حلّ** في شيء من الأشياء المكانيّة المحدودة ، كجسد المسيح عليه السلام ، تحديدٌ وحواية ، وهو خلف كونه وجودٌ بحت بسيط ، وإنية محضةٌ صرفة .

قلت : البرهان يقينيّ واضح ، فلا نطيل .

والأخبار عن أهل البيت عليهم السلام قطعيّة، هاك منها :

ما أخرجه الصدوق (٣٨١هـ) قال : وحدثنا عليّ بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، عن علي بن العباس (الخراذيني=الجراذيني ، وثقه القمي في تفسيره، توثيقا عامّاً، وضعفّه النجاشي) ، عن الحسن بن راشد (البغدادي ثقة) ، عن يعقوب بن جعفر الجعفري (ثقة على الأظهر) ، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام أنه قال: إنّ الله تبارك وتعالى كان لم يزل، بلا زمان ولا مكان ، وهو الآن كما كان، **لا يخلو منه مكان ، ولا يشغل به مكان، ولا يحلّ في مكان**...[1].

قلت : إسناده ضعيف ، قال النجاشي رضي الله عنه : علي بن العباس الخراذيني الرازي ، رمي بالغلو وغمز عليه ، ضعيف جداً .

قلت : شواهده كثيرة ، قطعيّة الصدور ، سيأتي بعضها ، تلقّاه أصحابنا بالقبول ، ناهيك عن البرهان القطعيّ ، معناه ضروريّ عند أهل القبلة ، كما هو أظهر من أن يخفى.

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٧٧ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

الإتحاد الممتنع !!

وأمّا الاتحاد الممتنع ، فيعني : أنّ وجود الحقّ ، هو عين وجود الخلق ، ووجود الخلق عين وجود الحقّ سبحانه ؛ فالله تعالى هو عين المخلوقات ، والمخلوقات، بما هي أعيانٌ خارجيّة وكثرة، هي عين الله ؛ فالخالق هو عين المخلوق ، والمخلوق هو عين الخالق..؛ فالعابد هو المعبود ، والمعبود هو العابد، وهكذا ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً ، نعوذ به سبحانه من هذا الكفر البواح.

وبرهان امتناعه ضروريّ ، بل بديهي ، أقلّ ما يقال : لزوم أن تكون الذات الأحديّة البسيطة ، التي هي عين الفعليّة ، محلاً للحوادث والفقدان والخروج من القوة إلى الفعل، وهذا خلف كونها بسيطة ، عين الفعليّة المحضة.

ومعنى كونها محلاً للحوادث، الحركة والتجدد والتغيّر والتقدّر والتجزّء والانقسام كما أكثرنا البيان ؛ أي خروجٌ من القوّة والاستعداد ، إلى الفعليّة والتحقق ، وهذا ممتنع في الذات الإلهيّة البسيطة القديمة ، كونها عين التحقق المحض ، وعين الفعليّة البحتة= ﴿**إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[1].

هذا المعنى من الاتحاد ، والذي ربما يطلق عليه البعض : **وحدة الوجود الشخصيّة** ، لا يقول به مسلم، فيما أعلم، إلاّ بعض جهلة الصوفية وغلاتهم دون بقيّة الأمّة، وامتناعه ناهيك عن بطلانه، ضروري؛ إذ قد أجمع جماهير المسلمين ، سنة وشيعة وخوارج ، إجماعاً مركباً ، على بطلانه وامتناعه ؛ للبرهان أعلاه ، ولغيره : كلزوم أن يكون الله تعالى جسماً ذا أبعاد ، تعالى الله علواً كبيراً ، وسيأتي مزيد بيان في الفصل الأخير ، لا يسعنا الآن .

---

(١) البقرة : ١١٧.

زبدة الفصل الأوّل

أولاً : سبيل الأحاديث السابقة سبيل مقطوعات الصدور ؛ لشهادة العقل القطعي ، والإجماع الشرعيّ ، وتلقّي الطائفة لها بالقبول ، بل ما نحن فيه من ضروريّات المذهب .

إذ الأخبار في ما نحن فيه ، كثيرة متضافرة قطعيّة ، بل والله متواترة ، وقد ناءت رسالتنا المتواضعة هذه بسرد بعضها ، وفيها كفاية .

ثانياً : الله تعالى موجودٌ في كلّ مكان خَلَقَه ، وفي كلّ شيء برأه ، **بفعله** ؛ أي : بقيّوميّته وتدبيره وإشرافه وإحاطته وعلمه وقدرته .

وإلاّ لزم خروج ما خلق وبرأ وذرأ ، عن سلطانه وملكه سبحانه وتعالى، وبطلانه معلوم ضرورة ، بل ممتنع ؛ لأنّه عين الإنية المحضة والفعليّة البحتة.

على هذا أجمعت طوائف المسلمين ، عبر العصور ؛ إجماعاً مركباً ، لم يشذ عنه منهم أحد .

ثالثاً : الله تعالى منزّه أنْ يكون بذاته في شيء برأه ، أو مكانٍ خلقه .

وإلاّ لزم الحواية والحلول والحدّ والتركّب والتقدّر والتجزّء والانحصار ، وكلّ هذا محال ، وكونها محالات ، معلومٌ ضرورة ، وقد مضى النّص الإرشادي عن أهل البيت عليهم السلام في امتناع الحلول وغيره ، وثمّة غيره الكثير.

أجمع على هذا قاطبة أهل الإسلام ، إلاّ المعطّلة ؛ كقدماء الجهميّة ؛ كالمريسي من أتباع الجهم بن صفوان ، فقالوا : إنّ الله تعالى بذاته في كل شيء وفي كلّ مكان ، وبطلانه أوضح من أن يخفى ، للامتناع ؛ فيمتنع أن يحوي الذات المحضة الصرفة ، والوجود البحت البسيط ، حدٌّ أو مكانٌ .

رابعاً : استواء الله على العرش يعني أنّ الله تعالى موجودٌ في كلّ شيء ، لا يخلو منه شيء ، لكن ليس بذاته ، وإنّما بعلمه وتدبيره وإحاطته وقيّوميّته وهيمنته ، لا يعزب عن ملكه وفعله شيء في السماوات والأرضين .

خامساً : أجمع أهل الإسلام أنّ بينونة الله تعالى عن خلقه ، هي بينونة صفة ؛ بمعنى استحالة أن يحيط الخلق الفقير الممكن ، بالخالق الغنيّ الواجب البسيط ، وليست البينونة بينونة عزلة ، وأين ، وجهة ، ومكان .

لكن شذّ عن هذا ، المجسّمة وأهل الجهة ؛ أشهرهم ابن تيمية الحراني ، فقالوا : بينونة الله تعالى ، هي بينونة أين وجهة ومكان وعزلة ، قبّح الله ما قالوا، وهو ممتنع كما أوضح أهل البيت عليهم الصلاة والسلام ، وسيأتي مزيد بيان وبرهان في الفصل الثالث .

سادساً : ينبغي أن تكون بينونة الله تعالى عن خلقه بديهيّة ضروريّة ؛ إذ الله تعالى عين الوجود المحض ، والإنية الصرفة ، والكمال التام ، والاستقلال الخالص العام ، وعالم الأشياء عين الوجود الناقص الفقير المحتاج ؛ فكيف يعقل أن يحوي هذا ذاك ، أو يمتزج هذا بذاك أو يدخل هذا في ذاك ؟!!.

الفصل الثاني

الله تعالى في كلّ مكان

صحيح الفضل بن يونس

الله تعالى لا يخلو منه مكان

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) في العلل قال : حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني والحسين بن ابراهيم بن أحمد ابن هشام المؤدب الرازي ، وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهم قالوا : حدثنا علي بن ابراهيم بن هاشم ، عن أبيه، عن الفضل بن يونس (الكاتب، ثقة) ، قال كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري فانحرف عن التوحيد...، فقال للصادق عليه السلام : ذكرتَ اللهَ ، فأحلتَ على غائب؟!!.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «ويلك كيف يكون غائباً ، من هو مع خلقه شاهد ، وإليهم أقرب من حبل الوريد ، يسمع كلامهم ، ويرى أشخاصهم ، ويعلم أسرارهم».

فقال ابن أبي العوجاء: **أهو في كل مكان** ، أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض ، وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟!.

فقال أبو عبد الله عليه الصلاة والسلام : «إنّما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان ، اشتغل به مكان ، وخلا منه مكان ، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ، ما يحدث في المكان الذي كان فيه ، فأمّا الله العظيم الشأن ، الملك الديان ، **فلا يخلو منه مكان** ، **ولا يشتغل به مكان** ، **ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان**» (١).

قلت : إسناده صحيح ، تلقاه أصحابنا بالقبول .

---

(١) علل الشرائع(ت: صادق بحراعلوم) ٢: ٤٠٤. المكتبة الحيدريّة ، النجف .

وأخرجه في الأمالي قال : حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور رحمه الله قال حدثنا الحسين بن محمد ابن عامر عن عمه عبد الله بن عامر ، عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي عن الفضل به نحوه [١].

قلت : إسناده أيضاً صحيح ، ومحمد بن زياد ، هو ابن أبي عمير رضوان الله تعالى عليه .

شاهد: خبر عيسى بن يونس

ورواه الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن أبي عبد الله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن داود بن عبد الله ، عن عمرو بن محمد ، عن عيسى بن يونس قال: قال ابن أبي العوجاء لأبي عبد الله عليه السلام وساق مثله [٢].

قلت : صحيح ، وهذا الإسناده مجهول.

قلت : معنى الحديث واضح ، ناء الفصل الأوّل ببيانه بما لا مزيد عليه ، وثمّة شاهد آخر ، هاكه ..

---

(١) أمالي الصدوق : ٧١٤. مؤسسة البعثة ، قم .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٢٦. باب الحركة والانتقال. دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.

صحيح خالد بن ربعي

«لا يحويه مكان ، ولا يخلو منه مكان»

وله شاهد آخر أخرجه الصدوق (٣٨١هـ) في الأمالي قال : أخرج الصدوق (٣٨١هـ) في العلل قال : حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني ، حدثنا عمر بن سهل بن إسماعيل الدنيوري ، قال : حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان عن عبد الملك بن عمير ، عن خالد بن ربعي عن أمير المؤمنين –في قصّة الأعرابي– :

«**يا من لا يحويه مكان ، ولا يخلو منه مكان ، بلا كيفيّة**[1]... »[2].

قلت : إسناده سنّي..؛ الحافظ الإمام عمر بن سهل الدنيوري ، وزيد بن إسماعيل الصائغ المكي ، ومعاوية بن هشام الأسدي ، وعبد الملك اللخمي القاضي، وخالد بن ربعي الأسدي، من ثقات أهل السنّة المشهورين المعروفين.

قلت : الحديث صحيح ، كما أنّ العمل به واجب؛ لتلقّي أصحابنا للفظه ومعناه بالقبول ، ناهيك عن شهادة البرهان القطعي ، فاجمع واحفظ ؛ فبعض ما رواه أهل السنّة قطعيّ الصدور ، وبعض آخر مقبول إذا رووه عن أمير المؤمنين ، وشهدت له القرينة ، كما ذكر الشيخ الطوسي في العدّة ، والكليني فيما نحن فيه وسيأتي كلامه الشريف.

---

(١) أمالي الصدوق : ٥٥٤. مؤسسة البعثة ، قم .

(٢) لأنّ الكيف عرض ، يعرضُ على الجسم والمادة ، والله منزّه عنهما ؛ إذ الجسم والمادّة عين الحدوث والتغيّر والتجدد والفناء ، والله تعالى عين القدم والكمال والثبات . ونعني بالثبات : الثابت سبحانه ؛ أي عين الفعليّة ، وسيأتي النص عن أهل البيت عليهم السلام في هذا .

والمقصود أنّ الله تعالى في كلّ مكان بعلمه وقدرته وتدبيره ، محال أن يكون بذاته .

شاهد آخر : معتبر ابن سنان

«الله داخل في كلّ مكان ، وخارج من...»

روى الكليني عن عليّ بن محمد ، عن سهل وعن غيره ، عن محمد بن سليمان ، عن علي بن إبراهيم ، عن عبد اللهَّ بن سنان عن أبي عبد اللهَّ عليه السّلام قال : قال « إنّ اللهَّ عظيم رفيع[1] ، لا يقدر العباد على صفته ، ولا يبلغون كنه عظمته ، لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير، ولا يوصف بكيف ، ولا أين وحيث ، وكيف أصفه بالكيف ، وهو الذي كيّف الكيف ، حتى صار كيفاً ، فعرفتُ الكيف بما كيف لنا من الكيف ، أم كيف أصفه بأين ، وهو الذي أين الأين ، حتى صار أيناً ، فعرفت الأين بما أين لنا من الأين ، أم كيف أصفه بحيث ، وهو الذي حيث الحيث ، حتى صار حيثاً ، فعرفت الحيث، بما حيث لنا من الحيث؛ **فالله تعالى داخل في كلّ مكان ، وخارجٌ من كلّ شيء**، لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، لا إله إلا هو العليّ العظيم ، وهو اللطيف الخبير»[2].

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد قويٌ جيّد ، رجاله ثقات ، وكذا سهل على الأقوى . محمد بن سليمان ، هو أبو طاهر الرازي الثقة ، وعلي بن إبراهيم هو الجعفري ، كما نصّ الصدوق عليه في التوحيد ، وقد وثّقه ابن قولويه .

وأياً كان فمضامين هذا الحديث ممّا تلقاه أصحابنا رضوان الله تعالى عليهم بالقبول ، لا أعلم من ردّها ، بل هي ضروريّة عندنا ، ناهيك عن يقين البرهان ؛ إذ العقل قد استقلّ بها .

---

(١) ليس بمعنى الارتفاع المكاني ، وإنّما كمال الذات والصفات ، كما سيأتي في فصل قادم.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٠٤ . باب أنّ الله شيء . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.

معنى الحيث والأين !!!

قوله عليه السلام : (**وهو الذي أَيَّنَ**) أوجدَ وخلق (**الأيْنَ**) أي المكان (**حتى صار أيْناً**) مكاناً له جهات ست ، وهذا واضح لا يحتاج لمزيد بيان .

أمّا الحيْثُ فقد اختلف العلماء فيه على قولين ، سيما فيما نحن فيه ، لكن على أيّ حال ؛ فالحيْثُ -في أصل الوضع- : اسم مكان للشيء .

وعلى هذا فقوله عليه السلام : (وهو الذي حيّثَ الحيْثَ ، حتى صار حيْثاً) يعني الجهة المكانيّة لا نفس المكان ؛ تقول : جلستُ حيث جلسَ زيدٌ ، لا حيثُ جلس عمروٌ ، أي هذه الجهة من المكان دون تلك .

فالحيث إذن هو : الحصول والتحقق في جهة من جهات المكان . فالمكان شيء وحيثيّته ؛ أي جهته شيءٌ آخر .

وهذا هو الأظهر من الحديث ، والقرينة عليه التفريع فقوله عليه السلام : (**فالله تعالى <u>داخل في كلّ مكان</u>**) متفرعٌ على : (فعرفت الحيث، بما حيث لنا من الحيث؛ **<u>فالله</u>**...) .

وحاصل المعنى : الله تعالى في كلّ مكان؛ لأنّه سبحانه هو الكمال المحض الذي أيّنَ الأين، وأيضاً فهو سبحانه في كلّ جهات المكان ومواضعه بنفس القرب ؛ لأنّه عين الكمال المحض الذي حيَّثَ الحيث .

واحتمل غير واحد من العلماء أنّ المقصود بالحيث ، الحيثيّات التقييديّة العارضة على ذوات الممكنات ، المنافية للكمال ؛ كقولنا : اكرم زيداً العالم ، ولا تكرم عمرواً الجاهل ، وهذا وإن كان -في نفسه- صحيحاً لكن الأوّل أظهر .

كلمة تامّة لصدر المتألهين الشيرازي رضي الله عنه

قال قدس سره شارحاً الحديث الآنف : إنّه تعالى (**داخلٌ في كل مكان**) ولكن لا كدخول الجسم في المكان[١] ، ولا كدخول الشيء في الزمان[٢] ، ولا كدخول الجزء في الكلّ[٣]، ولا كدخول الكلّي في الجزئي[٤]، ولا كدخول النوع في الشخص[٥] ، أو الماهية في الوجود [٦]، والمادة في الصّورة [٧]، أو النفس في البدن[٨]، أو ما يجري مجرى هذه الانحاء، بل هذا نحو آخر من الدخول **مجهول الكنه** ؛ إنّما نشأ من غاية عظمته ، **وسعة قيوميته.**

(١) لامتناع حواية الوجود المحدود ، غير المحدود ، وهو التام الصرف البسيط.

(٢) لامتناع التقدّر بمقادير الحركة وذي الحركة ؛ بداهه أنّه سبحانه عين التحقّق والفعليّة .

(٣) لامتناع تجزّء الذات الأحديّة ؛ كونها عين الوجود المحض البسيط بالذات .

(٤) لامتناع أن يكون للذات الأحديّة البسيطة ، جنسٌ أو فصلٌ ، وبالتالي حدّ وماهيّة ، كما في كلّي الإنسان ؛ لأنّ الذات الأحديّة عين الوجود المحض البسيط بالذات والاستقلال .

(٥) كدخول الطبيعة في أفرادها الخارجيّة ؛ من قبيل دخول الإنسانيّة في شخص زيد مثلاً.

(٦) كاتحاد ماهيّة الإنسان ، وهكذا بقيّة الأنواع ، كلّ مع وجودها الطبيعي الخارجي ؛ إذ الماهيّات أنحاء وجود الأنواع وحدودها ، بما يتميّز كلّ نوع عن الآخر خارجاً... .

(٧) لأنّ الذات الإلهيّة ، عين التحقّق والفعليّة بالاستقلال ، ودخول أو عروض الصورة على المادّة عين النقص والفقدان ؛ إذ الغرض من عروض الصورة على المادّة ، هو : وصول الصورة إلى مرحلة الفعليّة ، ولا يكون هذا –في الدنيا– إلاّ بالمادّة ، تنزّه الله عن هذا.
وعلى سبيل المثال ، فالنفس الإنسانيّة –في عالم الدنيا– لا تصل إلى مرحلة الفعليّة والتحقق (الاستكمال) إلاّ بالبدن . والله منزّه عن هذا ؛ بداهة أنّه عين الكمال ؛ أي: الفعليّة والتحقّق .

(٨) فالنفس هي الصورة ، والمادّة هي البدن .
مع التنبيه أنّ هذا مع اتحاد المادة والصورة ، أي بعد عروض النفس على البدن للاستكمال في الدنيا ، لكن بعد الموت ، تتجرّد النفس عن البدن ؛ ضرورة أنّها بواسطة البدن فعلت أفاعيلها ، واستكملت فعليّتها ، فما عادت بحاجة إليه ؛ لذلك فارقته ، فاحفظ جيّداً.

فلو خلى منه مكان لكان فاقد الشيء ، والفقد ضرب من النقص والقصور ، ومرجعه الى العدم ، والعدم ينافي حقيقة الوجود، وقد علمت مراراً أنّ ذاته تعالى محض حقيقة الوجود، وحقيقة الوجود لا يمكن أن يكون وجوداً لشيء ، وعدماً لشيء آخر ، وإلاّ لم يكن نفس حقيقة الوجود[١]، بل مركباً من وجود ، وشيء آخر يخالف الوجود، كسائر الأشياء الناقصة الوجود. فافهم.

وإنّه تعالى خارج من كلّ شيء ، ولكن لا كخروج شيء مزائل لشيء ، فاقدٍ إيّاه، ومنشأ هذا الخروج هو أيضاً بعينه منشأ ذلك الدخول ، وهو غاية عظمته وكماليته في الوجود، فإنّ غاية العظمة ، كما يستلزم الدخول في كلّ شيء ، فكذا يستلزم الارتفاع[٢] عن كلّ شيء[٣].

قلت : قوله الشريف : دخول الله تعالى في الأشياء **(مجهول الكنه)** علّله بكونه ناشئاً (من غاية عظمته ، **وسعة قيوميته)** إذ العظمة المحضة هي ما يطلق عليها بينونة الصّفة ؛ أي : لا يحيط بقدسه عقل ولا وهم ولا حس ؛ لذلك هي مجهولة الكنه ، فاحفظ مراده طيّب الله ثراه .

---

(١) مقصوده الشريف بـ: **(نفس حقيقة الوجود)** الوجود المحض البسيط، بالذات والاستقلال سبحانه ، وأمّا المخلوقات ، فهي وإن كانت موجودة –**على الحقيقة أيضاً**– لكن بالغير والتبع ، فاحفظ هذا جيّداً ، فلربما استعصى على بعض الفحول.

(٢) الارتفاع هيهنا عين بينونة الذات والصفة ؛ إذ الكمال المحض يباين النقص المحض ، فمحال أن يحوي النقص الكمال ؛ لكن لأنّه وجودٌ بحت وكمال محض ، فافتراض العزلة عن الموجودات ، محالٌ أيضاً ؛ لأنّها نقصٌ ينافي الكمال المحض، وقد أفردنا فصلاً لبيان هذا .

(٣) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ١٩٢ . مؤسسة مطالعات فرهنكي ، إيران .

كلمة جيّدة للمازندراني رحمه الله

وقال المازندراني : قوله عليه السلام : (**فالله تبارك وتعالى داخل في كلِّ مكان**) لا كدخول الجسم والجسمانيّات فيه ، بل **بمعنى العلم والإحاطة به والحفظ** ، وليس علمه بالأمكنة وما فيها ، كعلم المخلوق الّذي يحتاج إلى الانتقال من مكان إلى آخر ؛ ليعلمه ويعلم ما فيه .

لأنَّ الله العظيم المتعال ، لا يحتاج في العلم بها إلى الحركة والانتقال ، ولا يخرج من علمه مكان ، ولا يشتغل هو بمكان ، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان ، بل نسبة جميع الأمكنة إلى قدس ذاته على السواء ، وهذا الكلام كالنتيجة للسابق ؛ ولذلك فرَّع عليه بالفاءِ ، ووجه التفريع ظاهر ؛ لأنّه إذا كان خالقاً للأمكنة ، كان عالماً بها بالصرورة .

ولمّا كان المتبادر من الدُّخول في كلِّ مكان، **هو الحلول** فيه ، أشار عليه السلام إلى ما يخرجه عن هذا المعنى إلى المعنى المجازي الّذي ذكرناه بقوله : (**وخارج من كلِّ شيء**) لا كخروج الجسم والجسمانيّات وغيرهما من المخلوقات ؛ لاستحالة ذلك على الله سبحانه ، بل بمعنى تقدُّسُ ذاته عن الكون في شيء ، ويحتمل أن يقال : معناه أنّه متميّز بذاته وصفاته عن كلِّ شيء ، لا يشاركه شيء بوجه من الوجوه [1].

قلت : لا وجه لقوله الشريف قدس سره : (**ويحتمل أن يقال...**) . لأنّه مطوي في قوله : (**بمعنى تقدُّسُ ذاته عن الكون في شيء**) . اهـ. فالتميّز بالصفة ، هو ما ذكرناه من بينونة الصفة ، وهذا عين معنى تقدّس الذات عن الأعدام ، وهو بالنتيجة مانعٌ من كون الذات في الشيء ذي الأعدام، على ما أوضحنا مراراً .

---

(١) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) : ٢١٨ . دار إحياء التراث العربي، بيروت.

معتبر فتح الجرجاني

بان عن الأشياء، وبانت الأشياء عنه

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله ، قال : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي ، قال : حدثني علي بن العباس (الخراذيني=الجراذيني) قال : حدثني جعفر بن محمد الأشعري (لم تستثن رواياته) ، عن فتح بن يزيد الجرجاني (صاحب المسائل ، كان فاضلاً ممدوحاً) ، قال : كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد فكتب إليّ بخطه ..

قال جعفر الأشعري : وإنّ فتحاً أخرج إليّ الكتاب فقرأته بخط أبي الحسن عليه السلام : «بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الملهم عباده الحمد ، وفاطرهم على معرفة ربوبيته[١] ، الدال على وجوده بخلقه[٢] ، وبحدوث خلقه على أزله [٣]، وبأشباههم على أن لا شبه له ، المستشهد آياته على قدرته ، الممتنع من الصفات ذاته[٤] ، ومن الأبصار رؤيته ، ومن الأوهام الإحاطة به ، لا أمد لكونه ، ولا غاية لبقائه ، لا يشمله المشاعر[٥] ، ولا يحجبه الحجاب ؛ فالحجاب

---

(١) وهو قوله تعالى : ﴿فِطْرَتَ اللهَّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ .

(٢) برهان الإن : القطع بوجود العلّة والمؤثّر ؛ لاستحالة وجود المعلول والأثر من دون علّة ، وهذه القضيّة بديهيّة .

(٣) وإلاّ لزم الدور والتسلسل ؛ أو بداهة رجوع ما بالغير إلى ما بالذات .

(٤) لأنّ صفاته سبحانه عين ذاته ، يمتنع أن تكون زائدة على ذاته؛ إذ لا هو إلاّ هو ، وفرض زيادة الصفات على الذات ، يكون هو وغيره ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً .

(٥) أي لا تحيط به الحواس .

بينه وبين خلقه[١] ؛ **لامتناعه ممّا يمكن في ذواتهم**[٢] ، **ولا مكان ذواتهم** **ممّا** يمتنع منه ذاته ، **ولافتراق** الصانع والمصنوع ، والرب والمربوب ، **والحاد والمحدود**[٣].

أحدٌ لا بتأويل عدد[٤]، الخالق لا بمعنى حركة[٥] ، السميع لا بأداة ، البصير لا بتفريق آلة ، **الشاهد لا بمماسة**[٦]، **البائن لا ببراح مسافة**[٧]، **الباطن لا باجتنان**[٨]، **الظاهر لا بمحاذ**[٩] ، الذي قد حسرت دون كنهه نوافد[١٠] الأبصار ، وامتنع وجوده جوائل الأوهام .

---

(١) الحجاب هيهنا ، هو : البينونة الذاتيّة (=بينونة الصفة) بين الذات البسيطة الغنيّة الواجبة البحتة ، وبين الذوات المركبة المحدودة الناقصة الفقيرة .

(٢) أي لامتناع أن يكون واجب الوجود ، ممكناً ؛ للخلف المحال ، وكذا العكس .

(٣) افتراق الحاد والحدود ، هو بينونة الصفة ، وقد ألمحنا لها مراراً ، وثمّة مزيد.

(٤) الذات الأحديّة بسيطة ؛ كونها وجود محض بالاستقلال ، وإنية صرفة بالذات، والوجود المحض لا ثاني له ؛ إذ لا شيء غيره ، لكي يكون ثانياً ، والعدم لا شيئيّة له ، فلا يقابل الوجود بأيّ وجه .

وأمّا وجود المخلوقات ، فهو تبعي تعلّقي ربطي ظلّي ، أي بالغير، لا بالذات والاستقلال.

(٥) الحركة -تعني فيما تعني-: خروج من القوة إلى الفعل ، والذات الإلهيّة عين الفعليّة المحضة ذاتاً واستقلالاً ، يمتنع أن تطرأ عليها حركة ، وإلاّ أضحت محلاً للحوادث والتغير والتقدّر ، وهو ممتنع قطعاً ، وقد أوضحنا سابقاً في الطيّات أن عالمي الدهر والسرمد ثابتين لا متغيرين ؛ لخروجهما الذاتي عن وعاء الزمان والمكان ، والذات الإلهيّة أشدّ خروجاً .

(٦) المماسة من خواص الأجسام ، والله تعالى ليس بجسم .

(٧) البراح : العزلة ؛ أي : بائن لا بعزلة .

(٨) الاجتنان: الاستتار، وهو سبحانه مستبطن كلّ شيء بالقهر والغلبة التدبير؛ غير مستتر.

(٩) لأنّ الظهور في الماديّات لا يتحقق إلا بمحاذاتها للحواس ؛ كمحاذات الجبل للعين . لكنّه سبحانه ظاهرٌ غير مستتر ، بقهره الأشياء ، وغلبته إيّاها بالتدبير .

(١٠) في بعض النسخ : «نواقد» وهو محتمل ، وما أثبتاه ألصق بالمعنى.

أوّل الديانة معرفته، وكمال المعرفة توحيده، وكمال التوحيد نفي الصفات عنه ؛ لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ، وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة[١] ، وشهادتهما جميعاً على أنفسهما **بالـبَيْـنَة**[٢] ، الممتنع منها الأزل[٣].

فمن وصف الله فقد حدّه[٤] ، **ومن حدّه فقد عده**[٥] ، **ومن عده فقد أبطل أزله**[٦]، ومن قال : كيف ، فقد استوصفه ، ومن قال : على مَ ، فقد حمله ، ومن قال : **أين فقد أخلى منه**[٧]، ومن قال : إلى مَ فقد وقته.

عالم إذ لا معلوم ، وخالق إذ لا مخلوق، ورب إذ لا مربوب ، وإله إذ لا مألوه ، وكذلك يوصف ربنا ، وهو فوق ما يصفه الواصفون» [٨] .

---

(١) ضرورة أنّ صفاته عين ذاته ، يمتنع أن تكون زائدة على ذاته .

(٢) أي البينونة ، وهو محتمل ، وفي بعض النسخ : «التثنية» ولعلّها أوفق بالسياق .

(٣) بداهة قضيّة : رجوع ما بالغير إلى ما بالذات ، أو رجوع الحادث إلى القديم ، أو الرابط إلى المستقل ، يمنع التثنية ؛ إذ ليس في الأزل إلاّ قديماً واحداً أحداً .

(٤) أي حصره بماهيّة بمعناها الخاص ، والله لا ماهية له ؛ أي: لا حدّ له .

(٥) كلّ ما له حد في وعاء الوجود الخارجي، كالإنسان ، فهو معدود قياساً بالمحدودات الأخرى ، كالشجر والبقر ، نقول : الحد الأول هو حد الإنسان ، والحد الثاني البقر و... .
أمّا الله تعالى ، فيمتنع هذا العد ؛ لامتناع الحدّ ؛ لأنّه عين الوجود المحض التام البسيط ، وهذا الوجود البسيط لا ثاني له ؛ بداهة أنّه لا شيء في الوجود على الاستقلال غيره.
وتكثّر هذه الحدود في المخلوقات ، ليس من حقيقة الوجود المحضة الحقّة ، وإنّما هي من مراتب تنزلاته ، تبعٌ له ، شعاعٌ لشمسه ، فافهم المراد فلربما استعصى على الكثير.

(٦) لأنّ الأزليّ القديم ، وجود محض بسيط لا حدّ لوجوده ؛ إذ الحدّ من صفات المخلوق الذاتيّة الطارئة على الوجود ، تبعٌ له .

(٧) أي أخلى منه سائر الأمكنة ، وقد علم ضرورة أنّ الله تعالى في كل مكان بعلمه وإحاطته وتدبيره وقدرته وقيّوميّته وهيمنته وملكه ، ما شئت فعبّر ؛ فكلّها متلازمة شرعاً وعقلاً .

(٨) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٥٧ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

قلت : إسناده قويّ ، رجاله –في الجملة– ممدوحون . علي بن العباس الجراذيني أو الخراذيني ، وكذا جعفر الأشعري ، وثقهما عليّ بن إبراهيم في تفسيره ، هذا عدا مدح الأوّل . لكن النجاشي –كما ذكرنا– قال في الخراذيني : ضعيف جدّاً .

ولا يضرّ ، فقد سقناه شاهداً لما نحن فيه ؛ كونه ضرورياً عندنا ، تشهد له المتواترات النقليّة ، بعضها مرّ آنفاً ، كما تشهد له البراهين القطعيّة وقد ألمحنا لها عاجلاً وآجلاً في الطيّات .

لكن نشير إلى أنّ الكليني رواه عن رواه محمد بن الحسين ، عن صالح بن حمزة ، عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم ، قال : كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام ، وفيه : «**وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة ، وشهادتهما جميعاً بالتثنية ، الممتنع منه الأزل**»[1]. ولعلّه أوفق بالسياق، والأوّل محتمل ، فتأمّل .

قوله عليه السلام : (**عالم إذ لا معلوم**) المعلوم : المخلوق الخارجي ، وهو لا ينافي وجوده بنحوٍ أشرف بسيط، قبل خلقه. فكلّ ما خلق الله تعالى ، كان علماً بسيطاً ، موجوداً حاضراً أزلاً في الذات الإلهيّة ، قبل أن يكون ، وهو كذلك حتى بعد أن كان ، بل بعد هلاكه، وسيأتي البيان في الفصل الأخير.

قال المازندراني رضي الله عنه : (**خالق إذ لا مخلوق**) الخلق بمعنى التقدير.اهـ.

قلت : فالله تعالى قدّر الأشياء –بعلمه– في الأزل قبل وجودها ، وهو الأظهر الأصرح من النصوص الثابتة. وقيل : قادرٌ على أن يخلق قبل أن يخلق . وهذا وإن كان تامّاً –في نفسه– لكن ربما يأباه سياق الحديث.

---

(١) الكافي (ت: غفاري) ١: ١٤٠ . باب جوامع التوحيد . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.

معتبر ابن قتيبة شاهداً

روى الكليني علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن شباب الصيرفي واسمه محمد بن الوليد ، عن علي بن سيف بن عميرة ، قال حدثني إسماعيل بن قتيبة قال : دخلت أنا وعيسى شلقان على أبي عبد الله عليه السلام ..

فابتدأنا عليه السلام فقال : «عجباً لأقوام يدّعون على أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يتكلم به قط؛ خطب أمير المؤمنين عليه السلام النّاس بالكوفة فقال: الحمد لله الملهم عباده حمده ، وفاطرهم على معرفة ربوبيته ، الدال على وجوده بخلقه ، وبحدوث خلقه على أزله ، وباشتباههم[1] على أن لا شبه له ، المستشهد بآياته على قدرته ، الممتنعة من الصفات ذاته ، ومن الأبصار رؤيته ، ومن الأوهام الإحاطة به ، لا أمد لكونه ، ولا غاية لبقائه ، لا تشمله المشاعر ، ولا تحجبه الحجب ، والحجاب بينه وبين خلقه ، خلقه إياهم ؛ لامتناعه ممّا يمكن في ذواتهم ، ولإمكان ممّا يمتنع منه ، **ولافتراق الصانع من المصنوع** ، **والحاد من المحدود** ، والرب من المربوب ، الواحد بلا تأويل عدد ، والخالق لا بمعنى حركة [2]، والبصير لا بأداة ، والسميع لا بتفريق آلة ، **والشاهد لا بمماسة** ، **والباطن لا باجتنان** ، **والظاهر البائن لا بتراخي مسافة**... » [3].

قلت : حديث صحيح ، وهذا الإسناد مجهول على المحتمل ، فابن قتيبة لم نتعرف حاله ، لكنّه من أصحاب الصادق عليهم السلام الذين لم يرد فيهم طعن، وأحاديثهم قويّة على الأظهر ، فصلح الاستشهاد به .

---

(١) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٤٠ . باب جوامع التوحيد . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.
(٢) كونه ثابتاً سبحانه ؛ أي عين الفعليّة والتحقق .
(٣) في توحيد الصدوق : « أشباههم» والمعنى: نفي الشبه والشبيه .

شاهد لما تقدم، حديث الرضا عليه السلام

أخرجه الصدوق قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن عمر الكاتب، عن محمد بن زياد القلزمي[١]، عن محمد بن أبي زياد الجدي صاحب الصلاة بجدة، قال: حدثني محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلم بهذا الكلام عند المأمون في التوحيد.

قال ابن أبي زياد: ورواه لي أيضا أحمد بن عبد الله العلوي مولى لهم وخالاً لبعضهم ، عن القاسم بن أيوب العلوي ، أنّ المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر ، جمع بني هاشم فقال: إنّي أريد أن أستعمل الرضا على هذا الأمر من بعدي، فحسده بنو هاشم، وقالوا: أتولي رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة؟! فابعث إليه رجلاً يأتنا ، فترى من جهله ما يستدل به عليه، فبعث إليه فأتاه.

فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر ، وانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد عليه السلام المنبر، فقعد ملياً لا يتكلم مطرقاً، ثمّ انتفض انتفاضة، واستوى قائماً، وحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيه وأهل بيته.

ثمّ قال: «أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه[٢]؛ لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف

---

(١) وفي بعض النسخ : العلوي ، وفي أخرى : القلوني . لم أقف عليه ، والأقوى أنّه من أهل السنّة .

(٢) لأنّها عين ذاته ، لا زائدة عليها ؛ فالمقصود بالنفي : نفي زيادتها على الذات ، فانتبه.

مخلوق[١] ، وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً[٢]، ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث[٣]، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل [٤]، الممتنع من الحدث[٥]، فليس اللهَ عرف من عرف بالتشبيه ذاته[٦]، ولا إيّاه وحدّه من اكتنهه[٧]، ولا حقيقةٌ أصاب من مثَّلَه[٨]، ولا به صدّق من نهاه[٩] ، ولا صمد صمده من أشار إليه[١٠] ، ولا إيّاه عنى من شبهه[١١]، ولا له تذلل من بعضّه[١٢]، ولا إياه أراد من توهمه[١٣].

---

(١) إذا لم تكن الصفة عين الموصوف ، لزم التركيب والحدوث والإمكان ، والذات الأحديّة بسيطة قديمة أزليّة .

(٢) لأنّ مردّ وجود كلّ ما بالغير ، إلى ما بالذات ؛ لاستحالة وجود ما بالغير دون علّة ، وإلاّ ، في أقلّ ما يقال ، لزم الدور والتسلسل ، وهما محال .

(٣) أي التركب بين الصفة والموصوف، وهو حدث ؛ أي : خروجٌ من القوّة إلى الفعل .

(٤) يمتنع أن يكون الحادث أزلياً ؛ للخلف المحال .

(٥) يمتنع أن يكون الأزلي حادثاً ؛ للخلف المحال .

(٦) أي ليس للواجب بالذات سبحانه شبيه في الممكنات ، يعرف به من خلاله ، بل هو ممتنع ذاتاً ؛ ضرورة بينونة الواجب من الممكن من كلّ جهة ، فامتنع الشبيه .

(٧) الكنه : حقيقة الشيء ، وحقيقة الله –بالمعنى العام للحقيقة– لا يحيط بها غيره .

(٨) لا مِثْلَ لله تعالى ؛ ؛ إذ ليس كمثله شيء سبحانه.

(٩) من النهاية ؛ أي جعل له نهاية وحداً .

(١٠) صمدَ: توجّه ؛ فمن توجّه إليه تعالى في جهة من الجهات ، أشار إلى غيره سبحانه .

(١١) كما قالت المشبّهة ، ضرروة أنّ الشبيه جسم ، والله منزه عن الجسميّة .

(١٢) ضرورة أنّ الذات الأحديّة بسيطة من كلّ جهة، ليس لها أبعاض وأجزاء وتركيب.

(١٣) كما أنّ الذات الأحديّة لا مثل لها ولا شبيه في الواقع العيني والتحقق الخارجي ، كذلك لا مثل له سبحانه ولا شبيه حتى في الأوهام ؛ فالوهم إن صعد وإنْ نزل يتناهى ، لا يحيط بها بالواجب الأزليّ الأبديّ المحض الذي لا يتناهى .

كلّ معروف بنفسه مصنوع[١] ، وكل قائم في سواه معلول[٢]، بصنع الله يستدل عليه[٣] ، وبالعقول يعتقد معرفته[٤]، وبالفطرة تثبت حجته[٥].

خَلْقُ الله ، حجابٌ بينه وبينهم[٦]، ومباينته إيّاهم مفارقته إنيتهم[٧].

وابتداؤه إيّاهم دليلهم على أن لا ابتداء له[٨]؛ لعجز كلّ مبتدء عن ابتداء غيره، وأدوته إياهم، دليل على أن لا أداة فيه.

---

(١) كلّ ما كانت له ماهيّة متشخصّة في الخارج ، فهو بماهيتّه المتشخّصة خارجاً معروف الحد ؛ إذ العقل يحيط بها ويتعقّلها .

(٢) الله وجود مستقل بالذات ، كلّ ما عداه ، في سلسلة الوجود الطوليّة ، رابطٌ بالغير ، وبديهي أنّ وجود الأوّل علّة تامّة لوجود الثاني؛ بداهة رجوع ما بالغير إلى ما بالذات ، وإلاّ لزم وجود المعلول من دون علّة ، وامتناعه بديهي.

(٣) بداهة استحالة وجود المخلوق (=المصنوع= المعلول) من دون صانع وعلّة ومبدأ.

(٤) لا يعرف الصانع إلاّ بما استقل به العقل ، وأمّا النقل فلا ينفع ؛ إذ يلزم منه الدور ، كما يعرف المبتدؤون في علوم العقيدة .

(٥) إشارة لقوله تعالى : ﴿فِطْرَتَ اللهَّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهَّ﴾ .

(٦) تعسّر فهم هذه العبارة على الكثير ، بيد أنّ أساطين الحكمة المتعالية ذكروا واللفظ لي : إنّ المخلوقات -قبل خلقها الدنيوي- لها وجود في العالم الأشرف الأقدس ، منزهاً عن الحدود والنقائص والأعدام ، فلما خلقها في الدنيا ، وخالطت النقائص والأعدام ، انحجبت عن هذا القدس، لبينونة ذات المنزّه عن العدم عن الذات المشوبة به، وهو تام ، يشهد له كثيرٌ من أخبار أهل البيت الثابتة وكذا القرآن ، ولنا مزيد بيان في الفصل الأخير بإذن الله تعالى.

(٧) الإنية لفظ يوناني ، اصطلحه أرسطو ، يعني : الوجود والتحقق ، كما بيّنا سابقاً. ومقصود الإمام عليه السلام : أنّ وجود الله واجب، ووجود المخلوق ممكن، والواجب يباين الممكن ويفارقه صفةً وذاتاً ، وهذه هي بينونة الصفة كما لا يخفى .

(٨) لا بدّ من رجوع ما بالغير إلى ما بالذات وإلاّ لزم وجود المعلول الحادث من دون علّة ، وامتناعه بديهي.

لشهادة الأدوات بفاقة المتأدين[١] . وأسماؤه تعبير[٢]، وأفعاله تفهيم[٣]، وذاته حقيقة[٤]، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه[٥]، وغبوره تحديدٌ لما سواه [٦]، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعداه من اشتمله، وقد أخطأه من اكتنهه[٧]، ومن قال: كيف فقد شبّهه، ومن قال: لم فقد علّله، ومن قال: متى فقد وقته، **ومن قال: فيم فقد ضمّنه**، ومن قال: إلى م فقد نهاه.

---

(١) جعلهم سبحانه ذووا أدوات وآلات؛ كالباصرة واللامسة؛ دليلاً على فاقتهم وافتقارهم؛ إذ لا يمكن أن يتكامل المخلوق من دونها ، بخلاف الواجب؛ لأنّه عين الكمال.

(٢) مقصود الرضا مطوي في قول الصادق عليهما السلام : «**الاسم غير المسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد الاثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد**» .

الزبدة : الاسم : تعبير ودلالة على المعنى، لا غير .

(٣) الفهم هيهنا : قطع العقل أنّ الحوادث الخارجيّة ، آثار لمؤثّر واجبٌ بالذات ، وهذا هو برهان الإن .

(٤) اختلف أهل المعقول ، حتى النخاع ، في ما ترتّب على هذا المعنى على خمسة أقوال ، والأصح في معناه ، ما ذكره أهل الحكمة المتعالية ، وموجزه : لا حقيقة –على الاستقلال– إلاّ الذات الإلهيّة ، وأمّا **وجود مخلوقاته** ، **فحقيقةٌ** أيضاً لكن بالتبع ؛ أي شعاع تلك الشمس وظلّها ؛ فافهم المراد جيّداً ، فلقد استعصى حتى على بعض الفحول .

(٥) بينونة الصفة والذات، وسيأتي البيان في الفصل الثالث..؛ فكنهه سبحانه : حقيقته ، وحقيقته : أنّه تعالى الوجود المحض والكمال التام ، وغيره النقص التام ، فافترقا .

(٦) اختلفت النسخ : ففي بعضها غُبور من : غَبَرَ ، أي : مضى في القدم . وفي بعضها غيور ، ولم أقف لها على معنى ملائم إلاّ مع تكلّف شديد ، والأولى عدم التعرّض له.

عدا هذا ففي بعض النسخ : تحديد ، وفي أخرى : تجديد . فعلى الأوّل يكون المعنى : مضي الله تعالى في القدم تحديد لما سواه ، وعلى الثاني تجديد ، وهو أنسب بالحدوث .

(٧) اكتنهه : جعل له حقيقة المخلوقين ، فدخل في عالم التشبيه والتجسيم الباطلين .

ومن قال: حتى م فقد غيّاه[1]، ومن غيّاه فقد غاياه[2]، ومن غاياه فقد جزأه[3]، ومن جزأه فقد وصفه[4]، ومن وصفه فقد ألحد فيه، لا يتغير الله بانغيار المخلوق[5]، كما لا يتحدد بتحديد المحدود، **أحد لا بتأويل عدد**[6]، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، **باطن لا بمزايلة**، **مبائن لا بمسافة**، **قريب لا بمداناة**، لطيف لا بتجسم، موجود لا بعد عدم[7]، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بجول فكرة[8]، مدبر لا بحركة[9]، مريد لا بهامة[10]، شاء لا بهمّة[11]، مدرك لا بمجسة[12]، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة[13].

قلت : إسناده مجهول ، لكن –عدا شواهده الصحيحة– تلقاه أصحابنا معانيه بالقبول ، ناهيك عن شهادة العقل ويقين البرهان..

---

(١) أي جعل له مبدء ومنتهى .

(٢) أي جعل له غايةً وغرضاً حادثين ، كبقيّة الممكنات ، وهو خلف محال .

(٣) من جعل لله تعالى غايات حادثة ، لزمه القول أنّ الذات الإلهيّة محلاً للحوادث والتغيّر والتقدّر ، وهذا خلف كونها بسيطة ، لا جزء لها ولا ... .

(٤) بصفات الممكنات الحادثة، وهو خلفٌ محال ؛ كونه سبحانه قديم أزلاً وأبداً... .

(٥) عالم الإلهيّة ثابت عين الفعليّة = منزّه عن التغيّر والتجدد والحركة ما شئت فعبّر .

(٦) عالم الأحديّة ، عين عالم الوجود الاستقلالي البسيط ، وهذا الوجود لا ثاني له.

(٧) لأنّه قديم بالذات سبحانه ، والقديم لا يسبقه عدم بداهةً .

(٨) كما نقول: جال في خاطره ، وفي نسخة : «بحول» بالمهملة ، وما أثبتناه أنسب بالسياق .

(٩) لأنّ عالم التدبير الإلهي عالم ثابت ؛ عين الفعليّة ، لا فقدان فيه ، أي ليس فيه خروج من القوّة والاستعداد إلى الفعل ، كما في عالم الدنيا والمادّة .

(١٠) الهامة : الاهتمام الذي يصحبه تردد ؛ ضرورة أنّ ذات الله عين العلم واليقين .

(١١) الهمّة : القصد الحادث الجديد .

(١٢) الجسّ : اللمس باليد أو ما يقوم مقامها . والمجسّة آلة الجسّ .

(١٣) توحيد الصدوق(ت: هاشم الطهراني) : ٣٨ . مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

قال المجلسي في البحار : (**لا بمسافة**) أي ليس مباينته لبعده بحسب المسافة عنهم ، بل **لغاية كماله ونقصهم** ، **باينهم في الذات والصفات**[١].

وقوله عليه السلام: (**لا بمداناة**) أي ليس قربه قرباً مكانياً بالدنو من الأشياء ، بل **بالعلم والعلية والتربية والرحمة**[٢]. اهـ.

قال صدر المتألهين ﭭ : (**ومن قال فيما فقد ضمّنه**) لأنّ ذلك يستلزم الجسمية وهو منزه عنها. (**ومن قال أين فقد أخلى منه**) أي أخلى منه سائر الأمكنة والأيون، وقد علمت أنّه لا يخلو منه ذرة من ذرات الأكوان ، **ولكن لا على وجه الحلول أو الدخول**، بل على وجه لا يعرفه إلاّ الكاملون في العرفان ، وأشار إليه القرآن[٣].

قلت : سيأتي في الفصل الأخير بيان ما عناه صدر المتألهين بقوله الشريف : لا يعرفه إلاّ الكاملون ؛ فقد ورد فيه عن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام في معنى عدم خلوّ كلّ ذرات الكون منه سبحانه ، لا على وجه الحلول والدخول ، ما فيه شفاء للصدور، فانتظر ..

---

(١) أي : بينونة الصفة والذات ؛ فالله تعالى خارجٌ ذاتاً عن الأشياء ؛ كونه كمالاً محضاً ، وهي نقصٌ وفقرٌ وحدود وأعدام ؛ ودخول أحدهما في الآخر ، خلفٌ محال.

(٢) بحارالأنوار ٤ : ٢٣٧ . مؤسسة الوفاء ، بيروت.

(٣) شرح أصول الكافي(ت: د خواجوي) ٤ : ١٠٥ . مؤسسة مطالعات فرهنكي ، إيران .

أصلٌ : عالم الذات الأحديّة ، ثابت بالذات

أخرج الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان ، عن أبي بصيرقال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : **فلم يزل الله متحركاً**؟!!.

قال عليه السلام : «**تعالى الله عن ذلك**، إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل»[١].

قلت : إسناده صحيح ، رواته جهابذة الملّة ، وثقات العصابة. وهو نصٌ صريحٌ فصيحٌ أنّ الله فعل تعالى ثابت ؛ أي هو عين الفعليّة والتحقق ؛ إذ لا حركة في أفعاله كما في المخلوق الممكن ؛ فلا خروج في أفعاله المقدّسة من القوّة والاستعداد إلى الفعل والتحقق ؛ كونها عين التحقّق = ﴿ **كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ .

قال الصدوق (٣٨١هـ) حدثنا أبي، وعبد الواحد بن محمد بن عبدوس العطار رحمهما الله، قالا: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن محمد بن أبي عمير، قال: دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليهما السلام، فقلت له: يا ابن رسول الله علمني التوحيد؟!!.

فقال: يا أبا أحمد ، لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك، واعلم أنّ الله تعالى واحد، أحد، صمد[٢]، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً، وإنّه الحيُّ الذي لا يموت،

---

(١) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٠٧ . باب صفات الذات . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.

(٢) اختلفت الأخبار في معنى الصمد ، وكذا أقاويل العلماء تبعاً لذلك ، ولا ينافي بعضها بعضاً ، وأجمع ما في معناه : أنّه القائم بنفسه ، الغنيّ بذاته ، الثابت بلا تغيّر .

وأمّا ما ورد في الأخبار أنّه ليس بأجوف ، وغير ذلك ؛ فلا ينافي ما ذكرناه أعلاه ؛ إذ التجويف وغيره ، تجسيم وتحديد ومخالطة عدم ، وهذه صفات الممكن الحادث ، تنافي الصمديّة ؛ أي القيام الدائم بالنفس ، والغنى الثابت بالذات ، فاحفظ.

والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب، والحليم الذي لا يعجل، **والدائم الذي لا يبيد، والباقي الذي لا يفنى، والثابت الذي لا يزول**، والغني الذي لا يفتقر، والعزيز الذي لا يذل، والعالم الذي لا يجهل، والعدل الذي لا يجور، والجواد الذي لا يبخل، وإنّه **لا تقدّره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار**[1]، **ولا يحويه مكان**، ولا تدركه الأبصار[2] ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[3] وهو الأول الذي لا شيء قبله، والآخر الذي لا شيء بعده، وهو القديم ، وما سواه مخلوق محدث، تعالى سبحانه عن صفات المخلوقين علواً كبيراً»[4].

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، إلاّ عليّ بن محمد بن قتيبة ، وهو ثقة على الأقوى ، وثقه غير واحد من أصحابنا ، ولا غرو فهو معتمد الكشي ، وصاحب الفضل بن شاذان وراوية كتبه ، جزم الطوسي وغيره أنّه فاضل ، صحح له العلامة وغيره .

قلت : مضامينه ضروريّة ، بعضها بديهي كما لا يخفى ، له أكثر من شاهد معتبر ، بل صحيح ، بعضها مضى ، كمعتبر الجرجاني : « أحدٌ لا بتأويل عدد، **الخالق لا بمعنى حركة**» فهاك ما تسنّى لنا من غيرها ..

---

(١) الأقطار : النواحي والجوانب .

(٢) لأنّه منزّه عن الحدود والجهات والأعدام والجسميّة والأبعاد .

(٣) المجادلة : ٧.

(٤) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٧٦. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

خبر عمران الصابي مع الرضا عليه السلام شاهداً

أخرج الصدوق حديثا طويلاً قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه القمي ثمّ الإيلاقي رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن صدقة القمي، قال: حدثني أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الأنصاري الكجي، قال: حدثني من سمع الحسن بن محمد النوفلي ثمّ الهاشمي، يقول: لما قدم علي بن موسى الرضا عليهما السلام، إلى المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل : الجاثليق ، ورأس الجالوت ، ورؤساء الصابئين... .

قال عمران الصابي للإمام الرضا : أسألك عن الحكيم: **في أي شيء هو، وهل يحيط به شيء**، وهل يتحول من شيء إلى شيء، أوبه حاجة إلى شيء؟!.

قال الرضا عليه السلام: أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه ، فإنّه من أغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم، وليس يفهمه المتفاوت عقله، العازب علمه(١) ، ولا يعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون، أما أول ذلك ، فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه ، لجاز لقائل أن يقول: يتحوّل إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك ، ولكنّه عز وجل لم يخلق شيئاً لحاجته، **ولم يزل ثابتاً** ، **لا في شيء** ، **ولا على شيء**(٢) ، إلاّ أنّ الخلق يمسك بعضه بعضاً ، ويدخل بعضه في بعض ، ويخرج منه، والله عز وجل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كلّه ، يدخل في شيء ، ولا يخرج منه ، ولا يؤوده حفظه ، ولا يعجز عن إمساكه، ولا يعرف

(١) في بعض النسخ : «**حلمه**» ، وفي غيرها : «**حكمه**» . والمقصود : قليلو العقل ، ضعيفو التدبّر ، المتعنّتون من أهل الأهواء . ويقابلهم : «**أهل العقل المنصفون**» كما قال عليه السلام .
(٢) لأنّ المتغيّر المتجدد ، يعني -فيما يعني- : حاجته للآلة أو مطلق الواسطة ، للخروج من القوّة إلى الفعل ، والثابت منزّه الحقيقة عن هذا .

أحدٌ من الخلق كيف ذلك إلاّ الله عز وجل ، ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سرّه ، والمستحفظين لأمره ، وخزانه القائمين بشريعته(١)، وإنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب(٢) ؛ إذا شاء شيئاً ﴿**فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ بمشيته وإرادته، **وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء، ولا شيء منه ، هو أبعد منه من شيء** ، أفهمت يا عمران»؟!.

قال عمران : نعم يا سيدي ، قد فهمت ، وأشهد أنّ الله على ما وصفته ووحدته، وأنّ محمداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق، ثمّ خر ساجداً نحو القبلة وأسلم (٣).

قلت : إسناده مجهول ، لكنّه معتبر.

تنبيه : الثابت بالذات وبالغير !!

فمثل عالم الذات الأحديّة ، ثابت بالذات والاستقلال ، وأمّا مثل عالم عالم العرش، أو عالم الجنّة، أو عالم الذر... ، فثابتة (عين الفعليّة والتحقق) لكن بالغير ؛ إذ ليس فيها فقدان ؛ كقوله تعالى : ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ .

الزبدة : كل العوالم ، عدا عالم الدنيا المتغيّر المتحرّك، ثابتة ، لكن عالم الأحديّة ثابت بالذات ، وما دونه ثابت بالغير .

---

(١) وهو معنى قول أبينا إبراهيم عليه السلام : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ .

فالمقصود : أرني كيف يتمّ الإحياء في عالم الأمر والتقدير والتدبير = ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

(٢) إنّما هو أقرب ؛ لخروج أمره سبحانه التام عن وعاء الزمان والمكان ؛ كونه عين الفعليّة والتحقّق ، فاحفظ هذا .

(٣) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٧٦. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

أصلٌ

عالم العرش : عالم ثابت

العرش بأبسط عبارة ، هو : **علم الله تعالى المبذول لتدبير أمور خلقه .**

يدلّ عليه ، ما رواه الكليني عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام ، فاستأذنته فأذن لي فدخل فسأله عن الحلال والحرام ، ثمّ قال له : أفتقر أنّ الله محمول؟!.

فقال أبو الحسن عليه السلام : «كلُّ محمول مفعول به ، مضاف ، إلى غيره محتاج ، والمحمول اسم نقص في اللفظ ، والحامل فاعل ، وهو في اللفظ مدحة ، وكذلك قول القائل : فوق وتحت وأعلى وأسفل ، وقد قال الله : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ ولم يقل في كتبه : إنّه المحمول ، بل قال إنّه الحامل في البر والبحر ، والممسك السماوات والأرض أن تزولا ، والمحمول ما سوى الله ، ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قط قال في دعائه : يا محمول».

قال أبو قرة : فإنّه قال: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ وقال : ﴿الذين يحملون العرش﴾ ؟!.

فقال أبو الحسن عليه السلام : «**العرش ليس هو الله** ، **والعرش اسم علم وقدرة** ، **وعرشٌ فيه كلّ شيء** ، ثمّ أضاف الحمل إلى غيره ، خلقٌ من خلقه ؛ لأنه استعبد خلقه **بحمل عرشه** ، وهم: **حملة علمه** وخلقا يسبحون حول عرشه ، وهم يعملون بعلمه ، وملائكة يكتبون أعمال عباده ، واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته ، والله على العرش استوى ، كما قال ، والعرش ومن يحمله ، ومن حول العرش ، والله الحامل لهم ، الحافظ لهم الممسك ،

القائم على كلّ نفس ، وفوق كلّ شيء ، وعلى كلّ شيء ، ولا يقال : محمول ، ولا أسفل ، قولاً مفرداً لا يوصل بشيء ، فيفسد اللفظ والمعنى».

قال أبو قرة : فتكذب بالرواية التي جاءت أنّ الله إذا غضب ، إنّما يعرف غضبه أنّ الملائكة الذين يحملون العرش ، يجدون ثقله على كواهلهم ، فيخرّون سجداً ؛ فإذا ذهب الغضب ، خف ورجعوا إلى مواقفهم؟!.

فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا ، هو غضبان عليه ، فمتى رضي ، وهو في صفتك لم يزل غضبان عليه ، وعلى أوليائه ، وعلى أتباعه، **كيف تجترئ أن تصف ربك بالتغيير ، من حال إلى حال** ، وأنّه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟!!.

قال أبو الحسن عليه السلام :«سبحانه وتعالى **لم يزل مع الزائلين** ، **ولم يتغير مع المتغيرين** ، **ولم يتبدل مع المتبدلين**[1]، ومَن دونه في يده وتدبيره ، وكلّهم إليه محتاج ، وهو غني عمن سواه»[2].

قلت : إسناده صحيح .

وهو ظاهرٌ صريحٌ ، في أنّ عالم المشيئة والتقدير ، أو عالم العرش والتدبير ثابت ، لا يتغيّر مع المتغيرين ، ولا يتبدل مع المتبدلين . وقد ألمحنا بعجالة أنّ مثل عالم الدهر؛ كعالم العرش، أيضاً ثابت ، لكن بالغير ، أي به سبحانه.

كما أوضحنا بما لا مزيد عليه أنّ الثابت : هو عين عالم الفعليّة ، وأمّا المتغيّر ، فهو : عين عالم الخروج من القوّة والاستعداد إلى الفعليّة والتحقق.

(١) الإمام نزّه الله عن الزوال، والتغيّر، والتبدّل؛ كونه سبحانه ثابتاً، عين الفعليّة والتحقق.

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٣١ . باب العرش والكرسي. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

حديث جامع للصادق عليه السلام

روى الكليني عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العباس بن عمرو الفقيمي ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال للزنديق حين سأله ما هو؟!!.

قال عليه السلام : «هو شيء بخلاف الأشياء[١] ، أرجع بقولي إلى إثبات معنى ، **وأنّه شيء** ، **بحقيقة الشيئية** ، غير أنّه لا جسم ، ولا صورة ، ولا يُحس ، ولا يُجس ، ولا يُدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ، ولا تنقصه الدهور ، ولا تغيره الأزمان».

فقال له السائل: فتقول: إنّه سميع بصير؟!!.

قال عليه السلام : «هو سميع بصير ، سميع بغير جارحة ، وبصير بغير آلة ، بل **يسمع بنفسه**[٢] ، ويبصر بنفسه ، ليس قولي إنّه سميع يسمع بنفسه ، وبصير يبصر بنفسه ، أنّه شيء والنفس شيء آخر ، ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنتُ مسؤولاً ، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً ، فأقول إنّه سميع بكلّه[٣]،

---

(١) شيئيّة الباري سبحانه هي : الوجود التام الصرف البسيط ، وهذه حقيقة بالذات والاستقلال . وأمّا شيئيّة غيره : فوجود تبعي غيري ؛ أي : حقيقة بالغير .

(٢) بنفسه يعني : بذاته ، بخلاف المخلوق كالإنسان ؛ فإنّه يسمع بآله ، والآلة ليست ذاته . وبعبارة أخرى : فذات الإنسان هي النفس لا غير ، وأمّا بدنه فآلة اتّحدت وتركبّت مع النفس ؛ لتستكمل النفس فعليّتها في عالم الدنيا ، فيطرأ على النفس تبعاً لذلك التغيير والتبديل والخروج من القوة والاستعداد ، إلى الفعليّة والتحقق .

أمّا عالم الذات الأحديّة ، فهو عين الفعليّة والثبات والتحقق ، بالذات والاستقلال .

(٣) لأنّ صفاته سبحانه عين ذاته .

لا أنّ الكلّ منه له بعض[١] ، ولكنّي أردت إفهامك والتعبير عن نفسي ، وليس مرجعي في ذلك إلاّ إلى أنّه السميع البصير ، العالم الخبير، بلا اختلاف الذات ، ولا اختلاف المعنى».

قال له السائل : فما هو؟!.

قال أبو عبد الله عليه السلام : هو الرب ، وهو المعبود ، وهو الله[٢]، وليس قولي: الله ، إثبات هذه الحروف ، ألف ولام وهاء ولا راء ولا باء ، ولكن أرجع إلى معنى وشيء ؛ خالق الأشياء وصانعها ، ونعت هذه الحروف ، وهو المعنى سمّي به الله [٣]، والرحمن والرحيم والعزيز وأشباه ذلك من أسمائه ، وهو المعبود جل وعز».

قال له السائل : فإنّا لم نجد موهوماً إلاّ مخلوقاً؟!!.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «لو كان ذلك كما تقول ، لكان التوحيد عنّا مرتفعاً؛ لأنّا لم نكلف غير موهوم ، ولكنّا نقول: **كلّ موهوم بالحواس مدرك به** ، **تحدّه الحواس** ، **وتمثّله** ، **فهو مخلوق** .... .

إذْ كان النفي هو: الإبطال والعدم ، والجهة الثانية : التشبيه؛ إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف ، فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين ، والاضطرار إليهم أنّهم مصنوعون ، وأنّ صانعهم

---

(١) لاستحالة التركيب في الذات الأحديّة البسيطة من أجزاء ؛ كونها عين الوجود المحض، والوجود الحقيقيّ المحض ، صرف تام بسيط ، لا تركيب فيه .

(٢) الربّ : الخالق . والإله : المعبود المدبّر لما خلق. وكلاهما تعبيران لعين الذات.

(٣) إشارة لقولهم عليه السلام : «من عبد المعنى والإسم فقد أشرك ، ومن عبد المعنى دون الإسم فهذا هو التوحيد .

غيرهم [١]، وليس مثلهم ؛ إذ كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف ، وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد إذ لم يكونوا ، وتنقلهم من صغر إلى كبر وسواد إلى بياض [٢] ، وقوة إلى ضعف ، وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لبيانها ووجودها ».

قال له السائل : فقد حددته ؛ إذ أثبت وجوده .

قال أبو عبد الله عليه السلام : لم أحدّه ، ولكنّي أثبته ؛ إذ لم يكن بين النفي والإثبات منزلة.

قال له السائل: فله **إنية ومائية** [٣]؟!.

---

(١) أشار عليه السلام إلى بينونة الصفة والعلو ، وسيأتي بيانهما في فصل مستقل.

(٢) أشار عليه السلام إلى امتناع الكم (=الصغر والكبر) والكيف (=السواد والبياض) في ذات الله البسيطة ، وإنّهما يعرضان للمكن الحادث فقط ، لا للقديم البسيط .

(٣) الإنيّة (وربما تلفظ : الآنية) بيّنا سابقاً : أنّها تعني: الوجود والتحقّق .

قال صدر الدين الشيرازي (في شرح أصول الكافي٣ : ٥٧) : واعلم أنّ المائية (=الماهيّة) لها **معنيان**:

أحدهما : ما بإزاء الوجود ، كما يقال: وجود الممكن زائد على ماهيته، والماهية بهذا المعنى ممّا يعرضه العموم والاشتراك ، فليست له تعالى ماهية بهذا المعنى.

وثانيهما : ما به الشيء هو هو، وهذا يصحّ له .

قلت : الأولى هي الماهيّة بالمعنى الخاص ؛ أي التحديد بالحد الوجودي النافي لغيره ، كقولنا : إنسان (=حيوان ناطق) ليس بحصان ولا شجر ولا حجر . وهذا يقبل الاشتراك ، كاشتراك أفراد الإنسان بالإنسانيّة ، والحصان بالصاهليّة و... ، والجميع بجنس الحيوانيّة.

وثانيهما : المعنى العام للماهيّة ، وهو الوجود المحض، والإنيّة الصرفة بالذات.

وهذا ، غير قابل للإشتراك ، ولا التثنية ، ولا التكرار ؛ إذا لا يوجد غير الوجود المحض بالذات والاستقلال ؛ ليتكرر ، أو يتثنى ، أو يكون قابلاً للشركة .

قال عليه السلام : نعم ، لا يثبت الشيء، **إلاّ بإنية ومائية** .

قال له السائل: فله كيفية؟!.

قال عليه السلام : لا ؛ لأنّ الكيفية جهة الصفة والإحاطة [١]، ولكنّ لا بد من الخروج من جهة التعطيل[٢] والتشبيه[٣] ؛ لأنّ من نفاه فقد أنكره ودفع ربوبيته وأبطله[٤]. ومن شبهه بغيره ، فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين[٥] ، الذين لا يستحقون الربوبية ، ولكن لا بد من إثبات أن له كيفية لا يستحقها غيره[٦]، ولا يُشارك فيها ، ولا يُحاط بها ، ولا يعلمها غيره[٧].

---

(١) الكيفيّة –بالمعنى الخاص– ممتنعة لله تعالى؛ لاستحالة التركيب في الذات الأحديّة البسيطة ؛ كونها عين الوجود المحض التام الصرف البسيط .

فالبياض مثلاً في قولنا : الإنسان أبيض ، صفةٌ عارضةٌ ، زائدةٌ على ذات الإنسان ، وهذا محال في الذات الأحديّة ؛ لأنّ صفاته عين ذاته .

(٢) وهم نفات الصفات من الأشاعرة ، وقد أمطنا عن الشبهة التي دفعتهم للتعطيل ونفي الصفات الحقيقيّة ، سابقاً .

(٣) وهم أهل الجهة ، وهم على قسمين :

الأول : المجسّمة المصرحون بالتجسيم . والثاني : التجسيم لازمٌ ذاتي لعقيدتهم في الحد.

(٤) ردّ على الأشاعرة نفاة الصفات الحقيقيّة(=العلم، القدرة، الحياة...) حيث قالوا: هي مجاز لا حقيقة ، وهو ردٌ صريحٌ على القرآن المثبت لها ، ولحقيقيّتها، في كثير من آياته الشريفة.

الزبدة : نفيها ، إبطالٌ لها ، ولازمه إبطال الربوبيّة ، ضرورة أنّها عين ذاته .

(٥) أي صفات الإمكان ، وهو خلف محال ؛ إذ هو واجب الوجود بالذات ، ووجود الواجب ، تامٌ صرفٌ، محضٌ بسيطٌ كما أكثرنا .

(٦) الكيفيّة –بالمعنى العام– ثابتة لله تعالى ، وتعني : التنزّه عن كلّ صفات الإمكان .

(٧) فكلّ ما سواه ، مخلوق محدود مركّب ناقص ، ومحال أن يحيط المركب من الوجود والعدم ، المحدود بهما ، بمن تنزّه عن أيّ حدّ أو عدم .

قال السائل : فيعاني الأشياء بنفسه؟!!.

قال أبو عبد الله عليه السلام : «هو أجل من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة[١] ؛ لأنّ ذلك صفة المخلوق ، الذي لا تجيء الأشياء له إلاّ بالمباشرة والمعالجة ، **وهو متعال**[٢] ؛ **نافذ الإرادة والمشيئة** ، فعّال لما يشاء».

قال السائل: فله رضى وسخط؟!.

قال أبو عبد الله عليه السلام: نعم، وليس ذلك على ما يوجد في المخلوقين؛ وذلك أنّ الرضا والسخط دخال ، يدخل عليه ، فينقله من حال إلى حال[٣]، وذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، وهو تبارك وتعالى العزيز الرحيم لا حاجة به إلى شيء ممّا خلق، وخلقه جميعاً محتاجون إليه، وإنّما خلق الأشياء ، من غير حاجة ولا سبب ، اختراعاً وابتداعاً».

قال السائل: فقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ؟!!.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «بذلك وصف نفسه ، وكذلك هو مستول على العرش ، بائنٌ من خلقه ، من غير أن يكون العرش حاملاً له ، **ولا أن يكون العرشُ حاوياً له** ، **ولا أنّ العرشَ محتاز له**، ولكنا نقول: هو حامل العرش وممسك العرش، ونقول من ذلك ما قال: ﴿وسع كرسيه السماوات

(١) للزوم التغيّر والتبدّل والتجزّء والتقدّر والتحيّز ووو، وهذه المعاني ممتنعة في الذات الأحديّة البسيطة ؛ بداهة أنّها عالم ثابت ، أي : عين الفعليّة والتحقق بالذات والاستقلال .

(٢) متعال : أي بائن بالصفة والذات ، وليست هي إلاّ الفعليّة التامّة بالذات والاستقلال ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وهو عين قوله عليه السلام : «**نافذ الإرادة والمشيئة**».

(٣) لأنّ عالم الإمكان : عين الفقر والحاجة ، والانتقال من حال إلى حال . أمّا الله تعالى فعين التحقق والفعليّة بالذات والاستقلال .

والأرض﴾ فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبته، **ونفينا أن يكون العرش والكرسي حاوياً له** ، أو يكون عز وجل محتاجاً إلى مكان ، أو إلى شيءٍ ممّا خلق، بل خلقه محتاجون إليه»

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء ، وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟!.

قال أبو عبد الله عليه السلام : «**ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء**، ولكنّه عز وجل أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش ؛ لأنّه جعله معدن الرزق، فثبتنا ما ثبته القرآن ، والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال: «ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل، وهذا يجمع عليه فرق الأمة كلّها».

قال السائل: فتقول: أنه ينزل إلى السماء الدنيا؟!.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «نقول ذلك ؛ لأنّ الروايات قد صحت به والأخبار.

قال السائل: فإذا نزل أليس قد حال[1] عن العرش، وحؤوله عن العرش صفة حدثت؟!.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «ليس ذلك منه على ما يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه ، والملالة والسأمة ، وناقل ينقله ويحوله من حال إلى حال، بل هو تبارك وتعالى لا يحدث عليه الحال ، ولا يجري عليه الحدوث ، فلا يكون نزوله كنزول المخلوق ، الذي متى تنحى عن مكان إلى مكان ، خلا منه المكان الأول، ولكنه ينزل إلى السماء الدنيا بغير معاناة وحركة ،

---

(١) حالَ : تحوّل ؛ أي انتقل من مكان إلى آخر .

فيكون كما هو في السماء السابعة على العرش ، كذلك هو في السماء الدنيا، إنّما يكشف عن عظمته ويرى أولياءه نفسه حيث شاء ، ويكشف ما شاء من قدرته، ومنظره في القرب والبعد سواء».

قال الصدوق رضي الله عنه : أقول: حديث نزوله تعالى مروي مؤوّل ؛ ككثير من آيات الكتاب، وقد مرّ في الحديث السابع من الباب الثامن والعشرين أنّ النازل مَلَك [١].

قلت : إسناده قويّ ، رجاله ثقات إلاّ الفقيمي ، فمجهول الحال ، ولا يضرّ ، فلقد تلقّى أصحابنا رضي الله عنهم مضامينه بالقبول ، ولا غرو فجلّها ضروريّة ، بعضها بديهي .

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٨٥. باب أنّ الله شيء . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.

المقصود بالثابت !!!

بيّنا هذا ، لكن لجلالته ، لا بأس بالتأكيد عليه ، وكذا لا بأس ببيان أنّ الثابت على قسمين في مرتبتين وجوديّتين ..

المقصود **بالثابت** في قوله عليه السلام : (**الثابت** الذي لا يزول) :

الخارج عن وعاء الزمان والمكان، خروجاً استقلاليّاً بالذات .

ولك أن تقول: ما لا يتغيّر بالحوادث، ولا يتقدّر بالحركة، ذاتاً واستقلالاً .

فقوله عليه السلام : (الذي **لا يزول**) قيد احترازي ؛ فالله سبحانه وتعالى، هو الوجود الوحيد الثابت أزلاً وأبداً ، استقلالاً بالذات .

أما مثل عالم الدهر ؛ كعالم الملكوت ، فهو وإن كان عالماً ثابتاً ؛ أي: فعليّاً ، منزّهاً عن الحركة والفقدان ، خارجاً عن وعاء الزمان ، مبرّءً من الاستعداد؛ أي : الخروج من القوّة إلى الفعل ، إلاّ أنّه ليس أزلياً ولا أبديّاً .

فعالم الدهر ثابت ، لكن بالغير ربطاً وتعلّقاً ، لا بالذات والاستقلال ؛ أي أنّ وجوده متعلّق بعلّته مرتبط بها دائماً ، إيجاداً وإعداماً ، حدوثاً وبقاءً ، آناً فآن ، والكلام هو الكلام في عالم السرمد المحيط بعالم الدهر ، فاجمع واحفظ.

الحاصل : لا عالمَ ثابتاً -بالذات والاستقلال- غير عالم الذات الأحديّة ، وأمّا غيره كعالم العقول المجرّدة ، والأرواح المدبّرة (=ملائكة التدبير) فالبغير أي به سبحانه وتعالى.

والثابت : عين الفعليّة والتحقق ؛ كقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ والمعنى : ﴿يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

شاهد آخر : خبر عبد الأعلى

«الله في كلّ مكان ، وليس في شيء من المكان»

أخرج الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن علي ، عن اليعقوبي (أو البعقوبي بالموحدة) عن بعض أصحابنا ، عن عبد الأعلى مولى آل سام (ممدوح) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ يهودياً يقال له سبخت جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله جئت أسألك عن ربك ؛ فإن أنت أجبتني عمّا أسألك عنه ، وإلاّ رجعت!!!.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «سل عمّا شئت».

قال سبخت اليهودي : أين ربك؟!.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «**هو في كلّ مكان ، وليس في شيء من المكان المحدود**».

قال سبخت : وكيف هو؟!!.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «وكيف أصف ربي بالكيف ، والكيف مخلوق ، والله لا يوصف بخلقه»[1].

قلت : حديث صحيح ، قامت براهين العقل القطعيّة الضروريّة عليه ، وهذا إسناد قوي ؛ فالإرسال عن بعض أصحابنا ، يوجب المدح ، بل التوثيق عند المحقق الحلّي رضي الله عنه وغير واحد من أصحابنا رحمهم الله .

واليعقوبي إمّا موسى بن عيسى بن عبيد، وهو ممدوح . وإمّا البعقوبي بالموحدة ، داود بن علي الهاشمي الثقة ، وهو الأظهر .

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٩٥ . باب أنّ الله شيء. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

بيان صدر الدين الشيرازي ﷺ للحديث :

قال رضي الله عنه : قد أشرنا فيما سبق إلى معنى كونه تعالى في كلّ مكان ، وليس في شيء من المكان المحدود؛ فإنّ جمهور الحكماء بغاية أفكارهم ، ومبالغتهم في تنزيه الأوّل تعالى ، زعموا أنّ اللهّ تعالى لما لم يكن جسماً ولا جسمانياً [١]، كانت نسبته إلى جميع الأمكنة والمكانيات نسبة واحدة[٢]، كما أنّه حيث لم يكن زمانياً [٣]، كانت نسبته إلى جميع الأزمنة والزمانيات نسبة واحدة.

و الذي تصوروه ، وإنْ كان له وجه ، ولكن الاكتفاء على هذا القدر قصور في التوحيد[٤]؛ فإنّ هذا الحكم شامل لكلّ مفهوم كلّي وجوهر عقلي.

والتوحيد التام أن يعتقد: أنْ ليس جزء من الأمكنة والأزمنة وذرّة من ذرات الأكوان ، إلاّ والحق تعالى بهويته القدسية[٥] معه ، **معيّة غير مكانية ولا زمانية** ، **ومحيط به إحاطة قيومية** ، غير وضعيّة.

---

(١) معنى الجسم يباين معنى الجسماني، ولعلّ المبتدىء يخلط بينهما ؛ لذلك أفردنا عنواناً عاجلاً لبيانهما ، وسيأتي قريباً.

(٢) لأنّ عالم الأحديّة والواحديّة ثابت ؛ أي: عين الفعليّة المحضة والتحقق الصرف، فنسبته إلى جميع المتغيرات واحدة بالضرورة .

(٣) سيأتي بيان الفرق بين الزمان والزماني ، والجسم والجسماني ، والمكان والمكاني .

(٤) وجه القصور أنّه غير مانع ، فعالم العقول كذلك ليس زمانياً ولا مكانيّاً ولا جسمانيّاً ، وليس فقط عالم الأحديّة ؛ إذ كلاهما خارجٌ عن وعاء الزمان والمكان، وقد بيّن ﷺ أنّه غير مانع بقوله: (فإنّ هذا الحكم شامل لكلّ مفهوم كلّي وجوهر عقلي) .

(٥) الهويّة القدسيّة له سبحانه : أنّه الوجود التام الصرف البسيط ، والإنيّة الصرفة ، وهو عين معنى الماهيّة الإلهيّة التي تعني أنّه لا ماهيّة له ولا حد ، بل عين حقيقة الوجود المحض ، والإنية الصرفة .

فهو تعالى في جميع الأماكن والمواضع ، ومع كلّ الأوقات والساعات ، من غير تقدّر(١)، ولا تجزّؤ(٢)، ولا تقيّد(٣)، ولا انحصار(٤).

وهذا الضرب من التوحيد ، ممّا **عجزت عن إدراكه عقول جماهير الحكماء** ، **ومشاهير القدماء** ؛ لأنّه مبني على تحقيق مسألة الوجود ، ووحدته الذاتية التي لا تنافي كثرة شؤونه وتجلّياته(٥)، ومعرفة أنّ تعيّن الماهيات ، إنّما نشأ من مراتب تنزلاته، وأنّ **وجود المجعول** ، **متقوّم بوجود الجاعل القيوم** ؛ كتقوم الحس بالخيال ، والخيال بالعقل ، والعقل بالبارىء، وأنّ اللهّ محيط بكلّ شيء(٦).

قلت : قوله الشريف : (مبني على **تحقيق مسألة الوجود** ، **ووحدته الذاتية** ، التي **لا تنافي كثرة شؤونه وتجلّياته**، ومعرفة أنّ **تعيّن الماهيات** ، إنّما نشأ من **مراتب تنزلاته...**) ..

هو ما طواه رضوان الله تعالى عليه في قوله : (بسيط الحقيقة كلّ الأشياء...) أو ما اصطلح عليه : (التفصيل في عين الإجمال) .

---

(١) بيّنا أنّ التقدّر من المقدار، وهو على قسمين: الأوّل: قار؛ كالجسم والخط والسطح وعامّة المكانيّات. وغير قار؛ كالزمان وعامّة الزمانيّات؛ وهو غير قار؛ كونه سيّالاً.

(٢) التجزّء ، لا يعقل إلاّ في الأشياء التي لها كم أو كيف أو أين أو وضع ، والله منزه عن هذا ، ذاتاً وفعلاً .

(٣) تدبيره سبحانه كلّ الأشياء سواء، لا يتقيّد بقرب أو بعد ، وبعبارة جامعة : لا يتقيّد بحيثٍ أو وضعٍ أو أين أو كيف أو كم ؛ كونه سبحانه كمالاً محضاً ، والتقيّد بها عين النقص والفقر والحاجة .

(٤) كلّ شيءٍ من الأشياء منحصرٌ بحدٍ في وعاء الوجود ، إلاّ الله تعالى ، لا ذاتاً ولا فعلاً .

(٥) أشار قدس سره إلى قاعدة بسيط الحقيقة كلّ الأشياء ، وقد عقدنا لبيان هذا المعنى فصلاً مستقلاً ، هو الفصل الأخير.

(٦) شرح أصول الكافي(ت:محمد خواجوي) ٣: ١٣٦ .مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

أو قاعدة : وجود الممكنات ، وجود حقيقي ، ليس مجازياً ، لكنّه ليس بالذات والاستقلال ، وإنّما تبعي ظلي تعلّقي غيري رابط .

ولقد أجاد لعمر الله فيما أفاد ، وأماط عن حقيقة المراد ، لكن ربما لم يهتد لمقصوده التام ممّا ذكر آنفاً إلاّ قليل من النّاس ؛ كما ربما لا يعرف أكثر النّاس أنّ نصوصاً صحيحةً كثيرةً عن أهل بيت العصمة عليهم الصلاة والسلام ، تشهد لما ذكر ، وترشد لما قال رضي الله عنه ..

بل ربما ندّعي أنّ فهم المقصود متعذّر إلاّ لمن أَلَـمَّ علماً بما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في ذلك ، وأحاط فهماً بقواعد أربع أو خمس لا أقل ، سنأتي عليها بعجالة لاحقاً.

ولأهميّة كلّ هذا في فهم رسالتنا المتواضعة هذه ، أفردنا لها فصلاً هو الفصل الأخير ، فانظره لزاماً .

معنى الجسم والجسماني!!

كثيرٌ من طلاب العلم ، ربما يخلط بينهما خلطاً قبيحاً ، لعدم وقوفه على حدّهما الجامع المانع ؛ حتّى أنّ بعضهم ظنّ أنّ معنى قول الحكماء في النفس : جسمانيّة الحدوث ... . أنّها جسم ، مع أنّهما متباينان؛ فتعيّن البيان والتفهيم..

فالجسم هو : جوهر ، مادي ، ذو أبعاد ، **كبدن الإنسان** .

وأمّا **الجسماني** : فهو المجرّد في ذاته ، المتعلّق بالجسم في فعله ؛ **كالنفس الإنسانيّة** في عالم التكليف.

فحقيقة الإنسان نفسه ، وهي ذاته المجرّدة البسيطة ، لكن هذه النفس، في عالم الدنيا ، لا تفعل أفاعيلها ولا تصل إلى مرحلة الفعليّة ، ولا تستكمل ، إلاّ بالحس ، أي الجسم المادي الذي به تسمع وتبصر وتشم وتذوق وتلمس .

الحاصل : الجسماني : ما ليس بجسم من المجرّدات ؛ كالنفس ، لكنّه تعلّق بالجسم ؛ لاستكمال الفعليّة والتحقّق ؛ كنفس الإنسان.

أو هو -بأوجز عبارة ذكرها الحكماء- : المجرّد ذاتاً ، لا فعلاً .

ولو تدبر المبتدىء قول الحكماء : النفس جسمانيّة الحدوث ، روحانيّة البقاء. لعرفَ لمَ لمْ يقولوا : جسميّة الحدوث . إذا الجسماني يباين الجسمي.

والأمر هو الأمر في المكان والمكاني ، الزمان والزماني .

ونشير إلى أنّ عالم العقول -بما هي عقول مجرّدة- تلك التي في عالم الجبروت، ليس بجسم ولا جسماني، مجرّدٌ ذاتاً وفعلاً، منزّه عنهما، لكن بمجرّد أن يتعلّق بعالم الدنيا ، يحتاج إلى الجسم=﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا**﴾ فافهم المراد جيّداً، وتدبّره مليّاً، فلربما اعتاص على الكثير .

الفصل الثالث

بينونة الصفة (=الذات)

معنى قوله عليه السلام : « بائنٌ من خَلْقِه»

أقسام البينونة ، ومعنى : «بائن عن خلقه»

روى أهل القبلة في الصحيح ، بل مقطوع الصدور ، عن النبي وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام أنّ : «**الله تعالى بائنٌ من خلقه**» بيد أنّ البينونة ، على الحقيقة، على معنيين بدواً:

الأوّل : البينونة المكانيّة = بينونة العزلة.

وتعني : الجهة والتحيّز والفرجة ، بداهة أنّ بين كلّ شيئين محدودين ، جهة هي أحدى الجهات الست ، تقول هذا الشيء عن يمين ذاك الشيء ، أو يساره ، أو خلفه ، أو تحته ، أو فوقه .

وبطلان هذا المعنى في قوله عليه السلام : «**الله تعالى بائن من خلقه**» معلوم ضرورةً بالبرهان والبيان ؛ وإلاّ كان الله تعالى متحيّزاً محدوداً بحد ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، أجمع على بطلان هذا قاطبة أهل الإسلام ، إلاّ المجسّمة وأهل الجهة ، مطابقةً والتزاماً ، قبّح الله تعالى ما قالوا وابتدعوا .

الثاني : البينونة الذاتيّة البحتة = بينونة الصفة.

تفرّد الله أنّه واجب الوجود بالذات ؛ فهو عين حقيقة الوجود الحقّة البحتة ، وعين الإنية البسيطة المحضة ؛ إذ لا موجود بالذات على الاستقلال سواه ، وكلّ ما عداه ، ممّا خلق ، فهو وإن كان موجوداً ، لكنه موجود بالغير ؛ أي به سبحانه .

وبديهي أنّ ذات الموجود **بالاستقلال** ، تباين ذات الموجود **بالغير** من كلّ جهة ، كتباين العلّة والمعلول تماماً ، إلاّ من جهة أنّ المعلول شعاع شمس العلّة الواجبة التامّة ، وظلّها..؛ محتاجٌ إليها ، فقير لها ، حدوثاً وبقاءً .

وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام قال : «**بان من الأشياء ، بالقهر لها والقدرة عليها، وبانت الأشياء منه ، بالخضوع له والرُّجوع إليه**» فالمقصود أنّ واجب الوجود بالذات علّة تامّة محضة ، لما كان بالغير ، من كلّ جهة ..؛ فالأوّل بقدرته المحضة علّةٌ قاهرٌ فاعلٌ متصرّفٌ مطلقاً ، والثاني معلولٌ مقهورٌ مفعولٌ خاضعٌ أبداً ، فتباينا ذاتاً ؛ إذ الكمال المحض يباين النقص ، وسيأتي تخريج الحديث لاحقاً .

قال صدر الدين الشيرازي رضي الله عنه شارحاً: (**البائن لا بتراخي مسافة**) لأنّه منزّه عن الأبعاد والأجرام والمسافات والحركات، بل **مباينته للأشياء؛ لكمال ذاته** وشدّة وجوده ، **ونقص وجود الأشياء** وضعفها[1].

قلت : فالمقصود بـ: بينونة الصفة (=الذات) ما ذكره الشيرازي قدس سره بأتم بيان قائلاً : **مباينته للأشياء؛ لكمال ذاته** . اهـ. فعضّ عليه . وسيأتي تخريج قوله عليه السلام : «**البائن لا بتراخي مسافة**» .

قال صدر الدين الشيرازي : وقوله عليه السلام : (**علا فقرب**) كلمة «فا» للترتيب والسببية، فمعنى الكلام: أنّه تعالى لأجل غاية علوّه ، يكون قريباً من الأشياء، وذلك حق؛ لأنّ **علوّه ليس بالمكان** ، **بل بكمال رتبة الوجود** ، وشدّة النور؛ والنّور كلّما كان أشد وأقوى ، كان أقرب وأدنى، واعتبر ذلك بنور الشمس...، وبنور السّراج أو المشعل ، وهو عندك في وجه الأرض ، فانظر أيّهما اقرب منك، حتى تعلم أنّ أعلى الموجودات شرفاً ونوراً يجب أن يكون أقربها منك[2].

---

(١) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٨٩. مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

(٢) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ١٠٦. مؤسسة مطالعات فرهنكي ، إيران .

الحاصل : بينونة الخالق عن الخلق ، ذاتيّة ، كون ذاته المقدّسة عين الكمال المحض والغنى الصرف ، وذات المخلوق عين النقص والفقر ، وبديهي أنّ اجتماعها محال ، وإلاّ لزم أن يكون الكمال نقصاً ، والنقص كمالاً ، فبالبديهة قاضية قطعاً وجزماً ويقيناً بلا بديّة الافتراق والبينونة .

لكن هذا ؛ أي الكمال المحض والغنى الصرف ، عين القرب الإلهي من كلّ شيء تدبيراً وإحاطة وقيّوميّة ، وإلاّ لزم الخلف المحال .

إذا اتّضح هذا لا بأس أن نعرض لبينونة أخرى ، انقدحت عند القاصر ، لم يتناس الإشارة إليها أساطين العقيدة والحكمة فيما تناثر من كلماتهم الشريفة ، هي بالنسبة للبينونتين أعلاه ، بين بين ، وإنّما نذكرها ؛ لنهوضها بدفع كثيرٍ من العويص في منظومة العقيدة، فهاكها ..

البينونة الشرفيّة= الأشرف وجوداً .

كبينونة عالم الأحديّة على عالم العقول ، والعقول على عالم الأرواح ، وعالم الأرواح على عالم النفوس ، وعالم النفوس على عالم الأجسام والأبدان ؛ أو –بإيجاز– : كبينونة عالم الجبروت ، على عالم الملكوت ، وعالم الملكوت على عالم الناسوت . أو كبينونة عالمي الذر والبرزخ على عالم الدنيا .

فالبينونة هيهنا : **سمو ما هو أشرف في الوجود على ما هو أدنى .**

ومعنى الأشرف : الأشد وجوداً وفعليّة ؛ أي المنزه عن عالم الفقدان ، والأبعاد الماديّة الفاسدة .

ولك أن تقول : تعالي ذات الوجود الأشرف الأعلى ، على ذات الوجود الأخسّ الأدنى.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى **الْمَلَإِ الْأَعْلَى**﴾[١] أي : الذوات الأشرف وجوداً وفعليّة .

ولك أن تقول : ارتفاع ذات الأشرف في الوجود على ذات الأدنى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[٢] عالم الملكوت ، والذي هو في السماء الرابعة، أو بين الرابعة والخامسة ، كما في بعض أخبار الكليني الثابتة [٣]. وهو عالم شريفٌ منزّه عن النقص والفقدان الماديين المتعارفين .

---

(١) الصافات : ٨.

(٢) مريم: ٥٧ .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ٣: ٤٨٣ . باب النوادر. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

وننبه أنّ النسبة بين البينونتين المكانية والشرفيّة ، من وجه؛ فيجتمعان في أنّ كلاً من السماء الرابعة مثلاً، والسماء الدنيا ، محدود بحد الفقر والحاجة إلى الغير ، فكلاهما موجودٌ بالغير، ويفترقان في الأشدّيّة؛ فعالم السماء الرابعة، وهو عالم الجنّة، أشدّ وجوداً من عالم الدنيا وأشرف؛ كونه ملكوتياً قدسياً، لا فساد فيه ولا فقدان، وأمّا الحدّ الدنيوي فذو أبعاد **وفساد** وفقدان؛ فافهم وتدبّر .

كما أنّ النسبة بين البينونتين الشرفيّة والذاتيّة ، من وجه ، فيجتمعان أنّ كلاً منهما تحقّق وفعليّة، ويفترقان في الأشدّيّة؛ ففعليّة عالم الذات الأحديّة بالذات والاستقلال، وأمّا فعليّة عالم الملكوت فبالغير، فافهم الفرق جيّداً .

تنبيه : البينونة الاعتباريّة التخيّليّة !!

ما ذكرناه من البينونة في الأقسام الثلاثة أعلاه ، إنّما هو بحسب الحقيقة والذات ؛ فالفرجة بين الأرض والقمر مثلاً ، بينونة مكانيّة بحسب أبعادهما في عالم المادّة ، وهي أمورٌ حقيقيّة ذاتيّة ، كما أنّ أشرفيّة الروح على البدن عائدة إلى الذات والجوهر ، فذات الروح أشرف ، من ذات البدن المادي؛ أي : أشدّ تنزّهاً عن الحدود والأَعْدام ، وكذا فإنّ عالم الأحديّة أشرف من عالم الملكوت ؛ كونه بالذات والاستقلال ، والثاني بالغير والتبع .

إذا اتّضح هذا ؛ فإنّ أهل الحكمة وغيرهم ذكروا بينونة أخرى ، لكن بحسب الاعتبار، لا الحقيقة والذات؛ كبينونة رئيس الدولة العرفي على بقيّة النّاس ؛ إذ لا تمايز حقيقي ، ولا ذاتي بينهما ، وإنّما الاعتبار والتخيّل لا غير.

صحيح بكر بن محمّد

«علا فقهر ، وبطن فخبر»

روى الكليني رضي الله تعالى عنه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه والحسين بن محمد ، عن أحمد بن إسحاق جميعاً ، عن بكر بن محمد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «من قال حين يأخذ مضجعه ثلاث مرات : **الحمد لله الذي علا فقهر ، والحمد لله الذي بطن فخبر ، والحمد لله الذي ملك فقدر ، والحمد لله الذي يحيي الموتى ، ويميت الأحياء، وهو على كلّ شيء قدير** ، خرج من الذنوب كهيئة يوم ولدته أمه»[1].

قلت : إسناده صحيح ، تلقّاه أصحابنا بالقبول ، بل من الضروريّات.

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين قال: سألت أبا الحسن عليه السلام دعاء وأنا خلفه ، فقال : «اللهم إنّي أسألك بوجهك الكريم ، واسمك العظيم ، وبعزتك التي لا ترام ، وبقدرتك التي لا يمتنع منها شيء ، أن تفعل بي كذا وكذا.

قال الحسين : وكتب إليّ رقعة بخطه «قل : **يا من علا فقهر** ، **وبطن فخبر** ، يا من ملك فقدر ، ويا من يحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير ، صل على محمد وآل محمد وافعل بي كذا وكذا»[2].

قلت : إسناده صحيح ، ولا معنى لتردد بعض الأكابر في الحسين ، فضعّف الإسناد لأجل ذلك ؛ فالحسين هو ابن سعيد الأهوازي رضوان الله

---

(١) الكافي (ت: غفاري)٢: ٥٦٢. باب الدعاء للكرب. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٢) الكافي (ت: غفاري)٢: ٥٦٢. باب الدعاء للكرب. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

تعالى عليه ، وهو من أصحاب أبي الحسن الثالث ، الإمام الهادي عليه الصلاة والسلام ، سمع منه وروى عنه .

ورواه الكليني رضي الله عنه عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن حسان عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «كلّ دعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر ؛ إنّما التحميد ، ثم الثناء».

قلت : ما أدري ما يجزي من التحميد والتمجيد؟!.

قال : يقول : «اللهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت **الظاهر فليس فوقك شيء** ، وأنت **الباطن فليس دونك شيء، وأنت العزيز الحكيم**».

قال الكليني : وبهذا الإسناد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام: ما أدنى ما يجزي من التحميد؟!.

قال عليه السلام : «تقول : الحمد لله الذي علا فقهر ، والحمد لله الذي ملك فقدر، والحمد لله الذي **بطن فخبر**، والحمد لله الذي يميت الأحياء ويحيي الموتى، وهو على كلّ شيء قدير»[1].

قلت : صحيح، وهذا الإسناد ضعيف.

---

(١) الكافي (ت: غفاري)٢: ٥٠٤. باب الدعاء للكرب. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

العلو : بينونة الصفة (= كمال الذات)

قال المجلسي رضي الله عنه في البحار : ليست مباينته لبعده ، بحسب المسافة عنهم ، بل **لغاية كماله ونقصهم** ، **باينهم في الذات والصفات**[١].

قلت : وإنّما قهر سبحانه ؛ لكون ذاته عين الغنى المحض والكمال الصرف، وغيره عين الفقر والنقص والحاجة..، وهو سبحانه عين الوجود الحقيقي الاستقلالي بالذات ، وغيره عين الوجود التعلّقي الغيري ..

قال ملاّ هادي السبزواري : (**يا من علا؛ فقهر**) فعلوّه : قهره لجميع ما سواه ، لا العلوّ المكاني ، كما زعم المجسمة تعالى عنه علواً كبيراً (**يا من بطن فخبر**) أي كان لطيفاً ، نافذاً نوره في أعماق كلّ شيء ، وبواطن كلّ حيّ ، فكان خبيراً عالماً بها ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [٢].

وقال المجلسي في المرآة : (الحمد لله الذي **علا فقهر**) أي علا على كلّ شيء في الرتبة والشرف والعلية والحكم، وليس فوقه شيء ، فقهر جميع ما عداه، وغلب على جميع ما سواه ، فيفعل بهم ما يشاء ، ويحكم بهم ما يريد[٣] .

وقال المازندراني رضي الله عنه : قوله: (الحمد لله الذي **علا فقهر**) أي فوق الممكنات بالشرف والرتبة والغلبة والقدرة والقوة ؛ فقهرهم بالإيجاد والإفناء ، وغلبهم بالإعدام والإبقاء ، فلا يملكون المنع والدفع ، ولا الضر والنفع [٤].

---

(١) بحارالأنوار ٤ : ٢٣٧ . مؤسسة الوفاء ، بيروت.

(٢) شرح الأسماء الحسنى ١ : ٢٧٢. مكتبة بصيرتي ، قم .

(٣) مرآة العقول ١٢ : ٢٩١.

(٤) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ١ : ٢٩٢. دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

قلت : أجمعت أمّة محمّد صلى الله عليه وآله أنّ علو الله تعالى عن خلقه ، هو ما ذكرناه من بينونة الصفة ، وهي تقتضي –تبعاً لمشيته سبحانه– قهر الأشياء وغلبتها ، ومعنى هذا : الإحاطة القيّوميّة التدبيريّة ، بداهة أنّه لا يعزب عنه شيءٌ منها ، إيجاداً وإعداماً ، حدوثاً وبقاءً ، آناً فآن .

ولم يشذ عن هذا الإجماع إلاّ المشبهة والمجسّمة ، وهم أهل الجهة والأين والتحيّز والفرجة ، كذا قالوا ، وتعساً لما قالوا .

ومن أجمع وأوجز ما قاله صدر المتألهين قدس سره فيما نحن فيه، قوله الشريف: (**علا**) فلا رتبة فوق رتبته (**فاستعلى**) أي **فتنزه عن صفات المخلوقين** [1].

وقال رضي الله عنه أيضاً : قوله: (**خارج من الأشياء**) ؛ **لأنّه تام الحقيقة** ، بل فوق التمام ، حيث يفيض من وجوده وجود الأشياء... .

قلت : سيأتي تخريج «**خارج من الأشياء**» ومراد الملا قدس سره الشريف ، ما ذكرناه مراراً وتكراراً ، من بينونة الصفة (=الذات) .

فالله تعالى علا واستعلى على الأشياء ؛ لكون ذاته سبحانه عين الوجود التام المحض الصرف البسيط ، لا موجود بالاستقلال سواه ، لا خالق للمخلوقات عداه ، ولا علّة للإيجاد والإعدام إلاّ إيّاه ، منزّه عن الحدود والنقائص والأعدام من كلّ جهة ، هذه هي صفة علوّه .

وأمّا المخلوقين فعين الدنوّ ؛ أي : عين الفقر والحاجة والربط والتعلّق والتبعيّة والمعلوليّة ؛ بداهة أنّهم عين الحد والنقص ومخالطة العدم .

---

(١) شرح أصول الكافي(ت:محمد خواجوي) ١ : ١٧٧ .مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

صحيح ابن عبد الحميد

«علا فلا شيء فوقه ، ودنا فلا شيء دونه»

أخرج الصدوق قال : حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن إبراهيم بن عبد الحميد، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول في سجوده: «**يا من علا فلا شيء فوقه، يا من دنا فلا شيء دونه، اغفر لي ولأصحابي**»(١).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام ، رجاله أساطين الملّة المرحومة.

كما بيّنا كثيراً ، فإنّ توهّم ظهور الحديث أعلاه وأمثاله ، في إثبات جهة الفوقيّة لله سبحانه وتعالى ، أي: التحدد بجهة الفوق دون التحت ، بديهيّ الامتناع ؛ يدلّ عليه قوله عليه السلام في الفقرة الثانيّة : «**دنا فلا شيء دونه**» فعلم أنّ الفوقيّة هيهنا لا تعني الجهة ، وإنّما العلو الشرفي الذاتي ، والوجود المحض ، الأقدس الأشد .

وإنّما تعالى الله سبحانه بكماله المحض ، واستعلى بغناه المطلق البحت ؛ فقهر الأشياء وغلبها كلّها بالذات ؛ كونها محتاجةٌ له فقيرة إليه ، بل هي بالذات أيضاً عين الفقر والنقص؛ فتباين الذاتان وافترقا من كلّ جهة إلاّ التبعيّة .

وقوله عليه السلام : «**دنا فلا شيء دونه**» لدخوله سبحانه وتعالى في كلّ شيء وفي كلّ مكان ، دخولاً قيّوميّاً تدبيرياً ، وهذا بديهي أيضاً ، وإلاّ لزم أن لا يكون كمالاً محضاً ، وغنىً بحتاً ، وهو خلفٌ محال .

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٦٧ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

صحيح ابن رئاب

«علا فاستعلى ، ودنا فتعالى»

أخرج الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ويعقوب السراج ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر فقال عليه السلام : «الحمد لله الذي **علا فاستعلى**(١) ، **ودنا فتعالى**(٢) ، **وارتفع فوق كلّ منظر**(٣)...» (٤).

قلت : إسناده صحيح ، في أعلى درجات الصحّة ، فيما هو واضح .

قال المجلسي رضون الله عليه في المرآة : («الحمد لله الذي **علا فاستعلى**) الاستعلاء هنا مبالغة في العلو، أي : علا عن رتبة المخلوقين، **فاستعلى عن التشبه بصفاتهم** ، **أو كان عالياً بالذات والصفات**؛ فأظهر وبيّن علّوه بالإيجاد ، أو طلب علّوه من العباد، بأن يخضعوا عنده ويعبدوه .

(**ودنا فتعالى**) أي دنى من كلّ شيء، فتعالى أن يكون في مكان ؛ إذ لا يمكن للمكاني الدنو من كلّ شيء، أو: **دنوه سبحانه دنو علم وقدرة وإيجاد وتربية** ، وهو **عين علوه وشرافته ورفعته،** فليس دنوّه دنواً منافياً للعلو ، بل مؤيد له، ويحتمل في الفقرتين أن يكون الفاء بمعنى الواو ، أي : علا وكثر علاوة، ودنى وتعالى أن يكون دنوّه كدنو المخلوقين.

---

(١) أي علا بذاته وصفاته الحقيقيّة ، كونها عين الكمال المحض .

(٢) (**دنا**) لكونه لا يعزب عنه شيء إحاطةً وقيّوميّةً وتدبيراً ، وهذا عين الكمال والتعالي .

(٣) ارتفع أن تناله الحواس والأوهام والعقول .

(٤) الكافي (ت: غفاري)٨: ٦٨. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(**وارتفع فوق كلّ منظر**) المنظر: النظر، والموضع المرتفع، وكلما نظرت إليه فسرك أو ساءك، والمراد أنّه تعالى ارتفع عن كلّ محل يمكن أن ينظر إليه ، أي ليس بمرئي ولا مكاني، أو ارتفع عن كلّ نظر، فلا يمكن لبصر الخلق النظر إليه سبحانه، أو ارتفع عن محال النظر والفكر، فلا يحصل في وهم ولا خيال ولا عقل(١).اهـ.

وقال المازندراني ﴿﴾ : (**الحمد لله الذي علا فاستعلى**) أي على كلّ شيء علوا عقلياً بالرتبة والشرف والعلّية (**فاستعلى**) أن يكون شيء فوقه ، أو أن يدرك كنه ذاته عقول العارفين (**ودنى فتعالى**) أي قرب من كلّ شيء قرباً معنوياً (**فتعالى**) عن المشابهة بالمخلوقين ، أو عن التحيّز بحيّز ، بل **قربه بالعلم المحيط بكلّ شيء** ، والتفريع يشعر بأنّ **الدنو المطلق سبب لتعاليه** ؛ لاستحالة أن يكون المشابه بالخلق ، والمفتقر إلى مكان قريباً من كلّ شيء في آن واحد (**وارتفع فوق كلّ منظر**) المنظر إمّا مصدر بمعنى النظر ، أو ما ينظر إليه ، يعني : أنّه **ارتفع من جهة ذاته وصفاته** ، وهو فوق النظر الحسي والعقلي ، أو فوق ما ينظر إليه الحس والعقل (٢).

وقد مرّ قول المجلسي ﴿﴾ في البحار : ليست مباينته لبعده ، بحسب المسافة عنهم ، بل **لغاية كماله ونقصهم** ، **باينهم في الذات والصفات**(٣).

---

(١) مرآة العقول ٢٥: ١٥١.

(٢) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ١١: ٤١٥. دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

(٣) بحارالأنوار ٤: ٢٣٧ . مؤسسة الوفاء ، بيروت.

معاني العلو !!

قال المازندراني : العلو يطلق بالاشتراك على معان ثلاثة:

الأول : الحسي ؛ كالعلو بحسب المكان.

الثاني : التخيلي ؛ كعلو الملك على رعيته.

والثالث : العقلي ؛ كعلو السبب على المسبب.

والأوّل محال في حقه تعالى ؛ لاستحالة كونه في المكان، وكذا الثاني لتنزهه عن الكمالات الخيالية ؛ إذ هي إضافية تتغير وتدرك بحسب الأشخاص والأوقات، ولا شيء من كماله كذلك ، فبقي أن يكون عقلياً مطلقاً ، بمعنى أنّه لا رتبة تساوي رتبته.

بيان ذلك: إنّ أعلى مراتب الكمال العقلي هو مرتبة العلّية ، ولما كان ذاته المقدسة هي مبدء كلّ موجود حسي وعقلي ، وعلّته التي لا يتصور فيها النقصان بوجه من الوجوه ، لا جرمَ كانت مرتبته أعلى المراتب العقلية على الاطلاق ، وله العلوّ في الوجود العاري عن الإضافة إلى شيء، وعن إمكان أن يكون في مرتبته ، أو فوق مرتبته شيء ، ومن كان كذلك فهو منزه عن التشبه بصفات خلقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[1].

قلت : لو أضاف هيهنا معنى رابعاً ، وقد ذكره قدس سره في طيّات كتابه ، لكان أتمّ ، فالله تعالى وملائكة التدبير وإن كان يجتمعان في الشرف والسببيّة إلاّ أنّ شرف الذات الإلهيّة بالاستقلال ، وشرف الملائكة بالغير أي به سبحانه ، وقد بيّنا هذا آنفاً ، فلا تغفل عنه ، وعضّ عليه.

---

(١) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ١: ٢١. دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

خبر ابن سمعان

الله تعالى : «داخلٌ في الأشياء وخارجٌ منها»

روى الكليني ﷺ عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن عليّ بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام : بم عرفت ربك ؟!!.

قال عليه السلام : «بما عرفني نفسه».

قيل : وكيف عرفك نفسه؟!.

قال : «لا يشبهه صورة ، ولا يحس بالحواس ، ولا يقاس بالنّاس ، **قريب في بعده** ، **بعيد في قربه** ، **فوق كلّ شيء** [١]، ولا يقال شيء فوقه ، أمام كلّ شيء، ولا يقال له أمام ، **داخل في الأشياء** ، **لا كشيء داخل في شيء** ، **وخارج من الأشياء لا كشيء**، **خارج من شيء**، سبحان من هو هكذا، ولا هكذا غيره[٢] ، ولكلّ شيء مبتدأ» [٣].

قلت : إسناده مجهول ، بل مرسل ، لكنّه صحيح بما مضى وما سيأتي ، تلقاه أصحابنا بالقبول ؛ إذ لم ينكر مضمونه أحد ، ولا غرو فهو من ضروريّات أهل الإيمان ، يشهد له ما تواتر عن سادة الزمان عليهم السلام ، ناهيك عن قطع العقل ويقين البرهان .

---

(١) عين بينونة الصفة.

(٢) الله تعالى : وجود محض بسيط ، وإنّة صرفة، لا ثاني له ولا يتكرر .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٨٦. باب أنّ الله شيء . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.

قال صدر الدين الشيرازي قدس سره : وقوله: **(خارج من الأشياء)** ؛ **لأنّه تام الحقيقة** ، بل فوق التمام ، حيث يفيض من وجوده وجود الأشياء ، وليس خروجه منها كخروج شيء منفصل عن شيء .

واعلم أنّ هذه المعارف ، ممّا تقصر العبارة عن حقّ بيانها ، ولا يمكن تفهيمها لمن لم يذق هذا المشرب بالوجدان ، عقيب البرهان ، ولا يحصل ذلك الاّ بتعريف اللهّ وتعليم من لدنه ، لمن كان على بيّنة من ربّه.

ثمّ لما ذكر كيفية معيته تعالى للأشياء ، على هذا البيان الذي ليس فوقه بيان ، رجع الى التنزيه ، ونزهه عن أن يكون لأحد غيره ، مثل هذه المعية الموصوفة فقال: **(سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره)** وأشار الى برهانه بقوله: **(لكلّ شيء مبتدأ)** لأنّ الواو حالية ، والجملة حال ، والعامل فيها معنى الإشارة، وبيانه: أنّ هذه المعية المذكورة : **معيّة قيّومية** ، ولا شيء غيره قيّوماً للأشياء، اذ كلّ شيء غيره فله مبدأ ، فليس شيء منها مبدأ لما سواه[1].

قلت : قوله الشريف : (تامّ الحقيقية) بينونة صفة ، وهو معنى العلو الإلهي ، لا الجهة كما قال أهل الجهة ، وقد مضى البيان والبرهان ، فتمسّك.

(١) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٦٤-٦٥ .مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

خبر ذعلب

«في الأشياء على غير ممازجة، خارجُ منها...»

وأخرج الصدوق (٣٨١هـ) في التوحيد قال : حدثنا أحمد بن الحسن القطان وعلي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قالا: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا محمد بن العباس (بن بسام) قال: حدثني محمد بن أبي السري، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد الكناني، عن الأصبغ بن نباتة، قال: لما جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لابساً بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، متنعلاً نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، متقلداً سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...، ثمّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت، مكيها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم.

فقام إليه رجل يقال له: ذعلب وكان ذرب اللسان، بليغا في الخطب، شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلنّه اليوم لكم في مسألتي إياه، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟!.

قال عليه السلام: «ويلك يا ذعلب ، لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره».

قال ذعلب: فكيف رأيته، صفه لنا؟!.

قال عليه السلام: «ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان[١]».

ويلك يا ذعلب ، إنّ **ربي لا يوصف بالبعد[٢]، ولا بالحركة[٣]، ولا بالسكون، ولا بالقيام، قيام انتصاب، ولا بجيئة، ولا بذهاب[٤]**.

لطيف اللطافة ، لا يوصف باللطف[٥]، عظيم العظمة ، لا يوصف بالعظم[٦]، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقة ، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسة، قائل لا باللفظ.

---

(١) في الفقرة استعارة واضحة ؛ إذ القلب هيهنا بمعنى العقل ، والعقل لا يرى بآلة باصرة، وإنّما بالانكشاف والظهور ؛ فالعقل بإذن الله تعالى كالنور ، ظاهرٌ بنفسه مظهرٌ لغيره ، لا حاجة له للواسطة والآلة .

(٢) فالله تعالى في كلّ مكان ، بمعويّته القيّوميّة التدبيريّة لما خلق، آناً فآن ، ولولا هذه المعويّة لما وجد مخلوق ، وإن وجد ، لما بقى من دونها .

(٣) أكثرنا بيان أنّ حقيقة عالم الأحديّة أنّه : عين الفعليّة والتحقّق بالذات والاستقلال أزلاً وأبداً ، لا فقدان فيه إطلاقاً ، منزّه عن النقائص والأعدام ، ليس فيه خروجٌ من القوّة والاستعداد إلى الفعل والتحقّق ، ، والحركة : خروج من القوة إلى الفعل .

(٤) هذا هو عين معنى الاستعداد ، والخروج من القوّة إلى الفعل ، وذات الله تعالى منزهة عن ذلك ؛ كونها بالذات والاستقلال عين الفعليّة والتحقق ، تعالى عنه سبحانه علوّاً كبيراً ، فع واحفظ.

(٥) اللطيف من اللطف ، وهو كيف ، يقابله الكثيف ، والله منزّه عن الكيف . والمقصود من اللطيف فيما ذكر مشهور أهل القبلة : النافذ بعمله وتدبيره في كلّ ما خلق سبحانه.

(٦) العظيم ، يقابله الصغير الحقير ، وهذا كم ، والله منزه عنه .

وقد اختلف العلماء في المقصود من العظيم ، وأرجح الأقوال : إنّه ما كملت ذاته وصفاته.

هو في الأشياء على غير ممازجة ، **خارج منها على غير مباينة**، فوق كلّ شيء فلا يقال: شيء فوقه، وأمام كلّ شيء فلا يقال: له أمام، **داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل**، **وخارج منها** ، **لا كشيء من شيء خارج**.

فخر ذعلب مغشياً عليه، ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها [١] .

ورواه الصدوق في آماليه قال : حدثنا أحمد بن الحسن القطان وعلي بن أحمد بن موسى الدقاق ومحمد بن أحمد السناني رضي الله عنهم ، قالوا : حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان به مثله [٢].

قلت : إسناده مجهول على المشهور ، ومضمونه صحيح ، فله شواهد معتبرة صحيحة سردناها في هذه الرسالة ، هنا وهناك ، ناهيك عن شهادة البرهان القطعي ، وتلقّي الأصحاب بالقبول ، فاجمع واحفظ .

---

(١) توحيد الصدوق (ت: هاشم الطهراني) : ٣٠٦ . مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

(٢) الأمالي : ٤٢٢. مؤسسة البعثة ، قم .

بيان جامع لخبر ذعلب

قال صدر المتألهين قدس سره : أراد أن يشير إلى حقيقة الأمر الجامع للأمرين ، المتوسط بين الحدين، اذ كان عليه السلام إمام أئمة العرفان ، وسيّد سادة الايقان والإيمان ، وقد عرف اللهّ باللهّ ، وكما قال تعالى في القرآن: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١].

وقال : ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٢].

وقال: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[٣].

وقال سبحانه : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى﴾[٤].

فقال عليه السلام : (**قريب في بعده ، بعيد في قربه**) أمّا كونه قريباً؛ فلأنّ قوام الفعل بالفاعل ، والكلّ من أفعاله[٥]، وأمّا كونه بعيداً ؛ لتجرد ذاته عن الخلق ، واستغنائه عن كلّ شيء[٦].

---

(١) البقرة : ١٨٦.

(٢) سورة ق : ١٦.

(٣) المجادلة : ٧.

(٤) الأنفال : ١٧.

(٥) هذا عين معنى الإحاطة العلميّة القيّوميّة التدبيريّة ؛ لأنّ كلّ الأشياء قائمةٌ به سبحانه ؛ لا وجود لها حدوثاً أو بقاءً ، لولاه جلّ في علاه .

(٦) هذه هي بينونة الصفة ، وهي معنى علّوه سبحانه ؛ فليس معنى العلو إلاّ استغنائه بذاته، وكمال صفاته الحقيقيّة التي هي عين ذاته ، واستقلاله بفعله سبحانه .

ولما كانت جهة قربه على هذا الوجه ، هي بعينها جهة بعده [١]، وكذلك بالعكس..، نبّه عليه السلام بهذا الكلام وقال: (**فوق كلّ شيء**) لإحاطته بالأشياء إحاطة معنوية وجودية.

ولا يقال: شيء فوقه ؛ اذ لا حدّ لوجوده ، ووجوده فوق ما لا يتناهى، وقوله عليه السلام : (**أمام كلّ شيء**) لأنّه مبدأ الأشياء، ولا يقال له: أمام، إذ لا مبدأ له.

وقوله عليه السلام : (**داخل في الأشياء**) **دخول المقوّم الموجود فيها يتقوم به** [٢]، لا كدخول الجزء في الكلّ ، سواء كان جزء خارجيّاً ، أو ذهنياً ، بل نحو آخر لا يعرفه إلّا الرّاسخون.

وقوله عليه السلام : (**خارج من الأشياء**) ؛ **لأنّه تام الحقيقة** ، بل فوق التمام ، حيث يفيض من وجوده وجود الأشياء ، وليس خروجه منها ، كخروج شيء منفصل عن شيء .

و اعلم أنّ هذه المعارف ممّا تقصر العبارة عن حق بيانها ، ولا يمكن تفهيمها لأحد ، ممّن لم يذق هذا المشرب بالوجدان عقيب البرهان ، ولا يحصل ذلك إلاّ بتعريف اللهّ ، وتعليم من لدنه ، لمن كان على بيّنة من ربّه[٣].اهـ.

---

(١) هذا عين ما قاله أمير المؤمنين صلوات الله عليه في صحيح ابن رئاب الماضي : «**دنا فتعالى**» فكونه سبحانه محيطاً بكلّ شيء ، لا يعزب عنه شيء ، دنو ، وهو عين العلو الذاتي أو ما اصطلحوا عليه بينونة الصفة .

فبينونة الصفة : هي علوّ الذات بالذات والاستقلال ، وهذا عين الكمال .

(٢) الدخول القيّومي التدبيري = إحاطة العلم والتدبير.

(٣) شرح أصول الكافي(ت: محمد خواجوي) ٣ : ٦٥. مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

قلت : قوله الشريف (**داخل في الأشياء**) **دخول المقوّم الموجود فيها يتقوم به**. صريحٌ في الإحاطة العلميّة القيّوميّة التدبيريّة .

وقوله الشريف : (**خارج من الأشياء**) ؛ **لأنّه تام الحقيقة**. برهانٌ تامّ للابديّة خروج تامّ الحقيقة عن الأشياء ؛ كونها ناقصة الحقيقة فقيرة محدودة.

وهو بديهي ؛ إذ دخول تامّ الحقيقية في ناقص الحقيقة ؛ ممتنع ؛ للخلف المحال ، كما هو أوضح من أن يخفى .

بيان تام للمازندراني رحمه الله

قوله عليه السلام (**قريب**) من كلّ شيء **بالعلم والإحاطة** ، بكلياته وجزئياته : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ولما كان المتبادر من إطلاق القريب هو الملابسة والإلصاق والمشابهة ، نزّه قربه تعالى عن هذه الأمور بقوله عليه السلام (**في بعده**) أي في حال بعده عن كلّ شيء بالمقارنة والملابسة والمشاركة معه في ذاته وصفاته .

فأخرجت هذه القرينة لفظ القرب عن الحقيقة إلى المجاز ، وكسرت الأحكام الوهمية في ذاته وصفاته (**بعيد**) **عن مشابهة الخلائق ذاتاً وصفاتاً** [١]، وعن تناول العقول له حداً وكيفية[٢] ، وعن العلم بحقيقة ذاته وصفاته تفصيلاً وإجمالاً ، ولما كان المتبادر من إطلاق البعد هو البعد بحسب المكان والمسافة والجهة ، نزّه بعده تعالى عن هذه المعاني بقوله (**في قربه**) أي حال قربه من كلّ شيء ، بالمعنى المذكور ، وفيه إشارة إلى أنّه سبحانه وتعالى ليس بزمان وزماني ، ولا مكان ومكاني[٣]، إذ لا يمكن اتصاف شيء منها بالقرب والبعد ، من جميع الأشياء ، من كلّ وجه (**فوق كلّ شيء**) **بالقهر والغلبة**[٤] ؛ **إذ كلّ شيء مسخر لحكمه وقدرته ، ومقهور لإرادته ومشيته** ، إنْ شاء أوجده وأبقاه ، وإنْ شاء أعدمه وأفناه.

---

(١) صفات الله تعالى الحقيقيّة؛ كالعلم عين ذاته ، وصفات المخلوق زائدة على ذاته ؛ فلك أن تقول : الإنسان جاهلٌ ، فالمشابهة محال.

(٢) الحد والكيفيّة من صفات الناقص الممكن ، ويمتنع أن يحيط الناقص بالكامل.

(٣) سنعرض لمعنى الزمان والزماني ، فلربما خلط الكثير بين هذين المفهومين .

(٤) معنى الفوق الإلهي ، وكذا العلو والاستعلاء ، ومثلهما الارتفاع : القهر والغلبة ؛ لامتناع الجهة في ذات الله تعالى ؛ كونه وجود محض وإنية صرفة .

(**ولا يقال شيء فوقه**) لأنّ كلّ شيء مقهور له ، والمقهور لا يكون قاهراً عليه ، ولو وصف غيره بالقهر والقدرة ؛ فإنّما هو بالنسبة إلى ضعيف دونه ، وإذا نسب إلى من فوقه كان ضعيفاً بالنسبة إليه ، وكذلك من وفوقه إلى أن ينتهي إلى تمام القدرة القاهرة ..؛ قدرةُ الله الذي هو الفوق على الإطلاق ، القاهر الغالب جميع من عداه ، وكلّ من عداه في رق الحاجة إليه ، وذل العبودية بين يديه[1].

(**أمام كلّ شيء**) أي قبل كلّ شيء ، متقدّم عليه بالعلية ؛ لاستناد جميع الموجودات على تفاوت مراتبها وكمالاتها إليه (**ولا يقال له أمام**) لأنّه مبدء كلّ موجود ومرجعه[2] ؛ فهو المتقدم الذي لا يتقدمه شيء في الوجود والكمال والرتبة والشرف، والفرق بين هذه الفقره وما تقدمها [3]، أنّ المقصود فيما تقدم هو الإشارة إلى وصف قدرته بالتمام على كلّ مقدور ، وإظهار عجز ما سواه، والمقصود في هذه ، هو الإشارة إلى أنّه مبدء لجميع الموجودات ومتقدّم عليها ، مع اشتراكهما في الإشارة إلى مطالب آخر ، وهي وجوب وجوده لذاته ، وأزليته وأبديته ووحدته وعينية صفاته ، وعدم الحلول والتحيز والتركيب والافتقار إلى شيء ، كل ذلك ظاهر.

---

(١) إشكال وجواب ؛ والإشكال : هو أنّ المخلوق يشارك الله تعالى بأنّه أيضاً يغلب ويقهر من هو أضعف منه .

وقد أجاد المازندراني الجواب رضي الله عنه ، وحاصله : إنّ القاهر الغالب تارة بالذات والاستقلال ، وتارة بالغير ، ولا غالب قاهر بالذات إلاّ الله تعالى ؛ بداهة مردّ ما بالغير إلى ما بالذات.

(٢) وهو معنى قاعدة الحكمة البديهيّة : رجوع ما بالغير إلى ما بالذات.

(٣) أي الفرق بين الفوق والأمام ؛ فالأوّل: لبيان أنّه القاهر الغالب ، وكلّ ما عداه فمغلوب مقهور. والثاني: لبيان أنّه مبدء الوجود الأوّل وعلّته التامّة ، وما عداه معلول له .

(داخل في الأشياء) بالعلم والإحاطة ، بكلياتها وجزئياتها وكيفياتها ، والتصرف كيف يشاء[١] .

وقال قدس سره أيضاً : ولما كان المتبادر من الدخول ، هو الظرفية والحلول ، أشار إلى تقدسه عن هذا المعنى بقوله **(لا كشيء داخلٍ في شيء)** أي : لا كدخول الممكنات بعضها في بعض ؛ كدخول الجزء مثلاً في الكل ، ودخول الحال في المحل ، ودخول الجسم في المكان ؛ فإنّ الدخول بهذا المعنى من لواحق الإمكان وتوابع الافتقار ، وهي على واجب الوجود لذاته محال.

(وخارج من الأشياء) المراد بخروجه منها : مباينة ذاته المقدسة وصفاته الكاملة[٢] ، عن مشابهة شيء منها[٣].

قلت : بيانه الشريف في غاية الجودة ، فعضّ عليه .

---

(١) وقد ناء الفصل الأوّل ببيان هذا ، بما تواتر عن أهل البيت عليهم السلام.

(٢) أي بينونة ذات الواجب وصفات كماله ، التي هي عين ذاته ، عن المخلوقات التي هي عين النقص والفقر والحاجة والتعلّق .

(٣) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ١ : ٨٥. دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

من خطب أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك

قال ابن ميثم البحراني (٦٧٩هـ) في نهج البلاغة: ومن خطبة له عليه السلام : الْحَمْدُ للهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ ، وبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ ، لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ[١] ، ولَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ والْمَصْنُوعِ ، **والْحَادِّ والْمَحْدُودِ** ، والرَّبِّ والْمَرْبُوبِ ، الأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ ، والْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ ونَصَبٍ ، والسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ ، والْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ ، والشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ ، والْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ ، والظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ ، والْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ ، **بَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا والْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ، وبَانَتِ الأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ والرُّجُوعِ إِلَيْهِ** .

مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ ، ومَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، ومَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ ، ، ومَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ ، ومَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ ، عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ، ورَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ، وقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ[٢].

وإنّما أوردناه للإشارة أنّ كثيراً من أقوال أمير المؤمنين علي عليه السلام ، تلك المبثوثة في طيّات نهج البلاغة وغيره من مصادرنا المعتبرة ، ثابتة صحيحة ، بل ضروريّة ، وإن لم يكن لها إسناد واضح بدواً ؛ فيكفي أنّ لها شواهد ثابتة عن أولاده من أهل البيت عليهم السلام ، ولا ارتياب عندنا أنّهم عليهم السلام أنّما علموها وأحاطوا بها ، من طريق أبيهم أمير المؤمنين صلوات الله عليهم جميعاً ، والجميع عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلا تغفل عن هذا في النظر .

---

(١) في المصادر المعتمدة : لا تشمله . وهو أنسب بالسياق والمعنى .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٢٨ .

صحيح الخفّاف

شاهد لخطبة أمير المؤمنين عليه السلام

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) في العيون قال : حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن يعقوب الكليني قال: حدثنا على بن محمد المعروف بعلان ، عن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال عليه السلام :

«**وأمّا الظاهر** ، **فليس من أجل أنّه علا للأشياء** ، **بركوبٍ فوقها** ، **وقعود عليها** ، **وتسنم لذراها** ، **ولكن ذلك لقهره** ، **ولغلبه الأشياء** ، **وقدرته عليها**؛ كقول الرجل: ظهرت على أعدائي ، وأظهرني الله على خصمي يخبر على الفلج والغلبة، فهكذا ظهور الله على الأشياء.

ووجه آخر وهو: أنّه وهو الظاهر لمن اراده ، لا يخفى عليه شيء **وأنّه مدبّر لكلّ ما يُرى** ؛ فأيّ ظاهر أظهر وأوضح أمراً من الله تعالى؟!. فإنّك لا تعدم صنعته حيثما توجهت وفيك من آثاره ما يغنيك والظاهر منّا البارز بنفسه والمعلوم بحده فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأمّا الباطن ، فليس على معنى الاستبطان للأشياء ، بأن يغور فيها ، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظا وتدبيراً ؛ كقول القائل: أبطنته يعنى خبرته ، وعلمت مكتوم سره ، والباطن منّا بمعنى : الغائر في الشيء ، المستتر ، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وأمّا القاهر ؛ فإنّه ليس على معنى علاج ، ونصب ، واحتيال ، ومداراة، ومكر ، كما يقهر العباد بعضهم بعضاً ؛ فالمقهور منهم يعود قاهراً ، والقاهر

يعود مقهوراً ، ولكن ذلك منه تبارك وتعالى على أنّ جميع ما يخلق ملتبس به الذل لفاعله ، وقلّة الامتناع لما أراد به ، لم يخرج منه طرفه عين ، غير أنّه يقول له: كن فيكون ، والقاهر منّا على ما ذكرتُ ووصفتُ ، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى ، وهكذا جميع الأسماء وإنْ كنّا لم نسمّها كلّها ، فقد يكتفى الاعتبار بما ألقينا إليك، والله عز وجل عوننا وعونك في ارشادنا وتوفيقنا[1].

قلت : إسناده صحيح . والحسين هو الخفّاف الثقة ، كما أنّه من مشايخ البزنطي رضي الله عنه .

قوله عليه السلام : (يكتفى **الاعتبار** بما ألقينا إليك) أي قس بقيّة أسماء الله تعالى على ما ذكرناه وبيّناه ، وهو معنى الاعتبار .

فالاعتبار : هيهنا : القياس العقلي (=تحقيق المناط) فبقيّة أسمائه تعالى أو جلّها تشترك بين الخالق والمخلوق لفظاً ، لكن معناها هناك غير معناها هنا ؛ فمعناها عند الخالق ، الوجود بالذات والاستقلال ، وعند المخلوق بالغير .

---

(١) عيون أخبار الرضا (ت: حسين الأعلمي) ٢ : ١٣٤. مؤسسة الأعلمي، بيروت.

أقوال العلماء في تفسيرها

ابن أبي الحديد المعتزلي (٦٥٦هـ)

قال ابن أبي الحديد : «(**بان من الأشياء بالقهر لها ، والقدرة عليها ، وبانت الأشياء منه بالخضوع له ، والرجوع إليه**) .

هذا هو معنى قول المتكلمين والحكماء..؛ والفرق بينه وبين الموجودات كلّها أنّه واجب الوجود لذاته ، والأشياء كلّها ممكنة الوجود بذواتها ، فكلّها محتاجة إليه ، لأنّها لا وجود لها إلاّ به سبحانه ، وهذا هو معنى خضوعها له ، ورجوعها إليه .

وهو سبحانه غنيٌّ عن كلّ شيء ، ومؤثر في كل شيء ، إمّا بنفسه ، أو بأن يكون مؤثراً فيما هو مؤثر في ذلك الشيء ، كأفعالنا ، فإنّه يؤثر فينا ، ونحن نؤثر فيها ، فإذا هو قاهر لكلّ شيء ، وقادر على كلّ شيء . فهذه هي البينونة بينه وبين الأشياء كلّها»[1].

حيدر الآملي (ق ٨ هـ)

قال في الجامع ﷺ : المماسّة لا تتصوّر الاّ بين الجسمين ، أو بين الموجودين ؛ ويكون تعالى بائناً بغير تراخي مسافة ، لانّ بينونيّته (**لها**) ليست الاّ بالقهر للأشياء ، والقدرة عليها ، وبينونيتها له (**ليست الاّ**) بالخضوع له والرجوع اليه ، كما قال عليه السلام : (**بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها، وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه**) لا كما تصوّر المحجوب أنّه تعالى ليس في السماء ، ولا في الأرض ، ولا في العرش ، ولا في الكرسيّ ،

---

(١) شرح نهج البلاغة(ت: أبي الفضل إبراهيم) ٩: ١٥٠ . مؤسسة إسماعليان ، إيران.

ولا في العالم مطلقاً ، وإنْ كان تصوّر صحيحاً ؛ لأنّه تعالى -كما تقرّر- ليس في شيء وليس شيء فيه . ولكن هناك فرق كثير بين مشاهدته تعالى بالإحاطة الذاتيّة والإحاطة العلميّة .

والى هذا أشار عليه السلام بقوله : **(الظاهر لا برؤية)** يعنى ظاهريّته ليست كظاهريّة الشيء للبصر ، أي بالكثافة . (والباطن لا بلطافة) يعني باطنيّته ليست كباطنيّة الشيء للبصر باللطافة . بل ظاهريّته تعالى وباطنيّته عبارة عن الذات وكمالاتها الظاهرة بحسب اقتضائها وشئونها[1] .

قال محمد بن حيدر النائيني (١٠٨٢هـ) :

وقوله : **(قدرةٌ بان بها من الأشياء)** أي له قدرةٌ ، بان بهذه القدرة من الأشياء ، فلا يحتاج أن يكون الصدور والحدوث عنه في مادّة ، بأن يؤثّر في مادّة، فينقلَها من حالة إلى حالة كغيره سبحانه ؛ فإنّ التأثير من غيره لا يكون إلاّ في مادّة ، فبان سبحانه بهذه القدرة من الأشياء ، فيكون تأثيره لا في مادّة ، بل إيجاداً لا من شيء بأمر : كن **(وبانت الأشياء منه سبحانه)** بعجزها عن التأثير لا في مادّة[2] .

حبيب الله الخوئي (١٢٢٤هـ)

قال قدس سره : بان من الأشياء : بغلبته واستيلائه عليها ، وقدرته على ايجادها وإعدامها ، كما هو اللّايق بشأن الواجب المتعال ، وأنّ الأشياء إنّما بانت منه ،

---

(١) جامع الأسرار ومنبع الأنوار (ت: جواد طبابائي) : ٣١٧.شركت انتشارات فرهنكي.

(٢) الحاشية على أصول الكافي (ت: محمد درايتي) : ٤٣٦. دار الحديث للطباعة والنشر.

لخضوعها وذلّها في قيد الامكان ، ورجوعها في وجودها وكمالاتها ، إلى وجوده كما هو مقتضى حال الممكن المفتقر [١].

وقال أيضاً رحمه الله : **(بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرّجوع إليه)** . فانّه صريح في مباينته للأشياء بغلبته واستيلائه عليها وقدرته على إيجادها وإعدامها ، كما هو شأن الواجب تعالى ، وبخضوع الأشياء وذلّها في قيد الامكان ، ورجوعها وافتقارها في وجودها وكمالاتها إليه عزّ وجلّ ، كما هو مقتضى حال الممكن ، ومع ذلك فكيف يمكن جعل أحدهما عين الآخر ، على ما ذهب إليه المتصوّفة [٢].اهـ.

قلت : قوله الشريف: (جعل أحدهما عين الآخر) وحدة الوجود الشخصيّة التي تعني أنّ الحقّ سبحانه هو الخلق ، والخلق هو الحقّ. تعالى الله عن هذا علوا كبيراً . وإطلاق الخوئي رحمه الله في غير محلّه ؛ فالمتصوّفة برمتهم لا يقولون بهذا ، وإنّما غلاتهم وجهلتهم لا غير .

السيد الطباطبائي رحمه الله

وقال السيد الطباطبائي : بينونته من خلقه ليس بمعنى الانفصال والانعزال، تعالى عن الاتصال والانفصال ، والحلول والانعزال ، بل بمعنى قهره لها وقدرته عليها ، وخضوعهم له ورجوعهم إليه [٣].

---

(١) منهاج البراعة شرح نهج البلاغة ٩: ١٨٠ . مطبعة الإسلاميّة ، طهران.

(٢) منهاج البراعة شرح نهج البلاغة ١٣ : ١٩٠ . مطبعة الإسلاميّة ، طهران.

(٣) تفسير الميزان ٦ : ٩٦ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم.

شاهدٌ آخر للخطبة

أخرج الشيخ الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا علي بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، وأحمد بن يحيى بن زكريا القطان ، عن بكر بن عبد الله ابن حبيب ، عن تميم بن بهلول ، عن أبيه ، عن أبي معاوية ، عن الحصين بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن جده عليهم السلام ، أن أمير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية فلما حشد الناس قام خطيبا فقال : الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد ، الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء خلق ما كان ، قدرته (= في الكافي : قدرةٌ) **بان بها من الأشياء ، وبانت الأشياء منه** ، فليست له صفة تنال[1] ، ولا حد يضرب له الأمثال[2]، كلَّ دون صفاته تعبير اللغات[3] ، وضل هنالك تصاريف الصفات[4] ، وحار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير ، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير ، وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب ، وتاهت في

---

(١) لأن صفاته عين ذاته ، وذاته وجود محض وإنية صرفة ، لا يحيط بها حتى الوهم .

(٢) لا حدّ للذات الأحديّة البسيطة، بداهة أنّ الحد تركيب، وهو حقيقة الممكنات بالذات.

(٣) أي : لعجز اللغة وأهل اللغة ، الإحاطة بصفاته سبحانه .

(٤) قال المحقق الداماد قدس سره (في الرواشح السماويّة: ١٨، منشورات مكتبة المرعشي ، قم):

ضلّ في طريق نعته ، نعوت الناعتين ، وصفات الواصفين ، بفنون تصاريفها وأنحاء تعبيراتها ؛ أي كلّما حاولوا أن يصفوه بأجلّ ما عندهم من صور الصفات الكمالية ، وأعلى ما في عقولهم من مفهومات النعوت الجمالية ؛ فإذا نظروا إليه ، وحققوا أمره ، ظهر لهم أنّ ذلك دون وصف جلاله .

أدنى أدانيها طامحات العقول[١] في لطيفات الأمور ، فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، وتعالى الله الذي ليس له وقت معدود ، ولا أجل ممدود ، ولا نعت محدود ، وسبحان الذي ليس له أول مبتدء ، ولا غاية منتهى ، ولا آخر يفنى ، سبحانه ، هو كما وصف نفسه ، والواصفون لا يبلغون نعته ، **حدّ الأشياء كلّها عند خلقه إياها ؛ إبانة لها من شبهه ، وإبانة له من شبهها ، فلم يحلل فيها فيقال : هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها فيقال : هو منها بائن ، ولم يخل منها فيقال له : أين ، لكنه سبحانه أحاط بها علمه ، وأتقنها صنعه ، وأحصاها حفظه** ، لم يعزب عنه خفيات غيوب الهوى[٢] ، ولا غوامض مكنون ظلم الدجى[٣] ، ولا ما في السماوات العلى والأرضين السفلى ، لكلّ شيء منها حافظٌ ورقيب ، وكلّ شيء منها بشيء محيط ، والمحيط بما أحاط منها الله الواحد الأحد الصمد ، الذي لم تغيره صروف الأزمان ولم يتكأده[٤] صنع شيء كان ، إنّما قال لما شاء أن يكون : كن فكان[٥] ، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ، ولا تعب ولا نصب ، وكلّ صانع شيء ، فمن شيء صنع ، والله لا من شيء صنع ما خلق ، وكلّ عالم فمن بعد جهل تعلّم[٦] ، والله لم يجهل ولم يتعلم ، أحاط

---

(١) تطمح العقول أن تحيط بلطائف الأمور الإلهيّة ودقائقها ، لكنّها ، فيما يقول ملا صدرا قدس سرّه ، تتيه وتضطرب كالخفافيش إذا رأت النور .

(٢) خفيات غيوب الهوى ، كذرات الغبار المختفية في الهواء ، كذا ذكر الشرّاح، فتأمّل !!.

(٣) أي لا يخفى عليه شيء في الليل والنهار !!.

(٤) التكأّد : التعب والانفعال؛ لأنّه سبحانه عين الفعليّة والتحقّق ، وعين الكمال المحض.

(٥)ما قلناه مراراً من أنّ الذات الأحديّة : عين الفعليّة والتحقق، وعين الكمال المحض والغنى الصرف .

(٦) هذا دليل على صفة العلم زائدة على ذات المخلوق ، وليست عين الذات كما في الباري سبحانه وتعالى .

بالأشياء علماً قبل كونها ، فلم يزدد بكونها علماً[١] ، **علمه بها قبل أن يكونها كعلمه بعد تكوينها** ، لم يكونها لشدة سلطان ، ولا خوف من زوال ولا نقصان ، ولا استعانة على ضد مثاور[٢] ، ولا ند مكاثر ، ولا شريك مكائد[٣] ، لكن خلائق مربوبون ، وعباد داخرون ، فسبحان الذي لا يؤوده خلق ما ابتدأ ، ولا تدبير ما برأ ، ولا من عجز ، ولا من فترة بما خلق اكتفى ، علم ما خلق وخلق ما علم لا بالتفكر ، ولا بعلم حادث أصاب ما خلق ، ولا شبهة دخلت عليه فيما لم يخلق ، لكن قضاء مبرم ، وعلم محكم ، وأمر متقن ، توحد بالربوبية ، وخص نفسه بالوحدانية ، واستخلص المجد والثناء ، فتمجد بالتمجيد ، وتحمد بالتحميد ، وعلا عن اتخاذ الأبناء ، وتطهر وتقدس عن ملامسة النساء ، وعز وجل عن مجاورة الشركاء ، فليس له فيما خلق ضد ، ولا فيما ملك ند ، ولم يشرك في ملكه أحد ، الواحد الأحد الصمد ، المبيد للأبد[٤] ، والوارث للأمد[٥] ، الذي لم يزل ولا يزال وحدانياً أزلياً ، قبل بدء الدهور ، وبعد صرف الأمور ، الذي لا يبيد ولا يفقد ، بذلك أصف ربي ، فلا إله إلا الله من عظيم ما أعظمه ، وجليل ما أجلّه ، وعزيز ما أعزه ، وتعالى عمّا يقول الظالمون علوا كبيراً .

---

(١) أي لم يزدد بخلقها وإيجادها (=كونها) علماً ؛ لأنّ علمه عين ذاته .

(٢) المثاور : أي الثائر على السلطان ، والمعنى واضح.

(٣) أي : من يكيد الكيد لشريكه .

(٤) الأبد هيهنا يعني : الدهر . والمعنى : كلّ أمرٍ من الزمان والزمانيات والدهريات ، بل كلّ ما خلق بائدٌ هالكٌ لولا وجهه الكريم . وقيل : كلّ شيءٍ من الزمان والزمانيات الدنيويّة، هالك إلاّ وجهه ، وهو أظهر .

(٥) الأمد : منتهى المدّة ؛ فالله تعالى هو الوارث للغاية المضروبة ، والمدّة المحدودة لما خلق من الزمانيات في الدنيا .

قال الصدوق : وحدثنا بهذه الخطبة أحمد بن محمد بن الصقر الصائغ ، قال : حدثنا محمد بن العباس بن بسام ، قال : حدثني أبو زيد سعيد بن محمد البصري ، قال : حدثتني عمرة بنت أوس ، قالت : حدثني جدي الحصين بن عبد الرحمن ، عن أبيه (عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي) ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب بهذه الخطبة لما استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية[1] .

قلت : الإسناد الأول قويّ معتبر ، والثاني مجهول .

وأخرجه الصدوق من طريق ثالث قال : أخبرني أبو العباس الفضل بن الفضل بن العباس الكندي فيما أجازه لي بهمدان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، قال: حدثنا محمد بن سهل يعني العطار البغدادي لفظا من كتابه سنة خمس وثلاثمائة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي قال: حدثني عمارة بن زيد، قال: حدثني عبد الله بن العلاء ، قال: حدثني صالح بن سبيع، عن عمرو بن محمد بن صعصعة بن صوحان ، قال: حدثني أبي عن أبي المعتمر مسلم بن أوس، قال: حضرت مجلس علي عليه السلام في جامع الكوفة فقام إليه رجل مصفر اللون ، كأنه من متهودة اليمن، فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا خالقك وانعته لنا كأنا نراه وننظر إليه، فسبح علي عليه السلام ربه وعظمه عز وجل وقال:

حارث الأوهام أن تكيف المكيّف للأشياء ، ومن لم يزل بلا مكان، ولا يزول باختلاف الأزمان، ولا ينقلب شأنا بعد شأن ، البعيد من حدس القلوب ، **المتعالي عن الأشياء والضروب**، والوتر، علام الغيوب، فمعاني الخلق عنه

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٤٢ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

منفية، وسرائرهم عليه غير خفية، المعروف بغير كيفية، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، ولا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأفكار، ولا تقدره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، فكلّ ما قدره عقل أو عرف له مثل فهو محدود، وكيف يوصف بالأشباح، وينعت بالألسن الفصاح؟!.

من لم يحلل في الأشياء[1]**، فيقال هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال هو عنها بائن، ولم يخل منها فيقال أين، ولم يقرب منها بالالتزاق، ولم يبعد عنها بالافتراق، بل هو في الأشياء بلا كيفية**، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وأبعد من الشبه من كلّ بعيد لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة[2]، ولا من أوائل كانت قبله بدية بل خلق ما خلق، وأتقن خلقه، وصور ما صور، فأحسن صورته.

فسبحان من توحّد في علّوه، فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة أحد من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة له في السماوات والأرض مطيعة، كلّم موسى تكليماً ، بلا جوارح وأدوات ، ولا شفة ولا لهوات ، سبحانه وتعالى عن الصفات، فمن زعم أنّ إله الخلق محدود ، فقد جهل الخالق المعبود ، والخطبة طويلة أخذنا منها موضع الحاجة[3].

---

(١) قوله عليه السلام : (لم يحلل) الحلول الممتنع ؛ وقد بيّنا وجه امتناعه ؛ وهو لزوم تجزّء وتحديد وحواية المحدود ، للذات الأحديّة البسيطة غير المحدودة .

(٢) وإلاّ لزم قدم الأصول ؛ إذ لا قديم بالذات سواه ، ممتنع الوجود بالاستقلال ما عداه ، وسيأتي في الفصل الأخير مزيد بيان في أنّ الأشياء لم تعزب عن علم الله تعالى ، قبل الإيجاد وبعد الإيجاد .

(٣) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٧٧. مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

ورواه الكليني رضوان الله عليه ، نحو ما سبق ، عن محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن يحيى جميعاً رفعاه إلى أبي عبد الله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية ، فلما حشد الناس قام خطيباً ، فقال :

الحمد لله الواحد الاحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء خلق ما كان ، **قدرةٌ** (= **في توحيد الصدوق : قدرته) بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه** ، فليست له صفة تنال ، ولا حد تضرب له فيه الأمثال...، والبقيّة نحو ما سبق [1].

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٤٢ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

جزم الكليني بخطبة أمير المؤمنين عليه السلام إسناداً ومتناً !!

وهذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام ، حتى لقد ابتذلها العامّة ، وهي كافية لمن طلب علم التوحيد ، إذا تدبرها وفهم ما فيها ؛ فلو اجتمع ألسنة الجن والإنس، ليس فيها لسان نبي ، على أن يبينوا التوحيد بمثل ما أتى به بأبي وأمي ما قدروا عليه ، ولولا إبانته عليه السلام ما علم النّاس كيف يسلكون سبيل التوحيد.

ألا ترون إلى قوله: (**لا من شيء كان ، ولا من شيء خلق ما كان**) فنفى بقوله : (**لا من شيء كان**) معنى الحدوث ، وكيف أوقع على ما أحدثه صفة الخلق والاختراع بلا أصل ولا مثال ؛ نفيا لقول من قال : إنّ الأشياء كلّها محدثة ، بعضها من بعض ، وإبطالاً لقول الثنوية الذين زعموا أنّه لا يحدث شيئاً إلاّ من أصل ، ولا يدبر إلاّ باحتذاء مثال **!!!**.

فدفع عليه السلام بقوله : (**لا من شيء خلق ما كان**) جميع حجج الثنوية وشبههم ؛ لأنّ أكثر ما يعتمد الثنوية في حدوث العالم أن يقولوا : لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء ، أو من لا شيء. فقولهم : من شيء خطأ ، وقولهم : من لا شيء مناقضة وإحالة ؛ لأنّ :(**من**) توجب شيئاً ، ولا شيء تنفيه .

فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحها فقال : (**لا من شيء خلق ما كان**) فنفى : (**من**) إذ كانت توجب شيئاً ونفى الشيء؛ إذ كان كل شيء مخلوقاً محدثاً ، لا من أصل أحدثه الخالق كما قالت الثنوية : إنّه خلق من أصل قديم ، فلا يكون تدبير إلاّ باحتذاء مثال .

ثم قوله عليه السلام : (**ليست له صفة تنال ، ولا حد تضرب له فيه الأمثال ، كلّ دون صفاته تحبير اللغات**) فنفى عليه السلام أقاويل المشبهة حين شبهوه بالسبيكة والبلورة ، وغير ذلك من أقاويلهم من الطول والاستواء ، وقولهم : متى ما لم تعقد القلوب منه على كيفية ، ولم ترجع إلى إثبات هيئة ، لم تعقل شيئاً ، فلم تثبت صانعاً!!.

ففسر أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سبحانه واحد بلا كيفية ، وأنّ القلوب تعرفه بلا تصوير ولا إحاطة.

ثمّ قوله عليه السلام : (**الذي لا يبلغه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، وتعالى الذي ليس له وقت معدود ، ولا أجل ممدود ، ولا نعت محدود**) ثم قوله عليه السلام : (**لم يحلل في الأشياء ، فيقال هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن**)

فنفى عليه السلام بهاتين الكلمتين ، صفة الأعراض والأجسام ؛ لأنّ من صفة الأجسام التباعد والمباينة ، ومن صفة الأعراض الكون في الأجسام بالحلول على غير مماسة ، ومباينة الأجسام على تراخي المسافة ثم قال عليه السلام : (**لكن أحاط بها علمه ، وأتقنها صنعه**) ؛ أي هو في الأشياء بالإحاطة والتدبير (**وعلى غير ملامسة**)[1].

---

(١) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٣٧ . باب جوامع التوحيد . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.

شاهد لما تقدم

رواية السبيعي لخطبة أمير المؤمنين عليه السلام

روى الكليني رضي الله عنه عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن أحمد بن النضر ، وغيره ، عمن ذكره ، عن عمرو بن ثابت ، عن رجل سمّاه ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن الحارث الأعور قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام خطبة بعد العصر ، فعجب الناس من حسن صفته ، وما ذكره من تعظيم الله جل جلاله.

قال أبو إسحاق : فقلت للحارث : أوما حفظتها ؟!!.

قال الحارث : قد كتبتها . قال أبو إسحاق : فأملاها علينا من كتابه:

الحمد لله الذي لا يموت ، ولا تنقضي عجائبه ؛ لأنّه كلّ يوم في شأن ، من إحداث بديع لم يكن .

الذي لم يلد فيكون في العز مشاركاً ، ولم يولد فيكون موروثاً هالكاً ، ولم تقع عليه الأوهام فتقدره شبحاً ماثلاً ، ولم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلاً .

الذي ليست في أوليته نهاية ، ولا لآخريته حد ولا غاية ، الذي لم يسبقه وقت ، ولم يتقدمه زمان ، ولا يتعاوره زيادة ولا نقصان ، **ولا يوصف بأين ، ولا بم ، ولا مكان** .

الذي **بطن من خفيات الأمور** ، **وظهر في العقول** ، **بما يُرى في خلقه** من **علامات التدبير** .

الذي سئلت الأنبياء عنه ، فلم تصفه بحد ، ولا ببعض ، بل وصفته بفعاله ، ودلت عليه بآياته ، لا تستطيع عقول المتفكرين جحده ؛ لأنّ من كانت السماوات والأرض فطرته ، وما فيهن وما بينهن وهو الصانع لهن ، فلا مدفع لقدرته.

الذي نأى من الخلق؛ فلا شيء كمثله. الذي خلق خلقه لعبادته وأقدرهم على طاعته ، بما جعل فيهم ، وقطع عذرهم بالحجج؛ فعن بينة هلك من هلك وبمنّه نجا من نجا، ولله الفضل مبدئاً ومعيداً ثمّ إنّ الله وله الحمد، افتتح الحمد لنفسه، وختم أمر الدنيا ومحل الآخرة بالحمد لنفسه، فقال سبحانه : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسيد ، والمرتدي بالجلال بلا تمثيل، والمستوي على العرش بغير زوال ، **والمتعالي على الخلق بلا تباعد منهم** [١]، **ولا ملامسة منه لهم** ، **ليس له حد ينتهى إلى حده** ، ولا له مثل فيعرف بمثله ، ذل من تجبر غيره ، وصغر من تكبر دونه ، وتواضعت الأشياء لعظمته ، وانقادت لسلطانه وعزته ، وكلّت عن إدراكه طروف العيون ، وقصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق ، الأول قبل كلّ شيء ولا قبل له ، والآخر بعد كل شيء ، ولا بعد له ، **الظاهر على كلّ شيء بالقهر له** ، **والمشاهد لجميع الأماكن بلا انتقال إليها** [٢]، **لا تلمسه لامسة** ، **ولا تحسه حاسة** ، هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم ، أتقن ما أراد من خلقه من الأشباح كلّها [٣] ، لا بمثال

---

(١) بينونة الصفة ؛ أي بينونة الذات التامّة البسيطة، من الذات الناقصة المخالطة للأعدام .

(٢) لأنّ عالم الذات الأحديّة ثابت ، كما أوضحنا.

(٣) لنا في بيان هذه الفقرة ، رسالة خاصّة ، لا تسعنا الآن.

سبق إليه ، ولا لغوب [١] دخل عليه في خلق ما خلق لديه ، ابتدأ ما أراد ابتداءه ، وأنشأ ما أراد إنشاءه ، على ما أراد من الثقلين الجن والإنس ؛ ليعرفوا بذلك ربوبيته ، وتمكن فيهم طاعته ، نحمده بجميع محامده كلّها ، على جميع نعمائه كلّها ، ونستهديه لمراشد أمورنا ، ونعوذ به من سيئات أعمالنا ، ونستغفره للذنوب التي سبقت منّا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله بعثه... [٢].

قلت : إسناده مبهم ، له شواهد ، وأياً كان فمضامينه ضروريّة ، يقطع العقل بها ، تلقاه أصحابنا بالقبول .

وإنّما سردنا الخبر كلّه ؛ لانطوائه على كثيرٍ ممّا ادعيناه ؛ كالتدبير والثبوت ، وغير ذلك ، فعضّ عليه .

---

(١) اللغوب : التعب والمشقّة.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٤١ . باب جوامع التوحيد. الكتب الإسلاميّة، طهران.

ما رواه أهل السنّة في هذا

حديث أبي هريرة

أخرج مسلم (٢٦١هـ) في صحيحه قال : حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل، قال: كان أبو صالح يأمرنا، إذا أراد أحدنا أن ينام، أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: «اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كلّ شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، **وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر» وكان يروي ذلك عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم[1].

ورواه الترمذي (٢٧٩هـ) في سننه قال : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال: أخبرنا عمرو بن عون قال: أخبرنا خالد بن عبد الله، عن سهيل به مثله ، وقال : حسن صحيح [2].

قلت : يعني : (**وأنت الباطن فليس دونك شيء**) ما ذكرناه أنّ الله تعالى موجود في كلّ شيء ، لا بذاته بل بقيّوميته وتدبيره وإحاطته .

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٠٨٤، رقم: ٢٧١٣. إحياء التراث العربي، يروت.

(٢) سنن الترمذي(ت:بشار عوّاد) ٥:٣٩٥، رقم: ٣٤٨١. دارالغرب الإسلامي، بيروت.

حديث فاطمة عليها السلام

أخرجه الترمذي (٢٧٩هـ) قال : حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: جاءت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادماً، فقال لها: قولي: اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والقرآن، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، **وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر».

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب وهكذا روى بعض أصحاب الأعمش عن الأعمش، نحو هذا[١].

ورواه الإمام النسائي قال : أخبرني هلال بن العلاء، قال: حدثنا حسين، قال: حدثنا زهير، عن سليمان، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: أتت فاطمة رسول الله مثله[٢] .

قلت : إسناده صحيح .

---

(١) سنن الترمذي(ت:بشار عوّاد) ٥:٣٩٥، رقم: ٣٤٨١. دارالغرب الإسلامي، بيروت.
(٢) سنن النسائي الكبرى(ت: الأرنؤوط) ٧: ١٢٧، رقم: ٧٦٢٢. الرسالة ، بيروت .

حديث عائشة

أخرج الآجري في كتابه الشريعة ، وكذا النسائي في الكبرى واللفظ له : أخبرني محمد بن قدامة، قال: حدثنا جرير، عن مطرف، عن الشعبي، عن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر ما يقول حين ينام وهو واضع يده على خده الأيمن وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك:

«رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، **وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**، **وأنت الباطن فليس دونك شيء**، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر»[1].

قلت : إسناده صحيح .

حديث الباقر عليه السلام

قال ابن عساكر : أخبرنا أبو القاسم الحسيني أنبأنا رشأ المقرئ أنبأنا الحسن بن إسماعيل أنبأنا أحمد بن مروان ثنا محمد بن موسى بن حماد ثنا محمد بن الحارث عن المدائني قال بينما محمد بن علي بن الحسين (=الباقر عليه السلام) في فناء الكعبة فإذا أعرابي فقال له هل رأيت الله حيث عبدته؟!!.

فأطرق وأطرق من كان حوله ، ثم رفع رأسه إليه فقال : «ما كنت لأعبد شيئا لم أره».

فقال وكيف رأيته؟!.

---

(١) سنن النسائي الكبرى(ت: الأرنؤوط) ٩: ٢٩٠، رقم: ١٠٥٥٧ الرسالة ، بيروت .

قال الباقر : لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات ، لا يجوز في قضيته، **بان من الأشياء** ، **وبانت الأشياء منه** ، **ليس كمثله شيء** ، ذلك الله ، لا إليه إلاّ هو. فقال الأعرابي : الله أعلم حيث يجعل رسالاته [1].

وأخرجه أحمد بن مروان ، أبو بكر الدينوري المالكي (٣٣٣هـ) أيضاً قال : حدثنا محمد بن موسى بن حماد (البربري ، من أوعية العلم ، صدوق) ، نا محمد بن الحارث (بن محمد الليثي ، ثقة صدوق) ، عن المدائني (سلام بن سليم التميمي، ضعيف) ؛ عن الباقر مثله [2].

حديث سلم الخوّاص

وأخرج أحمد بن مروان ، أبو بكر الدينوري المالكي (٣٣٣هـ) قال : حدثنا أحمد، نا عبيد بن شريك البزار، نا أبو صالح الفراء؛ قال سلم الخواص: بينما نحن نسير ليلة في بلاد الروم، وكنت أمشي أمام الناس؛ فإذا بين يدي شخص، فلما وقع بصري عليه اقشعر بدني هيبة له، فسمعته يقول: «سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الحجب والنور، سبحان ذي الكبرياء والعظمة، سبحان خالق السماوات والأرض وما فيهما، سبحان من لا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض، سبحان مبيد الخلق ووارث الأرض ومن عليها، سبحان الأبدي الأزلي الذي خلق الأشياء ، **فبان منها ، وبانت الأشياء منه** ، سبحان الحي الذي لا يموت»

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٥٤ : ٢٨٢ . دار الفكر ، بيروت.

(٢) المجالسة وجواهر العلم(ت: مشهور سلمان) ٥ : ٣٩٥ . دار ابن حزم، بيروت.

قال سلم: فخيل إليّ أنّه الخضر صلى الله عليه وسلم ، فقال: صلى الله على الخضر. فنظرت؛ فليس أرى شيئاً، فما دعوت بهذا الدعاء في غم ولا كربة إلاّ فرج عني [١].

(١) المجالسة وجواهر العلم(ت: مشهور سلمان) ٣: ٤٣٥ . دار ابن حزم، بيروت.

تنبيه لازم !!

نعيد للتأكيد أنّ أهل القبلة على ثلاثة أقوال في البينونة ، فمشهور أهل السنة والشيعة أنّ الله تعالى بائن عن الأشياء بينونة صفة ، لأنّ ذاته المقدّسة عين الكمال ، وأمّا الأشياء فعين النقص ، واجتماعهما في مكان محال ؛ لأنّ المكان بما مكان وحد وتحيّز ، فهو عين النقص ، لكنّه تعالى أيضاً في كلّ مكان بإحاطته وتدبيره وقيّوميّته ، لأنّه عين الكمال ، لا يعزب عن فعله شيء .

هذا مشهور أهل القبلة ، وشذّ الجهميّة فقالوا : الله بذاته في كلّ مكان . كما قد شذّ المشبّهة والمجسّمة كابن تيمية : فقالوا ببينونة المكان والفرجة والعزلة وكلاهما باطل بنفس النّص، ناهيك عن غيره ممّا مضى بما لا مزيد عليه فاحفظ.

قال ابن فورك محمد بن الحسن الأصبهاني (٤٠٦هـ) : **(وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء)** :

أعلم أنّ هذا الخبر يبين صحة ما قلنا في تأويل وصف الله عز وجل أنّه فوق كلّ شيء ، **لا على معنى المسافة والمساحة** ؛ وذلك أنّ **كلّ ما كان فوق شيء على معنى المساحة** ، والتمكن فيه ، والعلو عليه ، على هذا الوجه ، **كان دونه شيء** ، وهو على ما عليه من المكان ؛ فلما أبان صلى الله عليه وسلم أنّه ليس دونه شيء ، علمنا أن معنى أنّه فوق كل شيء ، لا على معنى التمكين والمساحة والمسافة [1].

قلت : وهذا هو قول كثيرٌ من أهل السنّة ، لعلّه مشهورهم.

---

(١) مشكل الحديث وبيانه : ٣٩٤. عالم الكتب ، بيروت.

وقال النووي (٦٧٦هـ) في شرحه لصحيح مسلم : (**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**) وأمّا معنى الظاهر من أسماء الله ، فقيل : هو من **الظهور** ، بمعنى : **القهر والغلبة وكمال القدرة** ، ومنه: ظهر فلان على فلان ، وقيل : الظاهر بالدلائل القطعية والباطن نجب عن خلقه وقيل العالم بالخفيات وأما تسميته سبحانه وتعالى بالآخر فقال الإمام أبو بكر بن الباقلاني معناه الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الأزل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق أجسامهم فقال وتعلقت المتزلة بهذا الاسم فاحتجوا به لمذهبهم في فناء الأجسام وذهابها بالكلية قالوا ومعناه الباقي بعد فناء خلقه[1].

---

(١) شرح النووي ١٧ : ٣٦. دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

الفصل الرابع

تدبير الواحد سبحانه للكثير

إشكال عويص في التدبير والقيّوميّة

مضى ما أخرجه الكليني بإسناد صحيح عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «لم يزل الله عز وجل ربنا **والعلم ذاته** ، **ولا معلوم**[١]، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، **والقدرة ذاته ولا مقدور** ، فلما أحدث الأشياء ، **وكان المعلوم**[٢]، وقع العلم منه على المعلوم ، والسمع على المسموع ، والبصر على المبصر ، والقدرة على المقدور» .

قال أبو بصير : **فلم يزل الله متحركاً؟!!.**

قال عليه السلام : «**تعالى الله عن ذلك**، إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل»[٣].

ثمّة إشكال يقول : العلم من الصفات الحقيقيّة الإضافيّة ؛ إذ لا بدّ من معلوم حتّى يتحقّق العلم ، والمعصوم يقول : **(العلم ذاته ، ولا معلوم) !!.**

وجوابه مطوي فيما قعّده أساطين الحكمة المتعالية رحمهم الله بقولهم: بسيط الحقيقة كلّ الأشياء[٤] ، أو : اتحاد العلم والعالم[٥]: أو الكثرة في عين الوحدة، أو : التفصيل في عين الإجمال ؛ فكلّ هذه القواعد تجري في نفس الساقية.

---

(١) أي : ولا معلوم مخلوق موجود في الخارج. وكذا الفقرات التالية .

(٢) أي : خلقت الأشياء ، ووجدت خارجاً . وكان في قوله عليه السلام : «كان المعلوم» التامّة ؛ أي : وُجِدَ وخُلِقَ .

(٣) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٠٧ . باب صفات الذات . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران.

(٤) موجزها واللفظ لي: المعلوم تارةً صورةٌ مرتسمةٌ في الذات الأحديّة البسيطة قبل الخلق والإيجاد ، وأخرى : بعد الخلق والإيجاد ، والمنفي في كلام المعصوم الثاني لا الأوّل ، وتكثّر المعلوم على المعنى الأوّل لا ينافي بساطة الذات بأيّ وجه ؛ إذ هو علم بالكثرة .

(٥) فاتحاد المعلوم –من حيث كونه علماً– بالعالم ، لا ينافي أحديّة العالِم ، ولا بساطة ذاته .

إشكاليّة ربط الحادث بالقديم !!

قال صدر المتألهين رضي الله عنه : تحقيقه في غاية الغموض والدقة؛ فإنّ العلم والقدرة والسمع والبصر ، من الصفات الحقيقية التي يلزمها الاضافة، وقد علمت أنّ إضافاته تعالى كلّها راجعة إلى الإضافة القيومية..؛ فكيف يتصور علم ولا معلوم ، وقدرة ولا مقدور ، وسمع وبصر ولا مسموع ولا مبصر، وقيوم ولا متقوم به؟!.

وهذه بعينها مسألة ربط الحادث بالقديم ، التي تحيرت فيها أفكار العلماء النظار ، ولم يأتوا في تحقيقها بشيء يعتد به[1].

إشكاليّة ربط المتغيّر بالثابت!!

قال المازندراني قدس سره : قوله عليه السلام : **(إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل)** لعلّ المراد بالتحرك : التغير والانتقال من حال إلى حال ، فكأنّ السائل توهّم **أنّ العلم والسمع والبصر والقدرة ، إذا كانت عين الذات ، ومتعلّقها ، وهو المعلوم والمسموع والمبصر والمقدور ، يتغيّر ويتبدل من حال إلى حال ، كان العلم يعني الذات يتغير بتغيره من حال إلى حال أيضاً.**

فأجاب عليه السلام بأنّ الحركة صفة حادثة ، متعلقة بالفعل الحادث ، وهو المعلوم وأخواته ، دون الفاعل ، أعني الذات المقدسة ، المنزهة عن طريان التغير والانتقال . وقيل: المراد بالتحرك والحركة هنا : الإيجاد والخلق[2].

(١) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٢١٠ . مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

(٢) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ٣: ٢٤٥ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

تحرير الإشكال ، وجوابه بإجمال!!

الله تعالى ، واحدٌ أحدٌ ، بسيط من كلّ جهة ؛ أي غير مركّب من أجزاء ، ليس محدوداً بحدّ المكان ، ولا مقدّر بالحركة والزمان ، عين الفعليّة والتحقق والعيان ، منزّه عن النقائص والأعدام ، عين الوجود المحض الصرف التام ..

فإذا كان الأمر كذلك؛ وهو كذلك ضرورةً، فكيف نتصوّر التغيّر والتجدد والحدوث والتصرّم في أفعاله وتدبيره سبحانه=﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ بداهة مردّ كلّ أفعاله إلى ذاته سبحانه ، إذ لا بد من رجوع ما بالغير إلى ما بالذات ، والمعلول إلى علّته ، ولازم ذلك التغيّر في ذاته ، وأنّها محلٌ للحوادث ، وهو ممتنع عقلاً ، ناهيك عن إجماع الأمّة على بطلانه .

وجوابه : فيما طواه أصحابنا أهل الحكمة رحمهم الله ممّا قعّدوه من قواعد ..

كقولهم الشريف في قاعدة : بسيط الحقيقة كلّ الأشياء .

أو قولهم رحمهم الله : التفصيل في عين الإجمال .

أو قولهم رحمهم الله : الكثرة في عين الوحدة .

أو قولهم رحمهم الله في مسألة: ربط الحادث المتغيّر ، بالقديم الثابت .

أو قولهم رحمهم الله : باتحاد العالم والعلم.

أو قاعدة : اتحاد الوجود ؛ إذ الوجود الحقّ المحض واحد، لا ثاني له ، وما عداه فظلٌ له وتبع ، كتبعيّة أشعّة الشمس المتكثّرة للشمس الواحدة ، فكثرة أشعّة الشمس لا تنافي وحدة الشمس.

فالغرض من هذه القواعد الشريفة ، دفع الإشكالين العويصين أعلاه وغيرهما ، وموجز هذه القواعد ، طواه صدر المتألهين قدس سره في قوله :

واعلم أنّ **علمه** تعالى بالأشياء على أربع مراتب: **الأولى** : **مرتبة ذاته** ، ونفس هويته الأحدية ، **وهو العلم الاجمالي البسيط** ، الذي لا أبسط منه، **وقد أشرنا إلى أنّ ذاته تعالى كلّ الأشياء** ، من حيث **لا كثرة فيه** ..... .

وكذا ما طواه ملا هادي السبزواري قال : **وجود الأشياء** ، **بما هو علم إلهي** ، **لا تكثّر فيه**... .

قلت : فالمقصود ببسيط الحقيقة كلّ الأشياء ، والكثرة في عين الوحدة ، واتحاد العلم بالعالم ، والتفصيل في عين الإجمال ، هو : وجود الأشياء في مرتبة الذات وجوداً علميّاً مجرّداً عن الإمكان ، منزّهاً عن خسّة الخارج ، وحدود الأعيان، وهذا لا ينافي وحدة الذات العالمة بأيّ حال من الأحوال ، وهذا ما طوته نصوص أهل البيت عليهم السلام الآتية ..

وأمّا إشكاليّة سريان تغيّر الحادث وتجدده إلى ذات القديم ، فمدفوعة بالامتناع ؛ لما ذكرناه من بينونة الصفة والذات ؛ إذ عالم الذات الأحديّة ، ثابتٌ ، محيط بالتغيّر والتجدّد والزمان والمكان ، غير داخل فيه ..

لكن يبقى السؤال : كيف صدر المتغيّر عن الثابت؟!! وجوابه بإجمال وإيجاز : صدر عن ذات عالمة بالتغيّر ، وهذا العلم عين الفعليّة والتحقق والإيجاد ، لكن له مراتب طوليّة ، مبدؤها الذات الأحديّة ، فعالم العرش ، ثم عالم القلم ، ثم عالم اللوح ، ثم عالم الدنيا ؛ كما ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام..؛ هاك بعضها كالآتي :

معتبر أبي بصير

الله لم يكن خلوّاً من الأشياء قبل الإنشاء

يدلّ عليه ما أخرجه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن علي بن أبي حمزة [١]، عن أبي بصير قال : جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له : أخبرني عن ربك متى كان؟!.

فقال عليه السلام : «ويلك إنّما يقال لشيء لم يكن ، متى كان..؛ إنّ ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً ، بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كيف ، ولا كان له أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لمكانه مكاناً ، ولا قوي بعد ما كون الأشياء ، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكون شيئاً ، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً ، ولا يشبه شيئاً مذكوراً ، **ولا كان خلواً من المُلْك قبل إنشائه** ، **ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه** ، لم يزل حياً بلا حياة...»[٢] .

قلت : إسناده معتبر ، بل موثّق صحيح على الأظهر ، رجاله ثقات، إلاّ علي بن أبي حمزة البطائني ، وهو ثقة صحيح الحديث أيّام استقامته . وأمّا القاسم بن محمد الجوهري ، فمختلف فيه ، وثقه البعض ، وجهل حاله آخرون ، لكنّه من أصحاب الكتب ومشايخ الإجازة ، ناهيك عن رواية ابن أبي عمير وصفوان عنه ، وهما لا يرويان إلاّ عن ثقة ، لم يرد فيه طعن إلاّ كونه واقفياً.

---

(١) مردد بين البطائني والثمالي ، والأوّل أظهر ، وكلاهما ثقة ؛ والبطائني روى هذا ، فيما هو واضح ، أيّام استقامته قبل أن يفتتن ويرتد .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٨٩. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

وله شاهد أخرجه الكليني رحمه الله ، عن محمد بن علي بن معمر ، عن محمد بن علي ، قال حدثنا عبد الله بن أيوب الأشعري ، عن عمرو الأوزاعي ، عن عمرو بن شمر ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الهيثم بن التيهان أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة **فقال** :

«الحمد لله الذي لا إله إلا هو ، كان حياً بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكانه كيف ، ولا كان له أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لكانه مكاناً ، ولا قوي بعد ما كون شيئاً ، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكون شيئا ، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً ، **ولا كان خلواً عن الملك قبل إنشائه** ، ولا يكون خلواً منه بعد ذهابه ، كان إلهاً حياً بلا حياة ، **ومالكاً قبل أن ينشيء شيئاً** ، ومالكاً بعد إنشائه للكون...»[١] .

قلت : إسناده قويّ معتبر ، تلقاه غير واحد من أصحابنا بالقبول ، ومعناه في الجملة ضروري ، لكن تفاوتت كلمات أصحابنا فيه على التفصيل ، بين ما هو ظاهر وما هو أظهر، على قولين .

ولهذا أصلٌ قرآنيّ ، بل أصولٌ ؛ كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٢].

وقوله تعالى : ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[٣]. وغير ذلك .

---

(١) الكافي (ت: غفاري) ٨ : ٣١. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٢) الحجر : ٢١.

(٣) الطور : ٣٧.

قولان لأصحابنا رحمهم الله في بيان الحديث

القول الأوّل : وجود الأشياء قبل الخلق علماً مجرّداً .

قال الملا السبزواري: **وجود الأشياء** ، **بما هو علم إلهي**، لا تكثّر فيه.

هذا القول –بضميمة الصحاح المتواترة الآتية– أظهر القولين؛ إذ الحديث نصٌ صريحٌ أنّ **كلّ الأشياء قبل أن تخلق** ، أو كما قال المعصوم عليه السلام : **لم يكن خلواً من الملك قبل الإنشاء**، كانت موجودةً في مرتبة الذات الإلهيّة ، وجوداً علميّاً مجرّداً ، منزّهاً عن النقائص والحدود والأعدام ، لا وجوداً عينيّاً خارجيّاً مشوباً بالحدود والنقائص والأعدام .

ولا يخفى أنّ اتحاد الأشياء الكثيرة ، بوصفها علماً مجرّداً ، مع ذات العالم بها ، لا ينافي بساطة الذات بأيّ وجه ، بيانه ..

للأشياء ولّكلّ ما خلق الله ، أنحاءٌ من الوجود؛ هي صعوداً كالآتي :

الأوّل : الوجود الحسّي الخسيس . وهو عالم الدنيا الهالك.

الثاني : الوجود المثالي، أو المقداري، أو الملكوتي، وهو أشرف من سابقه ؛ لتنزهه عن عالم الأبعاد الفانية ، والأجسام الهالكة .

الثالث : الوجود العقلي . وهو أشرف من سابقه وأشدّ قدسيّة وفعليّة.

الرابع : الوجود العلمي الإلهي للأشياء.

لا ريب ولا اتياب أنّ كلّ الأشياء المخلوقة، والتي ستخلق، لها وجود علمي مجرّد في مرتبة الذات الإلهيّة؛ وإلاّ لزم نقص الذات، وهو ممتنع. وهذا العلم عين القدرة، وهو عين الحياة ؛ أي عين الذات. وبجملة موجزة: هو عين الوجود المحض والإنيّة الصرفة، وبعبارة ثالثة: عين التحقّق والفعليّة ، وستأتي النّصوص المتواترة المبيّنة لهذا قريباً..

مناقشة القول الثاني !!

القول الثاني : قوله عليه السلام : (**ولا كان خلواً من المُلْك قبل إنشائه ، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه**) مؤوّل بالقدرة على خلق الأشياء وبالسلطنة ، أي أنّ الله سبحانه وتعالى منذ الأزل قادرٌ على الخلق والإيجاد ، أي : قبل الخلق الإيجاد وبعدهما .

يشهد له أنّ الحديث الآنف أخرجه الصدوق قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمد بن أورمة، قال: حدثنا يحيى بن يحيى ، عن عبد الله بن الصامت، عن عبد الأعلى، عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: «...**ولا كان خلواً من القدرة على الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلواً من القدرة بعد ذهابه**، كان عز وجل إلهاً حياً بلا حياة حادثة، **مالكاً قبل أن ينشىء شيئاً** ، **ومالكاً بعد إنشائه**...»[1] .

قلت : إسناده ضعيف ، فما تفرّد به ابن أرومة ، وخالف فيه ، ضعيف لا يعتدّ به ، قاله محمد بن الحسن بن الوليد رضي الله عنه . ناهيك عن أنّ الكليني رواه بطريقين باللفظ الذي صدرنا به العنوان، بل الصدوق نفسه رضي الله عنه رواه من طريق آخر كما رواه الكليني ، والمحتمل قويّاً أنّه من خطأ النساخ .

ومن القرائن على الخطأ ، عدا الصحاح الآتية، قوله عليه السلام : (**مالكاً قبل أن ينشىء شيئاً**) وهو ظاهرٌ صريحٌ في وجود الملك قبل الإنشاء ، لكن وجوداً علميّاً مجرّداً..، والتأويل غير مقبول ؛ لعدم الضرورة إليه ..

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٤١ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

يدلّ عليه ما رواه الكليني رحمه الله بإسناد صحيح ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام : «**لم يزل الله عالماً بالأشياء ، قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء**» وسيأتي تخريجه .

ولو سلّمنا الصدور ، فلا منافاة ؛ فالقدرة في مرتبة الذات الأحديّة ؛ أي قبل خلق الأشياء وإيجادها، هي عين العلم الإلهي بالأشياء قبل إيجادها ، ضرورة أنّ العلم في مرتبة الذات عين القدرة ، والقدرة عين الذات .

قال صاحب البحار رحمه الله : (**ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه**) الملك بمعنى السلطنة والمالكية والعظمة...، سلطنته تعالى ليس بخلق الاشياء؛ لغناه عنها، بل بقدرته على خلقها وخلق أضعافها، وهى لا تنفك عنه تعالى، وفيه رد على القائلين بالقدم، ودلالة هذه الفقرات على الحدوث ظاهرة [1].

وقال المازندراني : (**ولا يكون خلواً من الملك قبل إنشائه**) السلطنة[2] .

ولا يخفى ما فيه ؛ فهذا وإن كان –في نفسه– حقّاً من ضروريّات الأديان، إلاّ أنّه خلاف الظاهر ؛ فنصّ الحديث : (**ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه**) صريحٌ فصيحٌ مليحٌ أنّ الله تعالى: لم يكن خلواً من الأشياء، قبل خلقها وإيجادها ، وإنّما دعا بعض أصحابنا للتأويل، إشكاليّة قدم الأشياء، ولا إشكاليّة في المقام نهائيّاً؛ إذ المقصود بوجود الأشياء في مرتبة الذات، العلم بها..

لكن نتسائل : هل علم الله تعالى بكثرة الأشياء، في مرتبة ذاته المقدّسة، ينافي وحدة الذات وبساطتها ؟!!

---

(١) بحار الأنوار ٢٨: ٢٤٢.

(٢) شرح أصول الكافي(ت: علي عاشور) ٣: ١١٦. دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

أجمع الحكماء والأنبياء عليهم السلام ، أنّ الله عالم بما كان من الأشياء ، وما يكون منها ، وما لو كان كيف سيكون ، وهذا العلم بسيط ، لا كثرة فيه.

قال الصدر الشيرازي قدس سره : **للإنسان** –مثلاً– وجوداً عرضياً ؛ كوجود ماهيته في الذهن عند تصور النفس لها ، وله وجود جوهري طبيعي ، وهو ظاهر ، وله أيضاً وجود جوهري نفساني مع أعضاء نفسانية كما في عالم الآخرة...، وله وجود عقلي كما أثبته أفلاطن ، وقد أوضحنا سبيله ، **وله أيضاً وجود إلهي** ، **وهو ما في علم الله** تعالى، **وكذا غيره من الحقائق**[1].

وقال أيضاً رضي الله عنه : ذاته تعالى كلّ الأشياء على وجه أعلى وأشرف[2] ، غير فاقد لشيء من الوجود وكماله، وإنّما المسلوب عنه تعالى النقائص والأعدام والشرور ، وهو المراد بقوله: (**ولا كان خلواً من المُلْك قبل إنشائه ، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه**) ولا منافاة بين هذا الكلام والذي ذكر في بعض الأحاديث السابقة من أنّ ذاته : (**خلو من خلقه ، وخلقه خلو منه**) لما قد أشرنا إليه من أنّ النقائص والأعدام مسلوبة ، وإنّما يتعين المخلوق عن الخالق بماهياتها الفاقرة الذوات، الناقصة الوجودات[3] .

قلت : فما ذكرناه ، وما ذكره الملاّ الشيرازي قدس سره ، عين ما ذكره أهل البيت عليهم السلام خلال النصوص المتواترة ..؛ هاك بعضها..

---

(١) الأسفار العقليّة ٦ : ٢٨٦ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت. الطبعة الثالثة: ١٩٨١ .

(٢) هذه هي قاعدة بسيط الحقيقة ، كلّ الأشياء بنحو أشرف ، فالنحو الأشرف من الأشياء ، كما بيّن هو قدس سره : وجودها العلمي في مرتبة العالم ، منزّهةً عن كلّ نقائص عالم الإمكان. وهذا هو معنى اتّحاد العالم والعلم ؛ وهو لا ينافي البساطة ولا الوحدة .

(٣) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٨٩. مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

صحيح أيّوب بن نوح

الله عالم بالأشياء قبل خلق الأشياء

المعنى الذي ذكره صدر المتألهين بقوله : **للإنسان** مثلاً وجوداً عرضياً...، وله وجود جوهري طبيعي...، وله أيضاً وجود جوهري نفساني...، وله وجود عقلي...، **وله أيضاً وجود إلهي، وهو ما في علم الله** تعالى ، **وكذا غيره من الحقائق**... . وسيأتي بيانه وتخريجه.

وكذا الذي ذكره ملا هادي السبزواري بقوله : **وجود الأشياء** ، **بما هو علم إلهي** ، لا تكثّر فيه... .

متواترٌ في أخبار أهل البيت عليهم السلام ، ويحسن أن نسوق من هذه الأخبار الثابتة الكثيرة ، ما يسدّ خلأ هذه الدراسة المتواضعة ، كالآتي ..

روى الكليني رضي الله عنه عن محمد بن يحيى ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى ، عن أيوب بن نوح أنّه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز وجل ؛ أكان يعلم الأشياء قبل أنْ خَلَقَ الأشياء وكوّنها ، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها ؛ فعلم ما خلق عند ما خلق ، وما كون عند ما كون ؟**!!!**.

فوقع عليه السلام بخطه : «**لم يزل الله عالماً بالأشياء ، قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء**»[1].

قلت : إسناده صحيح .

---

(١) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٠٧ . باب صفات الذات. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

فمقصود الحكماء بقاعدة بسيط الحقيقة . و: اتّحاد العالم بالعلم . أو : التفصيل في عين الإجمال. أو : الكثرة في عين الوحدة . وحتى اتحاد الوجود ، هو عين المطوي في حديث الرضا عليه السلام ، فليس هو غير : علم الله تعالى بكثرة الأشياء ، في مرتبة ذاته ، والعلم بالكثرة ، لا ينافي أحديّته ولا واحديّته..

إذ العلم بالكثرة والتجدد والتغيّر والحدوث ، بسيط ، وهو عين الفعليّة والتحقّق ، لا أنّه تجدّدٌ في العلم أو حدوث أو تغيّر فيه، فاحفظ .

قال ملا هادي السبزواري رضوان الله عليه : أمّا **العلم** العنائي ، فهو على التحقيق : جامعية ذلك **الوجود الشديد الأكيد** ، **البسيط الحقيقة** ، **كلّ الوجودات بنحو أعلى**...، وعلى مذهب كثير من الحكماء ، حتى حكماء الاسلام ؛ كالشيخين وغيرهما ، فالعلم العنائي : صور مرتسمة في الذات ، سابقة على كلّ المُبْدَعات والكائنات ، **وتكون فعليةٌ** ، **منشأٌ لوجود المعلوم**[1].

قلت : كلامه الشريف تام ، لكن ثمّة نظر فيما يعنيه من العنائي ، وسيأتي التنبيه مع الفسحة ، وأياً كان فما ذكره قدس سره فيما يخصّ المقام تام .

---

(١) شرح الأسماء الحسنى ٢ : ٢٨٤. مكتبة بصيرتي ، قم .

صحيح محمد بن مسلم

«علمه به قبل كونه ، كعلمه به بعد كونه»

أخرجه الصدوق رضي الله عنه قال : حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: «كان الله ولا شيءَ غيره، **ولم يزل عالماً بما كوّن** ، **فعلمه به قبل كونه ، كعلمه به بعد كونه** »[1].

ورواه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين به مثله ، سوى : « بما يكون»[2].

قلت : إسناده صحيح ، في أعلى درجات الصحّة ، رواته أجلة الطائفة ، وجهابذة الفرقة ، يشهد له العقل القطعي، وهو في أيّ حال ، ضروريّ عندنا.

وقال الصدوق : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رحمه الله، عن أبيه، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن عبد الصمد بن بشير، عن فضيل ابن سكرة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إنّ رأيت أن تعلمني ، هل كان الله جل ذكره يعلم قبل أن يخلق الخلق أنّه وحده؟! فقد اختلف مواليك، فقال بعضهم: قد كان يعلم تبارك وتعالى أنّه وحده قبل أن يخلق شيئاً من خلقه. وقال بعضهم: إنّما معنى يعلم : يفعل؛ فهو اليوم يعلم أنّه لا غيره ، قبل فعل الأشياء.

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٤٥ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ١٠٧ . باب صفات الذات. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

وقالوا: إنْ أثبتنا أنّه لم يزل عالماً بأنّه لا غيره ، فقد أثبتنا معه غيره في أزليته، فإنْ رأيتَ يا سيدي أن تعلمني ما لا أعدوه إلى غيره!!!.

فكتب عليه السلام : «**ما زال الله تعالى عالماً تبارك وتعالى ذكره**»(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد ضعيف أو مجهول .

وأخرج الصدوق رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدثنا الحسين بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لم يزل الله مريداً؟!!. فقال عليه السلام : «**إنّ المريد لا يكون إلاّ لمراد معه..؛ بل لم يزل عالماً قادراً ، ثمّ أراد**»(٢).

قلت : إسناده صحيح .

وهو صريحٌ في أزليّة علم الله تعالى بالأشياء ، كما أنّه دليلٌ على أنّ كلّ الأشياء موجودة في مرتبة الذات الأحديّة ، وجوداً علمياً مجرّداً منزّهاً عن الحدود والنقائص والأعدام . مع التنبيه أنّ هذا العلم عين الذات ، أي عين التحقق والفعليّة ؛ لذلك فهو منشؤٌ لوجود الأشياء في مرتبة الخارج .

كما أنّ الحديث ظاهرٌ في أنّ الإرادة صفة فعل لا ذات ، وثمّة شواهد كثيرة عن أهل البيت عليه السلام تؤكّد هذا ، لا تسعنا الآن .

لكن بقي أمرٌ : فهل قولنا : إنّ العلم في مرتبة الذات الأحديّة ، عين الفعليّة ، يجامع الاختيار أم لا ؟!! سيأتي تتمة الكلام في المشيئة.

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٤٥ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٢) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٤٥ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

بيان الصدوق ﷺ

أخرج الصدوق رضوان الله عليه قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، قال: حدثنا أحمد بن الفضل بن المغيرة، قال: حدثنا أبو نصر منصور بن عبد الله بن إبراهيم الأصفهاني، قال: حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا صفوان بن يحيى، عن عبد الله ابن مسكان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى ، أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان، أم علمه عندما خلقه وبعد ما خلقه؟!.

فقال عليه السلام : «**تعالى الله، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه ، كعلمه به بعد ما كوّنه، وكذلك علمه بجميع الأشياء ، كعلمه بالمكان**» [1].

قال مصنف هذا الكتاب (الشيخ الصدوق) رضي الله عنه: من الدليل على أنّ الله تبارك وتعالى عالم أنّ **الأفعال المختلفة التقدير، المتضادة التدبير، المتفاوتة الصنعة**[2]، لا تقع على ما ينبغي أن يكون عليه من الحكمة ممّن لا يعلمها، ولا يستمر على منهاج منتظم ممّن يجهلها، ألا ترى أنّه لا يصوغ قرطاً يحكم صنعته ، ويضع كلاً من دقيقه وجليله موضعه من لا يعرف الصياغة، ولا أن ينتظم كتابة يتبع كلّ حرف منها ما قبله من لا يعلم الكتابة، والعالم ألطف صنعة وأبدع تقريراً ممّا وصفناه، فوقوعه من غير عالم بكيفيته قبل وجوده ، أبعد وأشد استحالة.

---

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٣٦ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٢) تام من الشيخ الصدوق ﷺ، لكن لم يطرحه ﷺ على أنّه إشكال ؛ ليردّ عليه ؛ إذ الإشكال هو أنّ هذه الكثرة والتغيّر والتجدد والحدوث ، والخروج من القوّة إلى الفعل ، تنافي الذات الأحديّة البسيطة ، التي هي عين الكمال والفعليّة والتحقق؟!!.

وتصديق ذلك: ما حدثنا به عبد الواحد بن محمد بن عبدوس العطار رحمه الله، قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري، عن الفضل بن شاذان، قال: سمعت الرضا عليّ بن موسى عليهما السلام، يقول في دعائه: «سبحان من خلق الخلق بقدرته، وأتقن ما خلق بحكمته، ووضع كلّ شيء منه موضعه بعلمه، سبحان من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وليس كمثله شيء وهو السمع البصير» (١).

قلت : الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه ، أثبت استحالة أن يخلق الله تعالى الأشياء ، من دون كونها معلومة عنده في الأزل ، وهذا حقّ ، كما قد تضمّن كلامه الشريف استحالة إجتماع الوحدة والكثرة ؛ أي أحديّة ذات الخالق وكثرة المخلوق في الخارج العيني .

وجوابه كما ألمحنا: إنّ الأشياء -كلّ الأشياء- لها وجود مجرّد منزّه مقدّس في مرتبة العلم الإلهي ، التي هي عين الذات ، وتكثّرها -بقيد التجرّد عن الإمكان- لا ينافي بساطة الذات بأيّ وجه، وهذه قضيّة بديهيّة، وهو مقصودهم باتحاد العالم والمعلوم؛ فالمقصود بالمعلوم هيهنا : العلم : وهو كلّ الأشياء في مرتبة التقدّس ؛ أي : التجرّد عن كلّ النواقص والحدود والأعدام ..

نظير الأشياء الخارجيّة ، المتكثّرة في الخارج، إذا أضحت علماً مجرداً متّحداً مع النفس الإنسانيّة ؛ أي بعد تنزهها عن النواقص والأعدام والحدود الخارجيّة، فهذا لا ينافي بساطة النفس ووحدتها .

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ١٣٦ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

بيان تام لصدر الدين الشرازي ﷺ :

قال ﷺ : وبالجملة: الحقائق المتأصلة ؛ كالإنسان ، والفرس ، والدواب ، والشجر ، والحجر ، والذهب ، والفضة ، والأرض ، والهواء ، والنّار ، والسماء ، والشمس ، والقمر ، وغيرها من الأنواع، **لكلّ منها أنحاء من الكون، ودرجات ومقامات في الوجود**[١] ، ونشأةٌ في الكمال ، كلّما هو أرفع وأشرف ، كان الوجود فيه أقدم ، ووحدته أقوى ، وإحاطته بما سواه أكثر ، وجمعيته أشد ، ونوريته أظهر ، وآثاره أوفر ، حتى يبلغ إلى مقام ، يزول عنه النقائص كلّها ، حتى الإمكان ؛ ففي ذلك المقام وقع التصالح بين المتفاسدات ، والتعانق بين المتضآدّات ، **والتأحّد بين الكثرات** ، **فكانت موجودة بوجود واحد** ، **معلومة بعلم واحد**[٢]... .

وممّا ينبّه على كون حقيقة واحدة ، لها **درجات في الوجود** ، بعضها **طبيعي** ، وبعضها **نفساني** ، وبعضها **عقلي** ، **وبعضها إلهي** ، أنّه لا شك أنّ العلم بمعنى الصورة الحاصلة ، حقيقة واحدة ، وهي قد تكون عرضاً ؛ كعلم النفس بغيرها ، وقد تكون جوهراً نفسانياً ؛ كعلم النفس بذاتها ، وقد تكون جوهراً عقلياً ، كعلم العقل بذاته، وقد **لا تكون جوهراً ولا عرضاً** ، بل أمراً خارجاً عنهما ، وهو واجب الوجود ، كما في **علم الله بذاته وبالأشياء** .... .

فإذا تحقق عندك أنّ ماهية واحدة ؛ كالعلم والقدرة ونظائرهما ، ذات درجات ومقامات في الوجود ، وبعضها أقوى وأشرف ، حتى ينتهي في جانبي

---

(١) سيبينها رضوان الله تعالى عليه ، بعد أسطر ؛ في قوله الشريف : وممّا ينبّه على كون حقيقة واحدة ، لها **درجات في الوجود** : **طبيعي ، ونفساني ، وعقلي ، وإلهي** .

(٢) من أراد الوقوف على معنى قاعدة : بسيط الحقيقة كلّ الأشياء . فحسبه الكلام أعلاه.

النزول والصعود إلى العرضية [١]، والواجبية[٢] ، فقس على هذا جميع الحقائق الوجودية؛ فإنّ **للإنسان** مثلاً وجوداً عرضياً[٣] ؛ كوجود ماهيته في الذهن عند تصور النفس لها ، وله وجود جوهري طبيعي[٤] ، وهو ظاهر ، وله أيضاً وجود جوهري نفساني مع أعضاء نفسانية كما في عالم الآخرة[٥]...، وله وجود عقلي كما أثبته أفلاطن ، وقد أوضحنا سبيله ، **وله أيضاً وجود إلهي**[٦] ، **وهو ما في علم الله تعالى ، وكذا غيره من الحقائق**[٧].

وقد أوجز رضي الله عنه هذا بأكمل عبارة في شرح أصول الكافي قال: معلوم عند أرباب البصائر الثاقبة وأصحاب الحكمة المتعالية أنّ الموجودات الصادرة منه على الترتيب ، من الأشرف فالأشرف ، والأقرب فالأقرب ، إلى الأخس فالأخس ، والأبعد فالأبعد ، حتى انتهى إلى أخس الأشياء ، وهي الهاوية والظلمة.

والعائدة إليه تعالى على عكس ذلك الترتيب، من الأخس فالأخس ، والأبعد فالأبعد ، إلى الأشرف فالأشرف ، والأقرب فالأقرب ، إلى أن ينتهي

---

(١) جانب النزول : وهو إذا ما عرض للمعلوم المجرّد الحدود والنواقص والأعدام الخارجيّة ؛ أي : الكم والكيف والأين و...، ما شئت فعبّر.

(٢) جانب الصعود : إذا تجرّد المعلوم الخارجي، عن كلّ النواقص والأعدام والحدود ، تجرّداً تامّاً ؛ ليكون علماً .

(٣) بداهة أنّ العلم الحصولي ، كحظور ماهيّات الأشياء في الذهن ، عارضٌ على الذات ، زائدٌ عليها .

(٤) المجموع من روح + بدن دنيوي (=ملكي).

(٥) المجموع من روح + بدن أخروي (=ملكوتي) .

(٦) أي كونه علماً لله تعالى قبل إيجاده وخلقه .

(٧) الأسفار العقليّة ٦ : ٢٨٦ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت. الطبعة الثالثة: ١٩٨١ .

إليه سبحانه ، كما أشير إليه بقوله سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾(١) وقوله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾(٢) .

فلكلّ منها غاية مخصوصة ينتهى إليها، ولغايته أيضاً غاية أخرى فوقها، وهكذا حتى ينتهى الى غاية، لا غاية بعدها، كما ابتدأت من مبدأ، لا مبدأ قبله(٣).

قلت : قوله تعالى : ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ هو عالم التدبير، وهو عينه عالم القضاء ، أو عالم المحو والإثبات ، وأعلى منه عالم التقدير ، وهو عالم القلم ، وأعلى منه عالم المشيئة ، وهو عالم العرش ، وسيأتي البيان ..

---

(١) السجدة : ٥.

(٢) الرعد : ٢.

(٣) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٢٤٥ . مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

أقسام العلم ومراتبه الوجوديّة

مرّ ما رواه الكليني والصدوق بإسناد صحيح ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان اللهّ ولا شيء غيره، **ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه ، كعلمه به بعد كونه**»[١].

لكن كيف يمكن تصوّر أنّ العلم الأزلي قبل الإيجاد ، هو عين العلم الأزلي بعد الإيجاد؟!!

قلنا : للعلم مراتب أربع في الوجود، تبتدىء من أشدّها وهي مرتبة علم الذات الأحديّة، وهي عين الذات ، ثمّ مرتبة القلم ، ثمّ مرتبة اللوح ، ثمّ مرتبة التحقق العيني الخارجي المبتلاة بالحدود والنواقص والأعدام ..

يدلّ عليه -في الجملة- ما رواه عليّ بن إبراهيم القمّي رضي الله عنه قال: حدثني أبي ، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن النعمان، عن ضريس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أوّل من يدعى للمسائلة **القلم** فيتقدم، فيقف بين يدي الله في صورة الآدميين، فيقول الله : هل **سطرت في اللوح** ما ألهمتك **وأمرتك به من الوحي**...[٢].

قلت : إسناده صحيح .

وهو صريحٌ في وجودين طوليين ، أحدهما أشرف من الآخر ، فعلم عالم القلم أشرف من علم عالم اللوح ، وأشدّ فعليّة ، بل هو مبدءٌ له ومعين ، وسيأتي النّص الصحيح الصريح في هذا قريباً ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٢٧ . باب أنّ الله شيء. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمّي ١ : ١٩٢ .

صحيح ابن أبي عمير

اللوح المحفوظ مستنسخ عن أمّ الكتاب

أخرج الصدوق رضي الله عنه قال : حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن عبدالرحمن (عبدالرحيم) القصير ، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : سألته عن ﴿**ن وَالْقَلَمِ**﴾ ؟!!.

قال عليه السلام : إنّ اللهَ خلق القلم من شجرة في الجنّة يقال لها : الخلد ، ثمّ قال لنهر في الجنة: كن مداداً ، فجمد النهر ، وكان أشد بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد ، ثمّ قال للقلم : اكتب .

قال القلم : وما اكتب يا رب؟!.

قال : «**اكتب ما كان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة،** فكتب القلم في رق أشد بياضاً من الفضة ، وأصفى من الياقوت ، ثمّ طواه فجعله في ركن العرش ، ثمّ ختم على فم القلم ، فلم ينطق بعد ولا ينطق أبداً، فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلّها.

أو لستم عرباً؟! فكيف لا تعرفون معنى الكلام، وأحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب ، أو ليس إنّما ينسخ من كتاب **أخذ من الأصل** ، وهو قوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [1].

قلت : إسناده صحيح .

ومجموعه مع سابقه ، صريحٌ ، أو ظاهرٌ ، أنّ مردّ كلّ ما في الوجود العيني الخارجي إلى علم عالم اللوح ، وهو علم الله تعالى في مرتبة عالم المحو

---

(١) تفسير القمّي ٢ : ٣٨٠ . مكتبة الهدى ، النجف .

والإثبات ، وهذا العلم الشريف، فيما قضى الله تعالى ، علّة إيجاد عالم الدنيا برمتّها ، من مبدئها إلى منتهاها ، محيطٌ بالزمان ، معه ، لا فيه ؛ ضرورة أنّ هذا العلم هو عين الفعليّة والتحقّق ، لكن بالغير ، أي بواسطة علم عالم القلم ، كما ذكر النّص الآنف بوضوح .

كما أنّ مردّ علم عالم اللوح ، إلى علم عالم القلم ؛ أي : علم الله تعالى الذي في أمّ الكتاب ، وهو علّة إيجاد لما دونه من عالم اللوح ، وهذا العلم ، عين الفعليّة والتحقق بالغير ، بنحو أشرف من علم اللوح .

كما أنّ مردّ علم عالم القلم ، إلى علم الذات الأحديّة الذي هو عين الذات ، ومبدء الإيجاد ، وعلّة علل ما دونه من الموجودات الطوليّة ، وهذا العلم إجمالي ، وهو أشرف العلوم ؛ كونه كذلك بالاستقلال لا بالغير.

قلت : قوله عليه السلام : أوّل من يدعى للمسائلة **القلم** فيتقدم، فيقف بين يدي الله في صورة الآدميين، فيقول الله : «هل **سطرت في اللوح** ، **ما ألهمتك ، وأمرتك به من الوحي** ...» .

صريحٌ أنّ **القلم** : ذات عاقلةٌ أو روحٌ قدسيّة ملهمة مفطورة على العلم، هي عين التحقق والفعليّة بأمر الله تعالى .

إشكال وجواب!!

ننبّه أنّ غير واحد من علماء الفريقين فسّر قوله تعالى : ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١]. بكتابة ما يعمله العبد في الدنيا ليجازيه به في الآخرة !!.

قلنا : لا ينافي هذا ، ما ذكره الصادق عليه السلام ؛ إذ الاستنساخ على قسمين صعوداً ونزولاً :

الأوّل : الاستنساخ الصعودي.

من الأدنى إلى الأعلى ؛ فصعوداً من عالم الدنيا ، إلى عالم اللوح ، إلى عالم القلم (=أم الكتاب) ، إلى عالم العرش[٢]، إلى عالم الذات الأحديّة ، فلا تذهل .

يدلّ على الاستنساخ الصعودي قوله سبحانه وتعالى : ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ** فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا **فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا** إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٣]. وقوله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ وغير ذلك من الآيات .

قلت : وهذا الكتاب هو اللوح المحفوظ ، أو أم الكتاب .

الثاني : الاستنساخ النزولي.

عكس ما تقدّم ؛ كما قال تعالى : ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ أي من الذات الأحديّة ، ثمّ إلى عالم القلم ، فعالم اللوح ، حتى عالم الدنيا.

---

(١) الجاثية : ٢٩.

(٢) العوالم، حسب الأخبار أكثر مما ذكرنا، وهي مطويّة فيما ذكرنا، يحتاج بيانها رسالة خاصّة؛ وقد رادفنا هيهنا بين عالمي العرش والقلم، مع أنّ الثاني دون الاوّل؛ للاختصار.

(٣) الحديد : ٢٢.

تفسير : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾

قلت بإيجاز : مفاتح الغيب : إمّا علم الذات الأحديّة المحض ، وإمّا هو علم العرش (=علم التقدير) وكلاهما عين الفعليّة والتحقّق، إلاّ أنّ الأوّل بالاستقلال، والثاني بأمره سبحانه .

قال الشيخ الطوسي في التبيان : ومعنى الآية ، أنّ الله تعالى **عالم بكلّ شيء** من مبتدءات الأمور وعواقبها ، فهو يعجل ما تعجيله أصلح وأصوب ، ويأخر ما تأخيره أصلح وأصوب ، وأنّه الذي يفتح باب العلم لمن يريد إعلامه شيئاً من ذلك من أنبيائه وعباده ؛ لأنّه لا يعلم الغيب سواه ، فلا يتهيأ لأحد أن يعلم العباد ذلك ، ولا أن يفتح لهم باب العلم به إلاّ الله ، وبين أنّه يعلم ما في البر والبحر من الحيوان والجماد ، وبين أنّه ما تسقط من ورقة من شجرة إلاّ يعلمها ولا حبة في جوف الأرض وفي ظلماتها إلاّ ويعلمها ولا رطب ولا يابس جميع أصناف الأجسام ؛ لأنّها أجمع لا تخلو من احدى هاتين الصفتين .

وقوله : ﴿**وما تسقط من ورقة الاّ يعلمها**﴾ المعنى أنّه يعلمها ساقطة وثابتة كما تقول : ما يجيئك من أحد إلاّ وأنا أعرفه ، معناه إلاّ وأنا أعرف في حال مجيئه .

وقوله : ﴿في كتاب مبين﴾ يحتمل أمرين : أحدهما : أن يكون معناه في علم الله مبين . وثانيهما : أن يكون الله تعالى أثبت ذلك في كتاب قبل أن يخلقه ، كما قال ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ ويكون الغرض بذلك إعلام الملائكة أنّه علام الغيوب ؛ ليدل على أنّه عالم بالأشياء قبل كونها [١].

---

(١) التبيان(ت: أحمد قصير العاملي) ٤ : ١٥٥ . الإعلام الإسلامي ، قم.

قال صدر الدين الشيرازي : ثبت أنّ في الوجود ذواتاً قدسية ، وجواهر عقلية ، فيها صور الموجودات كلّها بالفعل ، على وجه مقدس عقلي ، تستكمل النفوس وتصير عاقلة بالفعل ، بعد كونها قابلة بالقوة، وهي واسطة بين اللهّ وبين الخلق في إفاضة الخيرات ، ونزول البركات على الدوام، و هي كلمات اللهّ التامات التي لا تبيد ولا تفنى.

وهى مسماة بأسامي مختلفة متعددة ، باعتبارات ووجوه مختلفة، وهي كلمات اللهّ بوجه ، وعالم أمره ، وقضائه بوجه ، ومفاتيح غيبه بوجه ، قال سبحانه : ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[1]، وهي **خزائن علمه وجوده** . وقال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[2].

قلت : الخزائن على الترتيب الطولي (=النزولي) كالآتي :

الأوّل : **علم الذات الأحديّة** ، هذا عين الذات والفعليّة بالاستقلال.

الثاني: **عالم المشيئة** (=**العرش**) وهو عين القدرة والفعليّة بأمره سبحانه.

الثالث : **علم عالم القلم** ، وهذا بأمر الله عين الفعليّة والقدرة والتحقق.

الرابع : **علم عالم القضاء** (=**اللوح**) أو علم المحو والإثبات ، أو علم اللوح والقضاء ، وهو أيضاً عين الفعليّة والتحقق.

الخامس : **عالم الأعيان** ؛ والنواقص والحدود = عالم الدنيا.

---

(١) الأنعام : ٥٩.

(٢) الحجر : ٢١.

قول المجلسي قدس سره في اللوح والقلم والخزائن !!

قال صاحب البحار رضوان الله عليه :

قال بعض المحققين : الخزائن : عبارة عمّا كتبه القلم الأعلى أولاً ، على الوجه الكلّي في لوح القضاء المحفوظ عن التبديل، الذي منه يجري ثانياً على الوجه الجزئي في لوح القدر ، الذي فيه المحو والاثبات تدرجاً على التنزل، فإلى الأوّل أشير بقوله تعالى : ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾[1] وبقوله ﴿ **يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [2] وإلى الثاني بقوله ﴿ **وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ ومنه ينزل ويظهر في عالم الشهادة.

وعن السجاد عليه السلام: «إنّ في العرش تمثال جميع ما خلق الله من البر والبحر، قال: وهذا تأويل قوله ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا**...﴾أراد عليه السلام به ما ذكرناه[3] .

قلت : وقد ارتضاه المجلسي رضوان الله عليه ، ويقصد ببعض المحققين ، الفيض الكاشاني رضوان الله تعالى عليه.

وهو تامٌ جدّاً ، إلاّ التسمية والاصطلاح ، فعلم عالم القدر سابق على علم عالم القضاء ، كما ورد في الأخبار المعتبرة التي سنشير لبعضها ، وليس كما قال الفيض قدس سره ، ولا يقال : لا مشاحة في الاصطلاح ، مع مخالفة النّص الصحيح ، وسيأتي أنّ الفيض تابع صدر المتـألهين في هذا ..

---

(١) الحجر : ٢١.

(٢) الرعد: ٣٩.

(٣) بحار الأنوار ٥٦: ٣٦١. دار الوفاء ، بيروت.

كلمة جامعة لصدر المتألهين ﷺ !!

قال صدر الدين الشيرازي : واعلم أنّ علمه تعالى بالأشياء ، التي هي غيره تعالى ، وغير صفاته وأسمائه ، على أربع مراتب:

الأولى : **مرتبة ذاته** ، ونفس هويته الأحدية ، وهو العلم الاجمالي البسيط ، الذي لا أبسط منه، **وقد أشرنا إلى أنّ ذاته تعالى كلّ الأشياء** ، من حيث **لا كثرة فيه**.

الثانية : **مرتبة قضائه** ، وعلمه التفصيلي الذي بعد الذات ، وهو **أمّ الكتاب** ، وفيها صور جميع الأشياء ، معقولة مفصّلة ، محفوظة عن التغير ، وهو عالم القضاء الرباني المشار إليه بقوله: ﴿وعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

الثالثة : **مرتبة القدر** ، وهو **كتاب المحو والاثبات** ؛ لقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهَّ مَا يَشَاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وفيها صور جميع الموجودات على الوجه الجزئي النفساني المتغير واحدة بعد واحدة.

الرابعة : وهي أخيرة المراتب ، وفيه **الصور الكونية المادية** ، بعوارضها الجسمانية ، وأحوالها الشخصية ، وأوقاتها وأحيازها المعينة ، وأوضاعها وأشكالها المحسوسة.

فاذا تقرر هذا فنقول: العلمان الأوّلان ، أحدهما المسمّى بالعناية ، والثاني المسمّى بالقضاء لا يتغيران أصلاً، فعلم اللهّ بغيره ، أي : بغير ذاته وعلمه القضائي ، قبل كونه ، ومع كونه ، وبعد كونه علم واحد لا يتغير ولا يتبدل، وأمّا العلمان الآخران ، فكلٌّ منهما متغير ؛ لأنّ كلاً منهما زماني جزئي.

لكن يجب أن يعلم أنّ هذه الصور المتعاقبة لها اعتباران: اعتبار كونها في أنفسها ، واعتبار كونها مكشوفة مشهودة للهّ مرتبطة به منسوبة إليه، فهي بالاعتبار الأوّل متغيرة وبالاعتبار الثاني ثابتة؛ لأنّ ذاته تعالى محيط بالأشياء ، ونسبته إليها نسبة واحدة، فالزمان بجميع أجزائه وما فيها وما معها ، موجودة عنه تعالى وله ، مرة واحدة بالقياس إليه وعلمه وعالم قضائه[1].

قلت : قوله الشريف تام ، إلاّ قوله قدس سره : (أحدهما المسمّى بالعناية) ففيه نظر لا يسعنا الآن ، على أنّ المراتب في الأخبار خمس لا أربع .

وإلاّ قوله : الثانية مرتبة قضائه ....، والثالثة : مرتبة قدره .

لما ثبت عن أهل البيت عليهم السلام أنّ مرتبة القدر قبل مرتبة القضاء ، بل أشرف منها ، فالأولى أشدّ فعليّة ، وألصق بالبساطة ، وأبعد من العدم والفقر ؛ لقربها من المبدأ والفيض .

وقد أخرج الكليني عن العالم عليه السلام قال : « **عَلِمَ الله تعالى ، وشاءَ ، وأرادَ ، وقدر ، وقضى ، وأمضى...** »

كما قد أخرج بإسناد صحيح عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن أبان ، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: **شاء ، وأراد ، وقدر، وقضى؟!**. قال عليه السلام : نعم[2].

فالإمضاء هو التحقّق ، والقضاء ، هو علم المحو والإثبات ، أمّا التقدير فهو علم عالم القلم ، وأمّا الإرادة فمشيئة الله تعالى من حيث كونه فاعلاً ، فافهم وتدبّر وتأمّل .

---

(١) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٢١٢ . مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

(٢) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ١ : ١٥٠ . مؤسسة مطالعات فرهنكي، إيران.

كلمة تامّة للملا هادي السبزواري!!

قال ملا هادي السبزواري (١٢٨٩هـ) في شرح الأسماء : علمه تعالى له مرتبتان علم عِنَائِي[1] ذاتي ، في مقام الخفا والغيب المطلق ، وعلم فعلي في مقام الظهور والفعل .

فالمرتبة الأولى : مقام التفصيل في الاجمال .

وهو ما قال الحكماء الراسخون فيه : إنّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء ، بنحو أعلى ، وليس بشيء منها .

والمرتبة الثانية: مقام الاجمال في التفصيل.

الله نور السماوات والأرض ؛ وفيه قال الحكماء الإلهيون : صفحة نفس الأمر ، وصحيفة عالم الوجود في الأعيان بالنسبة إليه تعالى ؛ كصفحة الأذهان بالنسبة إلينا .

ففي الأولى وجدان ذلك البسيط كلّ وجود ، بنحو أعلى ؛ علم سابق على كل مرتبة ؛ فإنّ العلم بالشيء هو : حضوره للمجرد ، وأيّ حضور أشد من حضور النحو الأعلى من الشيء للمجرّد ، المنطوي في حضور ذاته لذاته ؛ فإنّ علمه بذاته ، على وجه يستتبع علمه بما عدا ذاته ، والاستتباع والاستلزام هنا على التحقيق ، من قبيل الملزوم واللازم الغير المتأخر في الوجود ، كما في

---

(١) العلم العنائي : صور الأشياء مرتسمة في الذات الإلهيّة بالنحو الأشرف البسيط ، لها الفعليّة المحضة لإيجاد ما قضى الله بإيجاده في مرتبة الخلق والفعل. كذا قال جماعة من الحكماء ، وهو -في الجملة- تامٌ لمن تدبّره .

لكن ثمّة نظر لا يسعنا الآن ، مردّه إلى كون الإرادة صفة ذات ، وهي العلم العنائي ، وهو خلاف المشهور .

مفاهيم أسمائه وصفاته بالنسبة إلى وجود ذاته ، وصور أسمائه وصفاته من المهيات والأعيان الثابتات ، كذلك بالنسبة إلى وجود ذاته ، فهو تعالى عن المثل والتشبيه ؛ كمرآة فيها صور جميع الأشياء ، إذا كانت عالمة بذاتها حاضرة ذاتها لذاتها .

ثمّ في مقام العلم الفعلي الثانوي أيضاً علم سابق ؛ **لأنّ وجود الأشياء بما هو مضاف إليها ، معلومُ الله ، وهو، بما هو مضاف إلى الله، علمه** ، ومعلومٌ أنّ **إضافته إلى الله** ، **سابقة سبقاً ذاتياً أزلياً على إضافته إلى مهياتها الإمكانية** ، وهو بما هو معلوم ليس صفة لله تعالى ؛ وفيه التغير والتغاير ، وبما هو علم صفة فعلية لله ليس فيها تكثر ، كما قال تعالى : ﴿**وما أمرنا إلاّ واحدة**﴾[1].

وقال ملا هادي رحمه الله شارحاً **(يا من علمه سابق)** : علمه سبحانه بجميع مراتبه ، سابق على المعلومات ، التي هي موجودات عالم الملك ، وتلك المراتب كالعلم العنائي ، والعلم القلمي ، والعلم اللوحي المحفوظي ، والعلم اللوحي المحوي والإثباتي.

أمّا العلم العنائي ، فهو على التحقيق : جامعية ذلك الوجود الشديد الأكيد ، البسيط الحقيقة ، كلّ الوجودات بنحو أعلى...، وعلى مذهب كثير من الحكماء ، حتى حكماء الاسلام ؛ كالشيخين وغيرهما ، فالعلم العنائي : صور مرتسمة في الذات ، سابقة على كلّ المُبْدَعات والكائنات ، **وتكون فعليةٌ ، منشأٌ لوجود المعلوم**[2].

(١) شرح الأسماء الحسنى ٢ : ٢٦. مكتبة بصيرتي ، قم .

(٢) شرح الأسماء الحسنى ٢ : ٢٨٤. مكتبة بصيرتي ، قم .

مثال تقريبي لتدبير بسيط الحقيقة للمخلوق الكثير!!

غرضنا من هذ االمثال ، وقد عرض له بعض أساطين الحكمة ، بيان إحاطة ذات الله الأحديّة البسيطة ، الواحديّة القيّوميّة التدبيريّة ، لكلّ الأشياء المتكثّرة ؛ بحيث أنّ كثرتها لا تنافي واحديّة بسيط الحقيقة ، ولا أحديتّه ..

نعلم أنّ المثال يقرب من جهة ويبّعد من جهات ، وإنّما كان مقصودنا تصوّر كيفيّة الوحدة في عين الكثرة ، أي : التفصيل في عين الإجمال في مرحلة الذات ، وكذا الإجمال في عين التفصيل في مرحلة الخلق والفعل ؛ فهاك المثال .

قال صدر الدين الشيرازي ، فأجاد ، وأوجز لعمر الله، فأفاد :

النفس الإنسانية ، في شيءٍ طبعٌ ، وفي شيء حسٌ ، وفي شيء خيالٌ ، وفي شيءٌ عقل ؛ فهي : الجوهر ، العاقل ، المتخيل ، السميع البصير ، الشام الذائق ، اللامس الغاذي ، النامي المولد، وهي مع ذلك **جوهر بسيط** ، **غير منقسم، جعلها الله مثالاً له، ذاتا وصفة** ، وخليفة له في هذا العالم ، ثمّ في العالم الأعلى ، وجعل معرفتها سبباً لمعرفته تعالى[١].اهـ.

قلت : كلنّا يعلم أنّ النفس الناطقة ، حتى بعد عروضها على البدن في عالم الدنيا الخسيس، هي جوهرٌ واحد بسيط ، وإنّما لها حيثيات أربع ، هي العقليّة والشهويّة والغضبيّة والشيطانيّة ، متركبّة مع بعضها اتّحاداً لا انضماماً ، وهو الذي يطلق عليه في الحكمة : التركيب الاتحادي.

فإذا رأى شخصٌ تفاحة في بستانه في الحرّ الشديد وأكل منها ، فثمّة أمور وجوديّة متعلّقة بالشخص ، مكتثرة متباينة خارجاً ، وهي لا تنافي وحدة

---

(١) الأسفار العقليّة ٨: ٢٥٥. دار إحياء التراث العربي ، بيروت. الطبعة الثالثة: ١٩٨١.

النفس الناطقة، ولا بساطتها بأيّ وجه ؛ فالنفس الناطقة من جهة تعقل وجود التفاحة ، ومن جهة أخرى تشتهيها ، ومن ثالثة : تتلذذ بطعمها ، ومن رابعة : تغضب إذا اغتصبت منه ، ومن خامسة : تتألم بحر الشمس حين الأكل ... .

فاشتهاء التفاحة ، ثمّ التلذذ الحسي بأكلها ، فالتلذذ الخيالي ، فالعقلي ، يصاحب ذلك الغضب ، والألم و.. . ، كلّها أمور متكثّرة في مراتب الوجود الخارجي ، متابينة فيما بينها في التحقق العيني طولاً وعرضاً ، لكنّها مع ذلك لا تنافي وحدة النفس الناطقة ولا بساطتها –في مرتبة النفس– بأيّ وجه .

وإنّما تباينت هذه الأمور في الخارج وتركّبت ، لطرو الحدود والأعدام والنقائص ، لكنّها في مرتبة النفس العاقلة ، تجردت عن كلّ ذلك ، وقد قام البرهان أنّ تعقّل العقل ، وهو جوهر مجرّد بسيط ، للأشياء الخارجيّة المتباينة الكثيرة ، لا ينافي بساطته بأي حال .

صحيح ابن أذينة رضي الله عنه

علم التقدير (القلم =العرش) عين الفعليّة

روى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «**خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة**»[١].

قلت : إسناده صحيح ، في أعلى درجات الصّحة ، رواته أساطين الفرقة، وجهابذة الفرقة رضوان الله عليه ، تلقاه أصحابنا بالقبول .

اختلف العلماء في بيان هذا الحديث، ولا داعي لذلك ، وننبّه أنّ سبب الاختلاف عدم الإحاطة التامة بأخبار أهل البيت عليهم السلام ، ولا الجمع بينها كما تقضي قواعد الجمع ..

فلقد مضى أنّ الله تعالى أوّل ما خلق القلم ، وهو عين أمّ الكتاب ، وهو عين عالم التقدير ، و هو عين العرش ، ولا يسع رسالتنا هذه سرد النصوص في كلّ ما ذكرنا ؛ ففي هذا العالم كلّ الأشياء بنحو قدسي منزّه عن صفات الإمكان ، وكلّ ما خلق الله تعالى بنحو أشرف ، أي منزّهةً عن الحدود والنقائص والأعدام..

فالمشيّة في الصحيح أعلاه –تعني فيما تعني- : عالم العرش ، أو عالم القلم ، أو عالم أمّ الكتاب ؛ يدلّ عليه صحيح صفوان عن الرضا عليه السلام : «العرش ليس هو الله ، **والعرش اسم عِلْمٍ وقدرة**..، **وعرشٌ فيه كلّ شيء**»

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١١٠. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

ميزات عالم المشيئة (=عالم العرش)

هذه الميزات هي التي ناءت بحلّ مسألة ربط الحادث بالقديم ، والمتغيّر بالثابت ، والمخلوق بالخالق ..؛ والكثرة بالوحدة ...، والبسط فيها لا يسعه بالنظر لأخبار أهل البيت عليهم السلام الصحيحة ، مجلدات ضخمة ، لكن نسرد منها ما يلبيّ حاجة كتابنا المتواضع هذا ..؛ فمن ميزات هذا العالم ..

الأولى : المشيئة : ذات قدسيّة وروحٌ إلهيّة.

قوله عليه السلام : «**خلق الله المشيئة بنفسها**» بضميمة ما ورد عن أهل البيت أنّ أوّل ما خلق الله العقل ، أو : القلم ، أو : النور كما في رواية الرضا ، أو : أرواح أهل البيت ، أو أنوارهم عليهم السلام ، ظاهرٌ فيما قلناه.

وقد مضى قول الصادق في صحيح ابن أبي عمير أنّ الله تعالى قال للقلم: «هل **سطرت في اللوح، ما ألهمتك، وأمرتك به من الوحي** ...» صريحٌ أنّ **القلم** : ذات قدسيّةٌ عاقلةٌ .

الحاصل : عالم المشيئة (=القلم =العقل= أوّل الأرواح= النور الأوّل) : ذاتٌ قدسيّة ، حقيقتها العلم بتقدير الأشياء ، هي عين الفعليّة ، وعين القدرة ، لكن بالغير ، أي : به سبحانه، لا بالذات والاستقلال كما في ذات الباري.

الثانيّة : المشيئة (=العرش) : وجودٌ علمي محيط بكلّ شيء.

لقول الرضا: «**والعرش اسم عِلْمٍ وقدرة..، وعرشٌ فيه كلّ شيء...**»

فهو ، كما تواتر عن النبي وأهل البيت عليهم السلام ، وجودٌ يسع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ؛ كونه وجوداً علمياً محيطاً ، عين الفعليّة ، مجرّداً عن النقائص والأعدام ، محيطاً بالزمان والمكان معهما ، لا فيهما .

وروى الكليني عن العدة ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن النعمان ، عن إسماعيل بن جابر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «**كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وفصل ما بينكم ، ونحن نعلمه**»[١].

قلت : إسناده صحيح ، بإجماع .

ضرورة أنّ اتّحاد العالِم بالعلم ، لا ينافي البساطة ، والعالِم هو ذات القلم ، أو : روح القدس الأولى ، أو : العقل ، أو : النور الأوّل ، ما شئت فعبّر .

الثالثة : المشيئة عين القدرة والتحقّق والفعليّة .

لكن بالغير؛ أي به سبحانه وتعالى ؛ لقوله عليه السلام : «**خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة**» وهو نصٌ صريحٌ فصيحٌ أنّ حقيقة المشيئة : الفعليّة والتحقق ، والقدرة على الخلق والإيجاد بأمر الله تعالى.

وكذا لقول الرضا عليه السلام : **والعرش اسم عِلْمٍ وقدرة...**» وهو صريحٌ أنّ العرش يعني القدرة ؛ أي عين الفعليّة والتحقق، لكن بالغير.

الرابعة : طوليّة علل إيجاد الأشياء .

فالحديث نصٌّ صريحٌ أنّ الله تعالى خلق الأشياء على مراتب طوليّة ، من الأشرف إلى الأدنى : تبتدىء من المبدأ الأوّل سبحانه ، وهو علة العلل بالاستقلال ، ثمّ عالم المشيئة قبل إيجاد الأشياء ، وهو علّة العلل بالغير ، أي به سبحانه ، ثمّ عالم ...، ثمّ عالم الأشياء والأجسام والأعدام .

وقوله عليه السلام : «**خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة**» صريحٌ في طوليّة علل الإيجاد ، من الأشرف الأقدس ، وهو عالم العقل أو القلم أو

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٦٠. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

الروح القدس ، إلى الشريف المقدّس ، وهو عالم المحو والاثبات ، إلى الأدنى ، وهو الخسيس الهالك الفان .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ**﴾ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ **وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ** مَعْلُومٍ﴾ ظاهرٌ ، بل نصٌ في طوليّة علل الإيجاد ، ومبدأ الخزائن هي علم الله تعالى الذي هو عين عين ذاته ، وعين الفعليّة والتحقق ، وأمّا الخزائن فما دون ذلك وهو عالم المشيّة أو عالم النور ، أو عالم العقل ، أو عالم الروح القدس ، أو عالم أمّ الكتاب ، ما شئت فعبّر .

وهذه الطوليّة كفيلةٌ تماماً بحل مسألة ربط الحادث بالقديم ، والمتغيّر بالثابت ، والمخلوق بالخالق ؛ فلقد قضى الله تعالى أن لا يخلق الأشياء إلاّ بنظام العلل الطوليّة هذا ، ولا خلاف فيه بين العلماء بدواً ، لكن تنازعوا في امتناع خلق الأشياء من دون طوليّة علل الإيجاد ؛ لامتناع صدور الكثير عن الواحد البسيط ، فالحكماء قالوا بالامتناع ، وقال غيرهم لا امتناع ، ولا يسعنا البسط في هذا الآن .

معنى المشيئة والإرادة!!

اختلف أهل المعقول وغيرهم في معنى المشيئة والإرادة ؛ فالحكماء قالوا : هي العلم بالنظام الأتم . وقال بعضهم : السلطنة ، وبعضهم قال : هي المشيئة بمعناها اللغوي ، وبعضهم : اللذة ، وبعضهم غير ذلك .

قلت : ما ذكرناه ، كفيل بحسم مادّة الخلاف ؛ فالصحيح في معنى الإرادة هو المشيئة ، لكن لا بمعناها اللغوي ، وإنّما بمعناها الشرعي الذي تحددت معالمه بالقرآن وأخبار أهل البيت عليهم السلام ..

فالمشيئة : ذات سماويّة = روحٌ قدسيّة ؛ حقيقتها العلم والقدرة .

فهي عالمة ، بما كان ، وما يكون ، وما سيكون من الأشياء ، هي عين الفعليّة والتحقق ، قادرة بأمر الله تعالى على إيجاد الأشياء ؛ أي إنزالها من مرتبة العلم الإجمالي الأشرف البسيط ، إلى مرتبة العلم التفصيلي ، وهو بسيط أيضاً ، إلى مرتبة الخارج والعيان.

والدليل على كونها عالمة قادرة ، قوله عليه السلام : «**والعرش اسم عِلْمٍ وقدرة**» وهو عين علم الله تعالى وقدرته ، لكن لا في مرتبة الذات ، بل في مرتبة المشيئة ، وهي مرتبة أدنى من مرتبة الذات ؛ كونها مخلوقة .

الزبدة:الإرادة –في الجملة– هي هذه المشيئة، لا المشيئة بمعناها اللغوي.

كلمة جامعة للفيض قدس سره

قال رضي الله عنه : المخلوقات وإنْ لم تكن موجودة في الأزل لأنفسها ، وبقياس بعضها إلى بعض، على أن يكون الأزل ظرفاً لوجوداتها كذلك، إلاّ أنّها موجودة في الأزل لله سبحانه وجوداً جمعياً وحدانياً غير متغير؛ بمعنى أنّ وجوداتها اللأزليّة الحادثة ، ثابتة لله سبحانه في الأزل كذلك .

وهذا كما أنّ الموجودات الذهنية موجودة في الخارج ، إذا قيدت بقيامها بالذهن ، وإذا أطلقت من هذا القيد فلا وجود لها إلاّ في الذهن ؛ فالأزل يسع القديم والحادث والأزمنة ، وما فيها وما خرج عنها ، وليس الأزل كالزمان وأجزائه محصوراً مضيقاً ، يغيب بعضه عن بعض ، ويتقدم جزء ويتأخر آخر ؛ فإنّ الحصر والضيق والغيبة من خواص الزمان والمكان وما يتعلق بهما ، والأزل عبارة عن اللازمان السابق على الزمان ، سبقاً غير زماني ، وليس بين اللهَّ سبحانه وبين العالم ، بُعدٌ مقدرٌ ؛ لأنه إنْ كان موجوداً يكون من العالم ، وإلاّ لم يكن شيئاً ، ولا ينسب أحدهما إلى الآخر من حيث الزمان بقبلية ولا بعدية ولا معيّة ؛ لانتفاء الزمان عن الحق وعن ابتداء العالم .

فسقط السؤال بمتى عن العالم ، كما هو ساقط عن وجود الحق ؛ لأنّ متى سؤال عن الزمان ، ولا زمان قبل العالم ، فليس إلاّ وجود بحت خالص ليس من العدم ، وهو وجود الحق ، ووجود من العدم ، وهو : وجود العالم ؛ فالعالم حادث في غير زمان ، وإنّما يتعسر فهم ذلك على الأكثرين ؛ لتوهمهم الأزل جزء من الزمان يتقدم سائر الأجزاء ، وإن لم يسمّوه بالزمان فإنّهم أثبتوا له معناه ، وتوهموا أنّ اللهَّ سبحانه فيه ، ولا موجود فيه سواه ، ثمّ أخذ يوجد الأشياء شيئاً فشيئاً في أجزاء أخر منه ، وهذا توهم باطلٌ ، وأمرٌ محال .

فإنّ اللهَّ جل وعز ، ليس في زمان ، ولا في مكان ، بل هو محيط بهما ، وبما فيهما ، وما معهما ، وما تقدمها .

وتحقيق المقام يقتضي بسطاً من الكلام ، وفتح باب علم مكنون لا تسعه العقول المشوبة بالأوهام ، ونحن نشير إلى لمعةٍ منه ، لمن كان أهله سائلين من اللهَّ عز وجل أن يحفظها ، عن القاصرين المجادلين بالباطل ؛ ليدحضوا به الحق إن شاء اللهَّ .

فنقول : ليُعلم أنّ نسبة ذاته سبحانه إلى مخلوقاته ، يمتنع أن تختلف بالمعية واللامعية ، وإلاّ فيكون بالفعل مع بعض ، وبالقوة مع آخرين ؛ فيتركب ذاته سبحانه من جهتي فعل وقوة ، ويتغير صفاته حسب تغير المتجددات المتعاقبات ، تعالى عن ذلك ، بل نسبة ذاته التي هي فعلية صرفة ، وغناء محض من جميع الوجوه ، إلى الجميع وإن كان من الحوادث الزمانية نسبة واحدة ، ومعية قيومية ثابتة ، غير زمانية ، ولا متغيرة أصلاً ، والكل بغنائه بقدر استعداداتها مستغنيات ، كلٌ في وقته ومحله ، وعلى حسب طاقته ، وإنّما فقرها وفقدها ونقصها بالقياس إلى ذواتها ، وقوابل ذواتها ، وليس هناك إمكان وقوة البتة ؛ فالمكان والمكانيات بأسرها ، بالنسبة إلى اللهَّ سبحانه ، كنقطة واحدة في معية الوجود ، والسماوات مطويات بيمينه ، والزمان والزمانيات بآزالها وآبادها ك : «آن» واحد عنده في ذلك ، جف القلم بما هو كائن ، ما من نسمة كائنة إلاّ وهي كائنة .

<u>والموجودات كلّها شهادياتها وغيبياتها</u> ، <u>كموجود واحد في الفيضان عنه</u>: ﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ وإنّما التقدم والتأخر والتجدد والتصرم والحضور والغيبة في هذه ، كلّها بقياس بعضها إلى بعض ، وفي مدارك

المحبوسين في مطمورة الزمان ، المسجونين في سجن المكان لا غير ، وإن كان هذا لما تستغربه الأوهام ويشمئز عنه قاصروا الأفهام .

وأمّا قوله عز وجل : ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ فهو كما قاله بعض أهل العلم إنّها شؤون يبديها ، لا شؤون يبتديها [1]؛ ولعلّ من لم يفهم بعض هذه المعاني يضطرب فيصول ويرجع فيقول : كيف يكون وجود الحادث في الأزل ، أم **كيف يكون المتغير في نفسه ثابتاً** عند ربه؟!. أم كيف يكون الأمر المتكثر المتفرق **وحدانياً جميعاً** ؟!. أم كيف يكون الأمر الممتد -أعني الزمان- واقعاً في غير الممتد -أعني اللازمان- مع التقابل الظاهر بين هذه الأمور ؟!..

فلنمثل له بمثال حسي يكسر سورة استبعاده ؛ فإنّ مثل هذا المعترض لم يتجاوز بعد درجة الحس والمحسوس ؛ فليأخذ أمراً ممتداً كحبل أو خشب مختلف الأجزاء في اللون ، ثمّ ليمرره في محاذاة نملة أو نحوها ، ممّا يضيق حدقته عن الإحاطة بجميع ذلك الامتداد ؛ فإنّ تلك الألوان المختلفة متعاقبة في الحضور لديها ، تظهر لها شيئاً فشيئاً ، واحداً بعد آخر ؛ لضيق نظرها ، ومتساوية في الحضور لديه ، يراها كلّها دفعة ؛ لقوة إحاطة نظره ، وسعة حدقته ، وفوق كل ذي علم عليم [2].

---

(١) يبديها : يظهرها ، ولأهميّة هذا أفردنا له العنوان الآتي، فعليك به.

(٢) الوافي(ت: ضياء الحسيني) ١ : ٣٥٦. مطبعة نشاط ، أصفهان .

بيان قول الفيض ﷿ : شؤون يبديها!!!

قول الفيض رضوان الله عليه : (**شؤون يبديها ، لا شؤون يبتديها**) هو الاستنساخ النزولي ، كما في صحيح ابن أبي عمير الآنف ، وكما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ .

وفي هذا روى الكليني بإسناد صحيح عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال : «إنّ الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النطفة... يوحي سبحانه إلى الملكين **اكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري**». فيقولان: يا رب ما نكتب؟!!.

فيوحي الله إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمّه فيرفعان رؤوسهما، فإذا **اللوح** يقرع جبهة أمّه، فينظران فيه، **فيجدان في اللوح صورته ، وزينته ، وأجله ، وميثاقه شقياً أو سعيداً ، وجميع شأنه**»[1].

فبالنظر لهذه الأخبار القطعيّة ؛فمعنى: (**يبديها**) : يستنسخها ؛ أي : ينزلها عن الخزائن القدسيّة ، عن عالم لوح القضاء ، السابق على خلق الدنيا .

كما أنّ الذي في لوح القضاء منزلٌ مستنسخٌ عن عالم لوح القدر ، السابق في الوجود على عالم القضاء ، كما أنّ الذي في عالم القدر أظهره الله تعالى عن عالم الذات الأحديّة القديم ، مستنسخٌ عنه ، سابق عليه ، بالقدم الذاتي..

يدلّ عليه في كتاب الله تعالى قوله : ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾[2].

---

(١) الكافي ٦ : ١٤، رقم: ٤. باب بدء خلق الإنسان.

(٢) الحديد: ٢٢.

وقال سبحانه : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا **كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ (١).

وقال : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ **ذَلِكَ فِي كِتَابٍ**﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا **فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا **فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا **فِي كِتَابٍ**﴾ (٥).

الزبدة : كلّ شيءٍ في الدنيا ، مستنسخٌ نازلٌ عن عالم أشرف ، أبسط ، منزّه عن الجسميّة والتركيب والمكان ، مبرّء عن الفقدان وعوارض الزمان ، هو عالم اللوح ، وعالم اللوح مستنسخ عن عالم القلم ، والأخير عن عالم العرش ، وعالم العرش مستنسخٌ نازلٌ عن عالم الذات الأحديّة .

وقد بيّنا بما لا مزيد عليه أنّ الأشياء كلّما شرفت صعوداً ، أضحت كثرتها وحدة ؛ ضرورة أنّ الكثرة في مرتبة القلم ، أو المشيئة ، أو الذات الأحديّة ، علمٌ ، والعلم بالكثرة لا ينافي الوحدة .

---

(١) هود: ٦ .

(٢) الحج: ٧٠.

(٣) النمل: ٧٥.

(٤) سبأ: ٣.

(٥) فاطر: ١١.

زبدة الفصل

نذكّر أنّنا أفردنا هذا الفصل ، لحل مسألة ربط المتغيّر بالثابت ، وربط الكثرة بالوحدة ، والحادث بالقديم ؛ إذ كيف نتعقّل تدبير الله تعالى ، وهو واحد أحد ثابت ، للكثير المتغيّر الحادث ، والمسألة -فيما ذكرالأساطين- حار فيها العلماء والحكماء ، وأمرها هيّن عند أهل البيت عليهم السلام ، وليس هو إلاّ الاستنساخ والإنزال من العالم الأشرف إلى العالم الأدنى ..

فقد مضى في صحيح زرارة عن الباقر عليه السلام ، استنساخ الملكان لما يجري على الجنين عن اللوح ، كما قد مضى في صحيح ابن أبي عمير قول الصادق عليه السلام : «ينسخ من كتاب **أخذ من الأصل** ، وهو قوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهو تفسير قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

فكلّ شيء في هذه الدنيا ، كان ويكون وسيكون ، مستنسخ عن عالم اللوح ، كما أنّ كلّ شيء في عالم اللوح مستنسخ عن عالم أشرف منه ، هو عالم القلم ، كما أنّ كلّ شيء في عالم القلم مستنسخ عن عالم أشرف منه ، هو عالم المشيئة ، وهو عالم العرش ، وعالم المشيئة مستنسخ عن عالم الذات الاحديّة ..، وهذا هو الاستنساخ الصعودي ، والنزولي عكسه ..

فمعنى بسيط الحقيقة كلّ الأشياء ، والكثرة في عين الوحدة ، والتفصيل في عين الإجمال ، واتحاد العلم بالعالم ..

أنّ الأشياء -كلّ الأشياء- خسيسة في عالم الدنيا ؛ كونها متلبسّة بما هو هالك فان ؛ كالزمان والمادّة والمكان .

وكلّ هذه الأشياء مستنسخة نازلة عن عالم اللوح (=عالم القضاء) وهي في هذا العالم أشرف وجوداً من عالم الدنيا ، وأقوى فعليّة ، وألصق بالبساطة ، ووسعت كلّ ما دونها من الكثرة علماً وقدرةً وإحاطةً وتدبيراً .

كما أنّ كلّ ما في اللوح مستنسخٌ نازلٌ عن عالم القدر (=عالم القلم) وهو محيطٌ بالعالمين السابقين علماً وقدرةً وإحاطةً وتدبيراً ، بنحو أشرف وأبسط.

كما أنّ كلّ ما في عالم القلم مستنسخٌ نازلٌ عن عالم المشيئة (=عالم العرش) ، وهو محيطٌ بالعوالم الثلاثة الآنفة علماً وقدرةً وإحاطةً وتدبيراً ، بنحو أشرف وأكمل وأتم من سابقه.

، فإذا رجعت إلى مبدئها الأوّل سبحانه ، أضحت عين البساطة ، والإحاطة والسعة والفعليّة ؛ إذ هي الآن معلوم ، أو علمٌ للذات الإلهيّة العالمة في مرتبتها ، وهي عين ذاته ..

قال قدس سره : وبالجملة: الحقائق المتأصلة ؛ كالإنسان ، والفرس ، والدواب ، والشجر ، والحجر ، والذهب ، والفضة ، والأرض ، والهواء ، والنّار ، والسماء ، والشمس ، والقمر ، وغيرها من الأنواع، **لكلّ منها أنحاء من الكون، ودرجات ومقامات في الوجود،** ونشأةٌ في الكمال ، كلّما هو أرفع وأشرف ، كان الوجود فيه أقدم ، ووحدته أقوى ، وإحاطته بما سواه أكثر ، وجمعيته أشد ، ونوريته أظهر ، وآثاره أوفر ، حتى يبلغ إلى مقام ، يزول عنه النقائص كلّها ، حتى الإمكان ؛ ففي ذلك المقام وقع التصالح بين المتفاسدات ، والتعانق بين المتضآدّات ، **والتأحّد بين الكثرات** ، **فكانت موجودة بوجود واحد** ، **معلومة بعلم واحد**... .

وممّا ينبّه على كون حقيقة واحدة ، لها **درجات في الوجود** ، بعضها **طبيعي** ، وبعضها **نفساني** ، وبعضها **عقلي** ، **وبعضها إلهي** ، أنّه لا شك أنّ العلم بمعنى الصورة الحاصلة ، حقيقة واحدة ، وهي قد تكون عرضاً ؛ كعلم النفس بغيرها ، وقد تكون جوهراً نفسانياً ؛ كعلم النفس بذاتها ، وقد تكون جوهراً عقلياً ، كعلم العقل بذاته، وقد **لا تكون جوهراً ولا عرضاً** ، بل أمراً خارجاً عنهما ، وهو واجب الوجود ، كما في **علم الله بذاته وبالأشياء** .... .

فإذا تحقق عندك أنّ ماهية واحدة ؛ كالعلم والقدرة ونظائرهما ، ذات درجات ومقامات في الوجود ، وبعضها أقوى وأشرف ، حتى ينتهي في جانبي النزول والصعود إلى العرضية ، والواجبية ، فقس على هذا جميع الحقائق الوجودية؛ فإنّ **للإنسان** مثلاً وجوداً عرضياً ؛ كوجود ماهيته في الذهن عند تصور النفس لها ، وله وجود جوهري طبيعي ، وهو ظاهر ، وله أيضاً وجود جوهري نفساني مع أعضاء نفسانية كما في عالم الآخرة...، وله وجود عقلي كما أثبته أفلاطن ، وقد أوضحنا سبيله ، **وله أيضاً وجود إلهي** ، **وهو ما في علم الله** تعالى ، **وكذا غيره من الحقائق**[1].

الحاصل : الأشياء المتكثرة في عالم الدنيا (= عالم الحدود والكثرة) لها وجود أشرف بسيط لا كثرة فيه في عالم اللوح والتدبير ؛ إذ الأشياء هناك علمٌ وقدرة وفعليّة وبساطة ، على ما قضى الله تعالى ؛ ضرورة أنّ العلم بالكثرة لا ينافي وحدة العالم بها ، وهكذا صعوداً في عالم القلم والتقدير ، ثمّ عالم المشيئة ، ثمّ عالم الذات الأحديّة.

بهذا يماط عن عويص مسألة ربط الكثرة بالوحدة ؛ فع واحفظ .

---

(١) الأسفار العقليّة ٦: ٢٨٦. دار إحياء التراث العربي ، بيروت. الطبعة الثالثة: ١٩٨١.

لكن بقي شيء!!

فهل من مثالٍ عن الشرع ، لا ينكره المسلم ، في معنى إحاطة التدبير ؛ أي في إحاطة عالم اللوح مثلاً ، بعالم الدنيا ، إحاطة تدبيريّة قيّوميّة خارجة عن حدود الزمان والمكان والجسميّة ؟!!

فهل من مثالٍ واضح يبيّن لنا معنى أنّ عالم اللوح عالم ثابت ؛ أي : عين الفعليّة والتحقّق ، وليس هو كعالم الدنيا ؛ أي خروجٌ من القوّة إلى الفعل؟!!

قلنا : هاك قوله سبحانه : ﴿قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [1] .

قلت : هذا نصٌ في معنى الثابت ؛ أي : عين الفعليّة والتحقق ، خارجٌ عن حدود الجسم والجسماني ، والزمان والزماني ، والمكان والمكاني ؛ إذ هو كما قال الله تعالى : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

وكذا قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة النمل : ٣٩-٤٠.

الفهرس

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :